في ذكرى يوم الغدير المجيد

• شعر
عبد الغني الشيخ باقر الجابري

إلى أبدِ الخلود مضى صداها ... وأشرقَ مجدُها وزها سناها
تُطالعُك الإمامةُ في بهاءٍ ... إذا سَطعتْ فلا قبسٌ سواها
فنشهدُها رحابُ المجدِ فخراً ... ويَذهبُ من بوارقها دُجاها
تُراضِعُهُ الرسالةُ وهي نشوى ... وليداً جَلَّ مولدُهُ جَناها
فيرشِفُ من وديعِ الحمدِ نوراً ... ويَترعُ من مناهلها تُقاها
يُحالفُها الوفاءَ لها وصيّاً ... ويمضي في رعايتها رَجاها
وتندبُهُ المواقفُ صارخاتٍ ... وأجدرُ في المواقفِ مرتضاها
أخو النجداتِ في البأساء غوثاً ... تُلازمُ في شدائدها أخاها
ترافقُهُ المآثرُ في ثناءٍ ... حَفيّاً بين أمثَلِها ذُكاها
وتعرفُهُ العزائمُ كلَّ عهدٍ ... إذا جَمَحتْ غوائلُها دَحاها
ينُازلها جديراً وهو يسعى ... حليفَ العهدِ أروعَ ما سباها
ومَن كشفَ الحتوفَ إذا استبدّت ... فوارسُها وضاقَ بها فضاها

* * * * * *

تولّى العهدَ يومَ غديرِ خم ... تهنئهُ الحشودُ ومصطفاها
تقلّدُهُ الولايةَ في ولاءٍ ... ولِيَّ اللهِ أجدرَ مَن ولاها
تبايعُهُ الخلافةُ وهي جذلى ... وليسَ سواهُ أحكمَ مَن قضاها
فأصبحتَ الولي لنا بحقٍ ... حفيظاً للشريعةِ مقتداها
وتنشدُهُ المكارمُ وهي ولهى ... وترغبُ في حفاوتهِ مُناها
وترجوكَ الرسالةُ في وثوقٍ ... أمينَ الله أوثقُ مُرتجاها
وتندبُه إذا ما نابَ خطبٌ ... فيمضي في إغاثتها فداها
فيُرخي للفدى نفساً أبياً ... يُدمدِمُ في منازلها إباها

* * * * * *

ومن ذا في ذرى العلياء إلا ... عليُ النفسِ مَن يرقى علاها
تجلى في سماءِ المجدِ نوراً ... تشرَّفَ من سماحتهِ ذُراها

وتنشدهُ الولايةُ في خلاصٍ ... إذا سألوا الولاية مَن فتاها
فكم حملَ الوصايةَ في عهودٍ ... قويَّ البأسِ ما دارتْ رحاها
فذو المحراب والأوراد طراً ... وما من شدّةٍ إلا احتواها
هو الخَلَفُ الوصي مضى شهيداً ... تُقيمُ لفقدهِ الدنيا عَزاها
أتعلَمُ كم نعاهُ الدهرُ عَدلاً ... وكم شَكتِ الدُنَى خَلَفاً غزاها
أتعلمُ كم تداعى الحقُ طعناً ... وأضرمَ في مشاعرها لظاها
أتعجبُ من أسى الحدثانِ خَرقاً ... تولى أمرَ مُحكَمِها هواها

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أبا الحسنين كم أَضناكَ منها ... كثيرٌ من خفاياها شجاها
فتُغضي كلما عصفت رياحٌ ... ولكن في مآقيها قذاها
تجاهلك النواكثُ قابعاتٍ ... ويسعى في جوانحها قَلاها
تراصدُك السرائرُ والنوايا ... وتحجُمُ عن مواقفها ضُباها
وتأخذها الطوارقُ في رحالٍ ... سِراعاً كلما رُفعت قناها
إلى كرَمِ الحمى تهفو خماصاً ... فتسأل من عوارفه قِراها
فيُشبعُها من النفحات غوثاً ... صريخاً للأنام وإنْ شكاها
فتغدو بالقناعة دون ريبٍ ... هو الحبلُ المتينَ ومَن عُراها

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

نجي الحقِ يعلمُ كلَّ سرّ ... أمينٌ في السرائر منتجاها
وتَنعتُهُ الدنى وتراً رضياً ... تناشدُه وتُخفي من خفاها
فطوراً تستمدُّ النُصحَ منه ... وطوراً يَستقلُّ بها خِباها
وتَنعقدُ السقيفةُ في خفاءٍ ... ويَظهرُ في الضمائر ما جفاها
كأن لم تُصدَعِ الأسماعُ جهراً ... ولم تَشهدْ برَمضاها وَلاها
وماذا كانتِ الأشهادُ تُجدي ... نفاقٌ في سرائرها أواها
وما الشورى إذا ما غابَ عنها ... أميرُ المؤمنين وما دَهاها
ولاها الأولياءُ ولم يثوبوا ... إلى رَشَدٍ فويلُك من خُطاها
تناسَوا بيعةً بالأمسِ قامت ... على الأشهادِ لا يخفى صداها
يسارعُ في ركاب الأمرِ رهطٌ ... فيأخذ في أعِنّتها رَداها
فيا للطامحين بها جِماحاً ... نكوثاً للعهود وما عفاها

يُعسعس في النفوس خفيرُ غدرٍ ... ويرقُدُ في الحشا حِقداً عِداها
فأينَ الضامنون لها حُماةٌ ... وأينَ المؤمنون بها وِقاها

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

كفاكهمُ الرسولُ وهم شهودٌ ... نذيراً بالعواقبِ كم دعاها
فدونكُم الأمانةَ في تُقاةٍ ... وجهلاً بالوصي وقد كفاها
فقال ألستُ قد بَلّغتُ قالوا ... بلى اللهمّ قال كفى نِداها
صراطي مستقيماً إن هذا ... ولا سُبُلاً سواه ولا غواها
بهذا محكَمُ التنزيلِ أوصى ... ومَن أوفى بعهدِهِ مَن وفاها
فوالى اللهَ مَن والى علياً ... وعاهدَ بيعةً ثم ارتضاها
وعادى الله مَن عادى علياً ... وناكثَ بيعةً وعدا قلاها
فما اتعظوا ولا أدّكروا قراراً ... يلاحقهم ولا احترموا هداها
براءٌ يشهدُ التاريخُ منهم ... فليسوا أمةً حفظت لواها
يُدافعهم جِماحُ الشركِ مكراً ... لعلّ اللاتَ والعُزى دَحاها
تَداركها الردى لو لا فضاءٌ ... تماهلَهم لأوشك ما طواها

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

وتلك شكايةٌ للهِ تُزجى ... كبائرُها العِظام وما تلاها
يتابعها الزمانُ أسىً شقياً ... وما أدراك ما أشقى أساها
جناها الماكرون فعالَ مكرٍ ... وليتَ فعالَهم عرفَتْ مَداها
تشطّرها النكوث عقيبَ عهدٍ ... وعادَ شقاؤها حتى غشاها
فيا أسفاً ويا عجباً لقومٍ ... يسوسُهم العمى عبثاً رَقاها
وقُل للعابثين بها رويداً ... سيثأر للأمانةِ مَن حماها
يسومون العباد ولم يحيدوا ... سياطَ الذُل أنكرَ ما صلاها
من الجهلاءُ والطلقاءُ حتى ... تَربَّعَ في منابرها عَماها
ويُوحشُك الجهولُ إذا تولى ... وتبّاً للحياة إذا ارتقاها
فكم عَبَثَتْ أوابدُها فساداً ... وكم نُصِبَ الهوى فيها إلها
فويلٌ للطغاةِ ومَن ولاها ... لأشقاها ومَن أمضى شقاها
فيا للجبتِ والطاغوت مهلاً ... وعيدُ الثأر أسرعُ ما أتاها
تلاحقهم قُرون الدهر لَعناً ... وحتى الأرض يلعنهم ثراها

ينابيع

مُحتويَاتُ العَدَد

كلمة العدد

نظرة تزيح التردد

المشرف العام ٨

قرآنيـات

فرائد أسلوبية في سورة (المؤمنون)

د. مشكور العوادي ١٠

أثر القرينة اللفظية في معاني الألفاظ في القرآن الكريم

عادي عباس النصراوي ١٤

السياق والدلالة.. اقتضاءٌ وتوجيه

سيروان عبد الزهرة هاشم ١٧

قضايا معاصرة

ضياع المواطنة في هاوية الخبث السياسي

وليد جواد زاهد ٢٤

أزمة المثقف وثقافة الدعوة بالحسنى

حسام عدنان رحيم ٢٧

المظاهر الوحدوية للدولة الاتحادية (الفيدرالية)

مهدي عابدين ٣٠

آمن الرسول

الولاية في الكتاب العزيز

السيد عبد الستار الجابري ٣٦

استطلاع المجلة

مسجد الحنانة.. رؤية الماضي والحاضر وطموح المستقبل

حيدر الجد ٥٤

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٦٦

واحة الأدب

شعر أبي العلاء المعري الاجتماعي وأثره السلبي في الحياة

الشيخ عبد الستار الساعدي ٧٢

قصيدة: عند الحوراء زينب

السيد مرتضى السندي ٨١

إضاءات السيرة

أبو طالب.. مؤمن بقلبه ولسانه

طالب علي الشرقي ٨٤

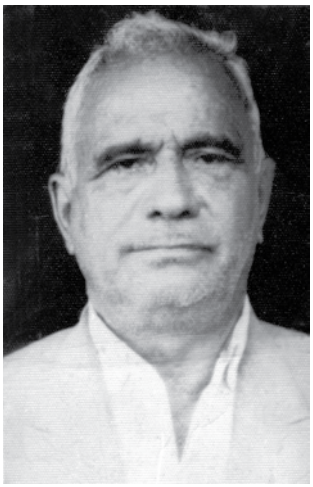

ص ٩٠

ص ٤٢

ص ٤٦

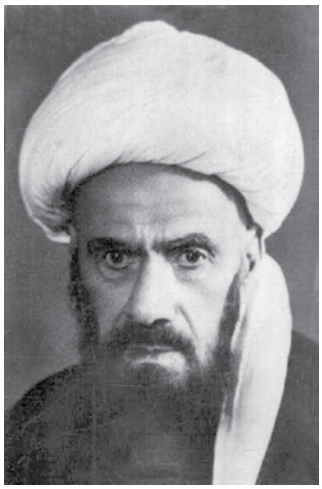

ص١١٣

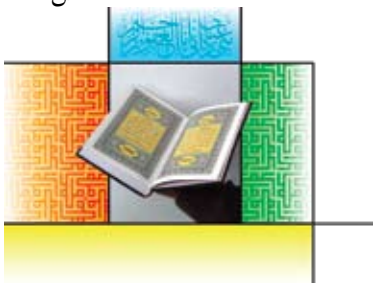

ص١٠

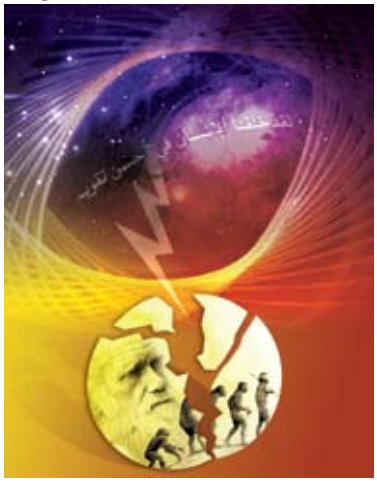

ص١١٦

للفضيلة نجومها

من أعلام العلم والتربية.. محمد كاظم الملكي

حيدر المالكي ٩٠

في النفس والمجتمع

التربية والتعليم ومعالمهما في العراق الجديد

بهاء حمزة عباس ٩٤

شيء من المران والتربية

باسل حسن لايذ ٩٨

طروحات عامّة

كتاب المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية

نصير عبد الحسين الكعبي ١٠٦

ما هو مرض أنفلونزا الطيور؟

م. م. نبيل سليم تويج ١٠٩

حصار النجف في مذكرات الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

محمد جواد فخر الدين ١١٣

تدريس التطور العضوي مرفوض أسلامياً وعلمياً

سعد حاتم مرزه ١١٦

فن التجليد ومراحل تطوره عند المسلمين

علي جهاد ظاهر الحساني ١٢٢

تحقيقات

مرقد الشهيد الحر بن يزيد الرياحي

سلمان هادي آل طعمة ١٣٨

تاريخ مذهب أهل البيت عليهم السلام

أ. د. حسن الحكيم ٤٢

الترابط الاقتصادي والأمني في دولة الإمام المهدي عليه السلام

هاشم حسين ناصر المحنك ٤٦

الوهابية تقتل المستبصرين

محمود محمد حسين الموصلي ١٠٢

الدعاء في شهر الدعاء الحلقة:٢

أ. د. الشيخ صاحب محمد حسين نصّار ١٣٠

في الذاكرة ٨٢

نتائج مسابقة العدد (٧) ١٤٤

مسابقة العدد ١٤٥

نظرة تزيح التردد

بسم الله الرحمن الرحيم

كثيراً ما تتمخض عن الصراعات الاستراتيجية تكتلات وتيارات صغيرة ذات تأثير سلبي كبير على الطائفة برمتها، فتحدث فيها فجوات لا تسدّ وقد تسبب في كثير من الأحيان زعزعة الاستقرار العقائدي وشيوع الفتن هاهنا وهاهنا، فتضطرب المفاهيم على عامة الأمة إلا القليل ممن يحسب الأمور والمستجدات بشكل دقيق فقد يصل إلى نتيجة مرضية.

وهكذا بدأنا مع العدو الاستراتيجي الكبير الذي حاول محو الصورة بشكل أو بآخر حيث أتاحت له القوى الكبرى تمام الفرصة لذلك وهيأت له الأجواء المناسبة بشكل منقطع النظير، حتى إذا تعدى ووصل إلى ضرب مصالحها العامّة بل وضربها على العصب المؤلم ارتأت تغيير الحساب معه وتصفيته في الوقت ذاته بشكل معلن، ووصل الأمر إلى ما وصل إليه.

فتغيرت المعايير ورفعت الشعارات باتجاه خلق جو مناسب تشارك فيه جميع الأطياف، محققةً في ذلك مآرب لا سبيل لنا إلى معرفتها بالتفصيل داعية إلى احترام الحريات العامّة.. من هذا الصراع الكبير نرى تولد التيارات المختلفة والتكتلات التي لم تصل إلى حدّ معقول، والكل يأكل من مائدة واحدة ويحسب نفسه من المدعوين لها.

فبدأت التأثيرات السلبية نتيجة تلك التيارات تأخذ مأخذها من الأمة وتنخر من جسدها المتداعي حتى تحول ذلك الصراع الاستراتيجي الكبير ـ إن صحت التسمية ـ إلى صراعات فئوية مريرة ومتعبة، ولربما كانت أشد على الأمة في بعض الأحيان من ذلك الصراع الكبير، الأمر الذي دعا رموز أمتنا أن تأخذ على عاتقها الدخول في تفاصيل الصراعات المذكورة وتباشر طاولة النقاش والحوار.

وبدأت العملية الخطيرة حتى إذا وصلت إلى نتائج لا يمكن أن تصل إليها أكبر الشخصيات السياسية ـ نظراً لما عليه عدونا من الشراسة وحيوانية التعامل ـ متحلية مع ذلك بالإخلاص والأمانة والموضوعية دعت الجماهير إلى تبنيها والاعتراف بها فاستجابت لها تلك الجماهير متحدية في ذلك المخاطر العظمى وتلف النفوس والأموال وما ذلك إلا لاعتقادها بما عليه رموزها من الحكمة والإخلاص وحسن الاختيار، عندها بدأ التحول العام في مسارات التيارات المختلفة نتيجة الصدمة التي منيت بها جراء النتائج الإيجابية المنظورة حتى وصلت إلى الحملات الإعلامية ليطالها ذلك فنراه انعكس على اللهجة والتوجيه واختيار نقاط الضعف بشكل مخجل، لكن الأمر ليس بتلك الأهمية بالنظر إلى المكاسب التي حصلت عليها الأمة.

فماجت التكتلات بعضها مع بعض ودارت الدورة واختلطت الدعاوى وارتبكت المعايير عند الرؤوس ليجدوا حلاً لئلا يكتسحهم الموج ويقذفون في الشواطئ البعيدة عن الطموح بأميال كثيرة.

فبدأوا بلملمة الجراح وجمع الشمل لتبدأ المقاومة من جديد ولو بشكل آخر، وليس خافياً على رموزنا ما يجري في الأروقة وما وراء الكواليس فبدأوا بخطوة ثانية وليست أقل خطورة من الخطوة الأولى ولم ينقص من حكمتهم وإخلاصهم واهتمامهم شيء، فهم الذين كانوا سبباً للحصول على المكاسب الهامّة في الفترة السابقة، وهم الذين أوصلوا أصوات الثكالى والأيتام إلى العالم. وعلى كل حال تتمثل هذه الخطوة الثانية بفكّ عرى الحبل وشده مرة أخرى بشكل آخر، فكأن المجاميع العاملة في ميدانها أشبه شيء بسلسلة حديد اضطربت قطعاته فلابد من حلّه لرمي ما لا يصلح منه وإضافة ما يصلح ولو بلحاظ تفادي الانشقاق وحلّ مشاكل الفرقة.

من هنا ارتأت وهي الحكيمة فيما اختارت والمسددة فيه إن شاء تعالى ـ مادامت مخلصة لا مصلحة لها سوى حفظ الحقوق مهما كان لذلك سبيل ـ إعادة صياغة المجاميع العاملة وإنشاء مؤسسة جديدة لتقوم بأعباء المرحلة القادمة لكن مع ترك المباشرة في الدخول في الحوارات هذه المرة وتركه لذوي الرأي الراجح، مع الاستيعاب التام للقضية المطروحة ومعرفة ما يفسد وما يصلح، إضافة إلى التوجيه من قبلها توجيهاً مبتنياً على تقديم المصالح العليا على المصالح الشخصية.

إلى هنا وبعد سرد هذه الأحداث بشكل مقتضب ـ مكتفين بالإشارات الواضحة لتعايشنا لهذه الأحداث ـ ليس لأحد من أبنائنا التوقف في الاختيار ناسين المواقف المتصلبة التي أوصلتنا إلى نتائج مرضية، والتردد بما لا ينسجم مع الواقع الخارجي الذي يفرض أموراً خارجة عن الإرادة.

ولا معنى لهذا التوقف، أولاً: لمنحنا الثقة من أول الأمر لرموزنا وقادتنا ولا معنى لتغير ذلك أو حسابه على وفق ما تملي علينا رغباتنا أو تصوراتنا في هذه الفترة الحرجة.

ثانياً: عدم إحاطتنا بجميع الأمور ولا معنى لأن ننظر من زاوية ضيقة، أو نحكم وفق ما نريد مادمنا لم نملك الاستيعاب التام للحوادث ولا نشعر إلا بالألم المباشر. فلابد من التسليم التام ومنح الثقة التامة وخوض المشروع بانسيابية تامة لنسدّ الثغرات على الأعداء، ولا نبقي على أنفسنا حجة يتذرع بها غيرنا فيفوتنا السوم بما لا نقدر على تعويضه في وقت آخر، والعاقل من خبرته التجارب. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يدفع عنّا وعن جميع المؤمنين كل مكروه ويسدد العاملين الذين همهم حفظ الحقوق في جميع المجالات ويكلل جهودهم بالنجاح والفلاح فإنه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين ■

المشرف العام

فرائد أسلوبية
في سورة (المؤمنون)

• د. مشكور العوادي
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

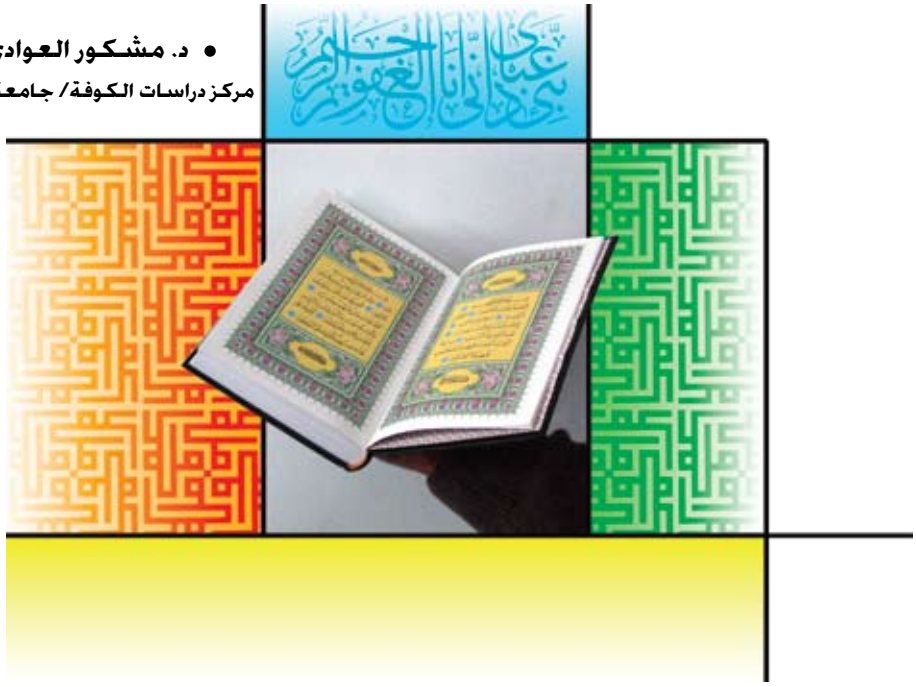

ينابيع مما لا شك فيه أن للبحث الأسلوبي موقعاً متميزاً، ومجالاً متفرداً، في تفسير سور القرآن الكريم بما يجعله نافذة معنوية راقية وإنموذجاً دلالياً رفيعاً للاستشراق والتحليل والتنظير،

ومن هذا المنطلق نقف عند سورة (المؤمنون) وهي من السور المكية التي عالجت أصول الدين من التوحيد والرسالة والبعث، وقد جاءت لتوطيد الدعائم والأسس التي قام عليها صرح الإسلام العظيم في إقامة الدلائل والبراهين على وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته وأسرار قدرته الفائقة في خلق الكائنات بما فيها من عجائب وغرائب وما احتوت عليه من آيات باهرة تنطق بعظمة الله وما يؤول إليه حال البشرية حين يرجع الناس لله رب العالمين وهم فريقان، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

سميت هذه السورة بسورة (المؤمنون) لأن الله سبحانه وتعالى ذكر فيها جلائل أوصافهم وكرائم صفاتهم، وعرض فيها للفضائل الإنسانية التي تحلى بها أولئك الصفوة المؤمنون من عباد الله المخلصين، فسميت باسمهم تخليداً لهم وثناء بمآثرهم وفضلهم فسعدوا ونالوا جواز البقاء في الجنة خالدين فيها أبداً[1].

فجوّ السورة هو جوّ بياني يستمد ظلاله من الجدل الهادئ والحوار الهادف وإثارة الفكر والوجدان للوصول إلى حقيقة الإيمان بالله وحده، بدءاً بمطلع السورة الذي جاء ليبرز صفات المؤمنين ثم يعقبه بعرض دلائل الإيمان في الأنفس وفي الآفاق، إذ يلتقي مطلع السورة الكريمة وختامها في تقرير الفلاح للمؤمنين والخسران للكافرين، يقول تعالى: (قد أفلح المؤمنون...)، (...إنه لا يُفلح الكافرون).

وفي تقرير الخشوع في الصلاة في مطلعها لقوله تعالى: (الذين هم في صلاتهم خاشعون) والتوجيه إلى هذا الخط المتألق بالخشوع في ختامها لقوله تعالى: (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)، وعندها يلتقي المطلع والختام في اتساق أسلوبي وتناسق دلالي وبراعة إعجاز بمآل الاستغفار والاسترحام، لأن رحمة الله أزلية لا تتغير.

فمن الظواهر الأسلوبية الواضحة في ثنايا هذه السورة الكريمة أسلوب الاستفهام وهو يتكرر كثيراً بقصد الحث والتنبيه والإيقاظ حتى يدعو إلى التأمل والتدبر والنظر، من ذلك قوله في الآيات الآتية: (أفلا تتقون... أفلا تعقلون... أنؤمن لبشرين مثلنا... أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة... قل لمن الأرض ومن فيها... قل من رب السماوات السبع...فأنى تسحرون... ألم تكن آياتي تُتلى عليكم... كم لبثتم في الأرض عدد سنين... أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) فهذه الاستفهامات المتعددة قصد بها معان بلاغية كالإنكار والتعجب والتقرير وهذه مستمدة أسلوبياً من معاني التنبيه والإيقاظ والإثارة الذي يحمل الاستفهام حتى يرجع المخاطب إلى نفسه ليتأمل ويرتدع ويعي فحوى الخطاب ووقعه ليكف عن الجدال والعناد، ومنها أيضاً أسلوب القصر، وهو أسلوب توكيدي يحقق المبالغة ليلقي المعنى أمام المخاطب واضحاً حتى يرى فيه رأيه وموقفه من ذلك في الآيات الآتية:

(ما لكم من إله غيره... ما هذا إلا بشر مثلكم... إن هو إلا رجل به جنة... إن هذا إلا أساطير الأولين... فإنما حسابه عند ربه... أولئك هم الوارثون... فأولئك هم الفلحون... وقومهما لنا عابدون... وكنتم

منهم تضحكون... إنهم هم الفائزون... إليه تُحشرون...).

لقد تنوعت طرائق القصر في هذه الآيات على وفق لطائف وأسرار بيانية وأسلوبية، فعندما قصد التعظيم لإبراز منزلة المخاطبين ومكانتهم جاء القصر بتعريف الطرفين وتوسط ضمير الفصل، كما في قوله (أولئك هم الوارثون) وعندما جاء الحوار عنيفاً والجدل محتدماً شديداً جاء القصر بالنفي والاستثناء كقوله تعالى (ما لكم من إله غيره)، وهذا الأسلوب يُستعمل في المعاني القوية والنبرات الحادة لما يلاقيه من إنكار المخاطب أو ما يقترب منه، في حين نلحظ عند ختام السورة الكريمة وبعدما انتهى الجدل جاء القصر بأسلوب آخر هو بأنما التي تلائم الحوار الهادئ، ولذا لم تستخدم هذه الأداة في وسط السورة بل جاءت عند انتهاء الجدل وندم الكفرة وظهور تحسرهم.

ونجد أيضاً في هذه السورة الكريمة أساليب النداء والأمر والنهي كقوله تعالى: (يا قوم اعبدوا الله... رب انصرني... ولا تخاطبني في الذين ظلموا... وقل رب أنزلني مُنزلاً مباركاً... يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً... فذرهم في غمرتهم... قال رب ارجعون... قال اخسئوا فيها ولا تكلمون... فاسأل العادين... وقل رب اغفر وارحم...).

فهذه الأساليب تراها حينا على المعنى الحقيقي، وحيناً لمقاصد بلاغية ودواع أسلوبية كالحث على الفعل والدعاء والوعيد والتهديد والسخرية والتهكم[٢]... وهذه الأساليب لها موقع من النفس كبير، وهي مهيأة يقظة لتحديد خطوطها وتشكيلها واستشراف مواقفها منها.

ونلحظ في هذه السورة أن الأسلوب جاء متلائماً تلاؤماً واضحاً مع مقاصد السورة وأهدافها، حيث تنوع بين الخبر والإنشاء، فتجده خبرياً محضاً في الآيات التي تُقرر الحقائق، وتبرز الصفات، وتُظهر الدلائل، وخبرياً ممتزجاً بالإنشاء في الآيات التي تصور الحوار والمجادلة، فمثلاً جاء في مطلع السورة لتقرير فلاح المؤمنين وإظهار صفاتهم تجسيداً لدلائل الإيمان ومقاصد الأحكام في الأنفس والآفاق، لذا جاء الأسلوب خبرياً محضاً يقرر هذه الحقائق، ويثبت تلك الدلائل حتى يلي صفات المؤمنين، وهذا يبدو جلياً من أول السورة حتى الآية الثانية والعشرين منها، وعندما ينتقل السياق إلى قصص الأنبياء يُظهر الأسلوب الإنشائي الذي يلائم الحوار والجدال بين الرسل عليهم السلام وبين أقوامهم كقوله تعالى: (يا قوم اعبدوا الله... أفلا تتقون... فتربصوا به حتى حين...) ويعود الأسلوب خبرياً محضاً في وسط السورة، عندما أخذ السياق في إبراز جملة أخرى من صفات أولئك المؤمنين، لقوله تعالى: (إن

الذين هم من خشية ربهم مُشفقون... والذين هم... الآيات...).

ونقرأ ما تتطلق به الآيات الكريمة في أول السورة عن البعث لقوله تعالى: (ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون) وما تنطق به على لسان الكفرة في وسطها: (أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أءنا لمبعوثون) نجد الأول إخباراً عن وقع البعث بعد الموت، والثاني إنكاراً لوقوعه، ومرجع ذلك إلى الأسلوب في مطلع السورة وهو يقرر ويخبر بتلك الحقائق الثابتة، فالملائم هو الإخبار، وهنا على لسان الكفرة الأسلوب أسلوب حوار ونقاش وجدال، وهذا ما يلائمه التساؤل لا الإخبار، لمقاصد بيانية ودواع سياقية اقتضتهما الحالتان وطلبهما الموقعان في علائق النص وحيثياته... وفي قوله تعالى: (أفلم يتدبروا القول) أي أفعل الكفار ما فعلوه من الاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوه في شأنه من القبائح (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) أي بل جاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا في الكفر والضلال، وتوجيه أسلوبي آخر، قال ابن عباس، وقيل المعنى: أم جاءهم أمان من العذاب وهو شيء لم يأت آباءهم الأولين، فتركوا الأعز.

وفي قوله تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون) الهمزة للاستفهام الإنكاري، والمعنى أفحسبتم من فرط غفلتكم أنا خلقناكم بغير حكمة، (وإنكم إلينا لا تُرجعون) أي وحسبتم عدم رجوعكم إلينا، حتى تجازوا بأعمالكم... وتُحاسبوا... وجاء بعدها قوله: (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) على نسق تعليلي مفسر، بعلائق بينة، ودلائل مُحكمة، (فتعالى الله) أي ارتفع وتنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح و (الملك الحق) هو الذي يحق له الملك على الإطلاق إيجاداً وإعداماً وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكه العظيم و(لا إله إلا هو) فإن كل ما عده عبيده (رب العرش الكريم) وإنما وصف بالعرش الكريم لأنه مقسم فيض كرم الحق، ورحمته منه تنقسم آثار رحمته وكرمه[٢].

وبعد هذه الملاحظ الأسلوبية الموجزة في السورة، نخلص إلى القول: إن سور القرآن مفعمة بالظواهر التي تأخذ بك إلى تحليل الأفكار والأحوال والمعاني، لإدراك دقائق الدلالات بين هذه الخصائص يوضح بعضها بعضاً بأصول بنائية راسخة ومزايا أسلوبية عديدة ■

---

(١) يُنظر: تفسير الكشاف ٣/١٣٧-١٦٣، إيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني، ص٧٩.

(٢) يُنظر تفصيل ذلك: من هدى القرآن الكريم، تفسير بلاغي لسورة المؤمنون)، الدكتور بسيوني عبد الفتاح، ص١٦٥-١٦٨، ونظم الدرر، ٥/١٨٢-٢٢٨.

(٣) يُنظر: مختصر تفسير القرطبي، باختصار ودراسة الشيخ محمد علي كريم، الجزء الثالث، ص٣١٥-٣٣٧، وتنوير الأذهان من تفسير روح البيان، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، المجلد الثالث، ص٢٨-٤٦.

أثر القرينة اللفظية في معاني الألفاظ في القرآن الكريم

• عادل عبـــاس النصراوي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع إن لبعــض الألفــاظ في النــص القرآني العظيم أثــراً كبيراً فــي بيان معاني ألفاظ أخــرى ترد فيه وتمنحها دلالــة إيحائية تبرز فيــه، فقيمــة اللفظ تتأثــر بهذه الإيحائيــة ونوعيتها قــوةً وضعفاً،

فكلما كانت إيحائية الكلمة عالية، كانت قيمة تلك الكلمة فنياً عالية أو العكس بالعكس[1].

لقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ، مثل (جاء، أتى، حضر) ومشتقاتها، وتعني كلها المجيء والحضور، لكن القرائن الملازمة لهذه الألفاظ جعلت فارقاً زمنياً حدّد مفهوم هذه الألفاظ، توحي للسامع بمعاني مختلفة لها وكما يأتي:

أولاً: لفظة (جاء):

زمنياً لا تحتمل التأخير والتباطؤ وفق القرائن المردفة معها:

١ـ لفظة (يوم) في قوله تعالى: (حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا)[2]. فاقتران لفظ (اليوم) مع (جاء) يدل على وقوع الحدث حضورياً بدون تأخير، ويوحي للسامع بأن أمر الله تعالى قد وقع في اليوم المعين بدلالة (ال) التعريف لليوم، والله أعلم.

٢ـ لفظ (الصبح) في قوله تعالى: (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها)[3]. إذ أن الصبح قريب لا محال وأن مجيء العذاب واقع حتماً ولا يحتمل التأخير.

٣ـ لفظة (لا يؤخر) في قوله تعالى: (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها)[4] وقوله تعالى: (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون)[5] فهنا توحي هاتان الكلمتان بعدم التأخير أيضاً.

٤ـ لفظة (يسعى) في قوله تعالى: (وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى)[6] فإن دلالة السعي توحي بوقوع الحدث الآن.

ثانياً: لفظة (أتى):

هذا الفعل يحتمل التأخير لفترة محددة خلافاً للفظ (جاء) اعتماداً على القرائن الآتية:

١ـ جملة (فلا تستعجلوه) جاءت في قوله تعالى: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)[7]. حيث فيها دلالة توحي بتباطؤ إتيان أمر الله.

٢ـ الكلمتان (ليلاً، نهاراً) في قوله تعالى: (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً)[8] فهاتان الكلمتان توحيان بوقوع الأمر الإلهي بزمن محدد غير معروف أهو في الليل أم في النهار وذلك من خلال عدم تعريف الكلمتين، فنجد أن عنصر الترقب ملازم لهما.

٣ـ الكلمة (ارتقب) في قوله تعالى: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)[9]، فعملية الترقب توحي بالانتظار لحين وقوع الحدث مشفوعاً بالانتباه.

٤ـ الكلمات (سبع سنين، عام) في قوله تعالى: (قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)[10]. فـ(السنوات السبع) و(العام) كلها إيحاءات بطول المدة لحفظ الحبوب في سنبله والانتظار لحين مرور الأزمة.

ثالثاً: لفظة (حضر):

وهذا الفعل غير معلوم زمن وقوعه مستقبلاً، خلافاً للفعلين السابقين (جاء، أتى) وإليك القرائن:

١ـ لفظ (الموت) في قوله تعالى: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك

خيراً الوصية للوالدين والأقربين)[11]، وقوله تعالى: (حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)[12]، وغيرها من الآيات القرآنية التي نجد فيها اقتران كلمة الموت مع الحضور، وإن الموت غير معلوم الوقوع وإن علمه عند الله، لذا سيكون الحضور هو الآخر لا يعلم وقوعه ولا يحدد زمنه.

٢ـ لفظ (القسمة) في قوله تعالى: (وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه)[13]. فإن وقوع القسمة مقترن بوقوع الموت الذي علمه عند الله تعالى، فهنا يقع الإبهام أيضاً بدلالة إبهام وقوع الموت.

من خلال هذه القرائن اللفظية تستبين معاني الألفاظ (جاء، أتى، حضر) على النحو التالي:

١ـ لفظ (جاء) لا يحتمل التأخير في وقوع الفعل زمنياً.

٢ـ لفظ (أتى) تحتمل التأخير في وقوع الفعل زمنياً.

٣ـ أما لفظ (حضر) يحتمل التأخير في وقوع الفعل زمنياً مع الإبهام.

فضلاً عن ذلك نجد ألفاظاً أخرى قد تميّز فيها النص القرآني من اختلاف المعنى ونعرفه بالقرائن التي أوحت لنا بالمعنى المناسب، فمن ذلك:

١ـ لفظةِ (الخشية) في قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ)[14] فهنا الخشية تعني وقوع المكروه على وجه القطع واليقين بقرينة العباد العلماء الذين يعرفون الله حق معرفته، فهم لا يأمنون مكره إذا زاغوا أو انحرفوا عن الطريق السوي.

وكذلك قوله تعالى: (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة)[15] فالذين يخشون ربهم هم المؤمنون به عن يقين ومعرفة، فلا يجازفون بالمعصية لأنهم يعلمون بأن جزاءهم العذاب على وجه القطع واليقين.

٢ـ لفظة (الخوف) في قوله تعالى: (فأصبح في المدينة خائفاً يترقب)[16] فهنا الخوف يعني وقوع المكروه على سبيل الظن، وذلك من خلال وجود القرينة (يترقب) والتي توحي بالحذر والريبة وعدم الأمان وذلك إن احتمال وقوع الأذى وارد.

وقوله تعالى: (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير)[17]. والقرينة في هذا لفظة (ذهب) التي توحي بانزياح الأذى عنهم ووقوع الأمان في ساحتهم والرجوع إلى وضعهم الطبيعي وهذا ما أوحى لنا أن وقوع الأذى المكروه لم يكن على سبيل القطع وإنما على سبيل الظن.

والله أعلم ■

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني: ٢٥٣.
(٢) سورة الحديد الآية: ١٤، ١٥.
(٣) سورة هود الآية: ٨١، ٨٢.
(٤) سورة المنافقون الآية: ١١.
(٥) سورة نوح الآية: ٤.
(٦) سورة يس الآية: ٢٠.
(٧) سورة النحل الآية: ١.
(٨) سورة يونس الآية: ٢٤.
(٩) سورة الدخان الآية: ١٠.
(١٠) سورة يوسف الآيات: ٤٧، ٤٨، ٤٩.
(١١) سورة البقرة الآية: ١٨٠.
(١٢) سورة النساء الآية: ١٨.
(١٣) سورة النساء الآية: ٨.
(١٤) سورة فاطر الآية: ٢٨.
(١٥) سورة فاطر الآية: ١٨.
(١٦) سورة القصص الآية: ١٨.
(١٧) سورة الأحزاب الآية: ١٩.

السياق والدلالة..
اقتضاءٌ وتوجيه
النص القرآني أنموذجاً

• سيروان عبدالزهرة هاشم
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع إذا كانت لغة الخطاب العربي تقوم في منطلقاتها على أساس التصورات الإنسانية لمدلولات المفردات في الذهن، فيمكن القول إن المنشأ الابتدائي للغة كان ذا نزعة تبسيطية وفقاً لإدراك العقل البشري الأول ببساطة للمدلولات الخارجية

فظهرت المفردات بدلالاتها الأولية (المعاني الحسية لها)[1]، ذلك أن الحياة البشرية لم تبلغ من الرقي والتوسع الفكري ما يدعو إلى تعقيد ذهنية الإنسان البدائي، وبفعل تقادم الزمن وحصول التطورات وتعقد الحياة الاجتماعية وتشابكها ظهرت الحاجة ماسة إلى أن يدخل في اللغة ما يمنحها صفة الإمكانية على الاستيعاب لضم جميع المتداخلات الحياتية، ولتوافر عامل التفاهم بعد وجود التعقيد والصعوبة في فهم كثير من الأشياء والأمور، ومن هنا راحت العقلية الانسانية تلهث وراء الوضع في اللغة، وعقد علاقات جديدة بين المفردات من أجل شمولية الأفكار والمستجدات العصرية لكل زمان ولهذا تعددت وجوه الدلالة وتنوعت إلى الحد الذي أشكل معه فهم كثير من الدلالات المتعلقة بمفردة واحدة، ولابد من القول بأن هذه التعددية الدلالية مع وحدة المفردة تعد إسهاماً رئيساً لتغطية كثير من الإشكاليات التخاطبية، وتحل عدة صعوبات لمواجهة التطور العصري وتحدياته، ولكن إذا تركت هذه الدلالات مكتنزة في المفردة دون تفصيل لكل وجه منها بقيت الصعوبة في مواجهة التطور قائمة دون تذليل، وأحيلت المفردة من حل لمشكلة إلى مشكلة بذاتها، إلا أن هذه المشكلة تنتفي حال دخول المفردة في سياق، إذ أن السياق هو الحكم في توجيه دلالة المفردة وتحديدها. وذلك بحيثية تعاضد جميع مفردات السياق للكشف عن المعنى المراد للمفردة ومعرفته تحديداً.

لقد احتلت دراسة السياق مجالاً واسعاً من الفكر اللغوي الغربي لأهميته الكبرى وقدرته الهائلة في توجيه علم الدلالة، حيث نظَّر علماء الغرب من اللغويين للسياق في نظرية سميت بـ(النهج السياقي أو العملي) وكان رائد هذة النظرية وزعيمها العالم الانكليزي(فيرث)، فقد كان يرى ومن تبعه من المهتمين بشأن الدلالة أن دلالة المفردة لا تتكشف إلا بعد وضعها أو تسييقها في تراكيب لغوية[2]. فكأن حيثية الاستعمال الخطابي للفظة هو الذي يمنحها المعنى.

وإذا كان (فيرث) قد خرج بهذه النظرية بعد تأمل ونظر، فإن الجرجاني قد سبقه بزهاء ثمانية قرون إلى هذه النظرة قائلاً: (لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك)[3]، فكأن تعلّق المفردات واعتماد السببية بينها ـ أي: لا ترد اللفظة إلا بسبب اللفظة التي قبلها ـ هما ما يكتمل المعنى بهما كلياً، وفي الوقت نفسه تُفهم دلالة كل مفردة توظيفاً دلالياً بفعل المفردة المجاورة لها، ذلك (أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفرد، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ)[4] فنجد أن الجرجاني لم ينفِ تماماً وجود معنى للفظ وهو في حال الأفراد، بيد أن هذه الافرادية لا تؤهله للدخول في حيز التفاضل مع سائر الفاظ اللغة الاخرى، وإنما

الذي يدفع به الى دائرة التفاضل هو السياق اللفظي الذي يرد فيه لان مبدأ المجاورة بين الألفاظ هو الذي ينتج السمة التفاضلية لها اذ يمنح اللفظ قدرة تعبيرية تتناغم والدلالة العامة المنتجة بفعل التجاور.

وإذا استأنفنا الحديث عن (فيرث) وتابعيه نرى ان هؤلاء السياقيين على ما في نظرتهم من اثر بالغ في توجيه الدراسات الدلالية من حيث السياق نحو التثبت في الكشف عن المعنى الا ان ثمة ماخذا عليها، وهو ان هذه النظرية تُلغي المعنى المعجمي الحقيقي للّفظة[٥] فهي تتعرف على معنى اللفظة بفعل السياق فحسب، وليس ثمة معنى للفظة خارجه. والا ظهر أن في هذا تطرفاً واضحاً وتشدداً في الاتجاه نحو الرؤيا السياقية، لأنهم يغفلون المعنى الأساس للفظة خارج السياق ولا يقرّون بمعنى لها بمعزل عن السياق، من هنا وجب إجراء تعديل على حيثية إيمانهم بمعنى اللفظ ليكون (معنى الكلمة هو مجمل السياقات التي يمكن أن تنتمي اليها)[٦] مضافاً إلى ذلك دلالة الأصل أو المركز، وسنعرض في الآتي أصناف السياقات اللغوية التي تتوجه الدلالة بفعلها وسنقتصر في هذا العدد على صنفين فحسب، وسترد الأصناف الباقية في تضاعيف الأعداد القادمة تباعاً.

السياق اللفظي ودلالته:

تشهد اللغة العربية بالتداول الطبيعي لمسارات مفرداتها تعددية للدلالات في مفردة واحدة، وقد أشرنا إلى هذا فيما سبق القول فيه من أن الدلالة تبدأ تجسيدية حسّية ثم يحكم عليها التطور بالانتقال إلى الدلالة التجريدية العقلية، فيحدث من هذا إيجاد وجوه مختلفة للدلالة مع وحدة الدال أو (اللفظ)، ولا توجد حيثية لمعرفة المعنى وتحديده إلا بالسياق اللفظي، فهو القرينة الفنية التي يتم بها ترشيح جميع الاحتمالات المتواردة على اللفظة والتثبيت على دلالة معينة، إذ (من الصعب جداً تحديد دلالة الكلمة، ذلك أن الدلالة لا تقتصر على مدلول الكلمة في ذاتها، إنما تحتوي على المعاني كلها التي يمكن أن تتخذها هذه الكلمة ضمن السياقات اللغوية)[٧] التي توضع فيها، (فالكلمات والدلالات ترتبط على نحو وثيق بالسياق وعلاقاته فهو الذي يعطي الاضاءة للغرض والقصد)[٨] منها، ولقد أشار أبو هلال العسكري إلى أهمية السياق في التحديد الدلالي فيما أشار إليه من جملة مُحدِّدات حيث يقول: (وأما ما يُعرف به الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كثيرة منها اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يُراد الفرق بين معنييهما)[٩] وكذلك اختلاف طريقة استعمال اللفظة الواحدة في سياقات مختلفة حتى تتولد لها في جو كل سياق دلالةٌ تُغاير الدلالة

التي تحققت لها في سياق آخر، وهذا يتأتى من القرائن اللفظية الكاشفة التي ترافق اللفظة في السياقات وعلى سبيل التمثيل ننظر إلى قوله تعالى: (والسارقُ والسارقةُفاقطعوا أيديهما جزاءً)[10] فـ(اليد) في الاية الكريمة تدل على العضو المعروف للإنسان، وذلك بقرينة (القطع) وهي العقوبة الدنيوية على من سلب الناس شيئاً بغير وجه حق، فمعنى اليد هنا هو المعنى المعجمي الحقيقي أو ما يُدعى بـ(دلالة التبادر)، وكذا الحال في قوله تعالى: (فاغسلوا وجوهَكُم وأيديَكُم إلى المرافق)[11] اما إذا أمعنا النظر في قوله تعالى: (يدُ اللّه فوقَ أيديهم)[12] أدركنا بقرينة لفظ الجلال (اللّه) أن لفظة (اليد) لا يراد بها المعنى التبادري الاول لها، إنما المقصود من لفظة اليد في هذا الموضع هو (القدرة) أو السيطرة أو الهيمنة، وهذا لم يكن ليُدرك من اللفظة بمعزل عن السياق اللفظي لها.

وقد يحدث أن توجد لفظتان يظن أنهما مترادفتان إذ يدلان على المعنى نفسه، على حين أن هاتين اللفظتين يمكن التمييز بين دلالتيهما بدقة بفعل السياق اللفظي والقرائن التي ترد معها، فتفرد لها معنى معينا دون غيره، ويُحدَّد للفظة دون نظيرتها حيث (يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتمُّ له وأحرى بأن يكسبه نُبلاً ويُظهر فيه مزية)[13] وإذا شئنا التمثيل فلننظر برعاية للفارق الدلالي بين لفظتي (ختم) و(طبع)، حيث تسالم الطوسي[14] والطبرسي[15] وشبر[16] وغيرهم[17] على أن الختم بمعنى الطبع، لكننا لا نميل إلى هذا إذا أخذنا السياق بالحسبان، ذلك بأنه (من اعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم)[18] وللتحقق من ذلك نتأمل الآيتين الآتيتين:

قوله تعالى: (خَتَمَ اللّه على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أَبْصارِهم غشاوةٌ ولهم عذابٌ عظيمٌ)[19] وقوله: (أولئك الذين طَبَعَ اللّه على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلونَ)[20] قيل إن معنى ختم (شهد عليها بأنها لا تقبل الحق، يقول القائل: أراك تختم على كل ما يقول فلان اي تشهد به وتصدقه... وقيل: المعنى في ذلك أنه ذمهم بأنها كالمختوم عليها لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر)[21] فهي كالختم بالشمع الذي يؤدي دلالة الحضر والمنع (فيجعله لايفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء)[22] فكأن الأمر قد انتهى بالنسبة لهؤلاء بدلالة التسوية في سياق الآية السابقة عليها وهي قوله تعالى: (إنَّ الذين كَفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرْهُم لا يؤمنون)[23] ثم ترد الآيات بعدها مُتحدِّثة عن المنافقين وحيثيات تعاملهم مع المؤمنين، وهذا يدفعنا للقول أيضاً بأن معنى (ختم) قد يدل على التغافل والاعراض منه سبحانه عن المنافقين[24].

على حين أن إمعان النظر في سورة النحل يكشف لنا عن أن (طبع) أكثر شدَّة في الدلالة من (ختم)، وذلك لجملة أمور أولها: (أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم

ما لا يفيد الختم)[٢٥] فنصل إلى أن الطبع أثر لا يزول بخلاف الختم، وما يعضد هذا أنه عدَّى الطبع إلى الابصار فضلاً عن القلب والسمع ولم يعدِّ الختم إلى الابصار بل قطع صلة حدث الختم بـ(الواو) الاستئنافية قبل الأبصار فقال: وعلى أبصارهم غشاوة، لأن الختم لا يلزم، ثم إن الضرورة المعنوية هنا لا تقتضي التعدية للأبصار على حين (أن الطبع مأخوذ من الطبيعة المزامنة للانسان التي لا تنفك عنه فهو مجبول عليها)[٢٦]، وبما أن مدار الآية في الطبع مرتكز على فكرة (الغفلة) بدلالة نهاية الآية (وأولئك هم الغافلون) كانت التعدية للجميع أدعى لاستكمال الغفلة وجعلها كأنها من طبيعتهم الدائمة، ويعضد هذا بناء الاسناد في جملة الغفلة على الاسمية الدالة على الثبات، بينما نجد أن مرتكز الآية في البقرة يدور على وجوب العذاب لا الغفلة وهذا متأت من أن الكفار ممتنعون عن تقبل الحق لانهم مختومون دونه، فصار لزاماً ثبوت العذاب عليهم بدلالة نهاية الآية (ولهم عذاب عظيم).

أما ثاني الأمور فمردَّه إلى السياق السابق واللاحق لآية الطبع في سورة النحل، إذ الناظر فيهما بتأن يُدرك الفارق بينهما، فسياق الآيات السابقة عليهما تُفصِّل القول في الكافرين والملحدين الذين يشرحون صدورهم بالكفر علنا وقد آثروا الحياة الدنيا، ويذكر سبحانه صراحةً غضبه عليهم فكانت دلالة السياق مشحونة ومُحمَّلة بالعذاب والغضب الإلهي، ثم يكاد سياق الآيات اللاحقة لها تتمحور على فكرة الكفر والعذاب أيضاً، والتكذيب للرسل والاعراض عنهم، فكان هذا أنسب دلالياً لورود لفظة (طبع) في هذا الموضع دون لفظة (ختم).

وبهذا نصل إلى أن للسياق اللفظي مقتضى وحاكمية على الدلالة فهو يوجّه اللفظة بحسب حاجته منها وعلى وفق ما تحمله اللفظة من دلالة معينة تفارق بها نظيرتها ـ التي قد يظن أنها مرادفتها ـ بفعله فالنص القرآني مُعجزٌ في جميع وجوهه وبضمنها إعجازه السياقي في توجيه الدلالة.

السياق النحوي أو الوظيفي ودلالته:

إن أصول النحو العربي في السياقات الخطابية تُبنى أصالةً على مقتضيات منهجية ومنظومات قواعدية غاية في الرفعة والاتقان، حيث تتيح للمتكلم أن يُشكِّل السياق نحوياً على وفق مقاصده ومراده، فتتوزع البُنى التركيبية على مسار الخطاب اللغوي من منظور دلالي محكوم بقاعدة تضبطه لايسعه أن يتعداها أو يخرج عليها، ولا يُجلى أو يتضح إذا خالفها إذ (ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل)[٢٧] بالأصل النحوي لكشف المعنى، وبهذا لا يكون كلامك نظما ذا معنى (إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله)[٢٨] التي وضعها النحاة وعلماء المعاني[٢٩]، لكن لا نريد من ذلك التمسك بالقاعدة على وفق المفهوم المنطقي كما أملاه النحاة فـ(ليس القصد معرفة قواعد النحو وحدها، ولكن ما تحدثه هذه القواعد وما سيتبعه من معنى وما يتولد عن النظم من مدلول)[٣٠]، فهناك تقديم وتأخير، وذكر وحذف، ووصل وفصل،

وقصر في المعنى وعدمه، ولكل ذلك دلالات معينة لا يمكن معرفتها ما لم يستتبع السياق هذه المنهجيات لإضاءة الدلالة، لأن السياق (ليس هو شيئاً غير توخي معاني هذا العلم وأحكامه فيما بين الكلم)[٣١] حيث (ليس عندنا في وجوه الخطأ اللغوي أكبر ولا أعظم من أن يظن امرؤ أن اللغة بالمفردات لا بالاوضاع والتراكيب)[٣٢].

ومن هنا نقول: إن السياق لا يوجِّه الدلالة ويُقاربها بكيفية الرصف المفرداتي وعملية التنسيق بهيآت لفظية مرتبة فحسب، لتظهر من خلالها الدلالة التي قد تبدو غامضة في البدء عند البعض وإنما يجلي لنا ـ السياق ـ أمراً أكثر أهمية وأبلغ في معرفة الدلالة، ولكن لا بحيثية الترتيب اللفظي، وإنما بحيثية قاعدة الترتيب الدلالي تأسيساً على معطيات الوظائف النحوية للتركيب السياقي، إذ أن للتركيب النحوي دلالات تُعرَف من تشكُّلات السياق الوظيفية، وهذا ما دعا إليه عبد القاهر الجرجاني صراحةً، فكأن هناك دلالة توجَّه بمقتضى السياق اللفظي وثمة دلالة أخرى يقتضي نحو السياق مَهَمَّة توجيهها.

ومثال على ذلك قوله تعالى: (ولله على الناسِ حجُ البيتِ من استطاعَ إليه سبيلاً)[٣٣]، نجد في الآية الكريمة تقديم لفظ الجلالة (لله) على (حج البيت) وهذا التقديم لم يرد إلا لتحقيق دلالة معينة وهي دلالة التخصيص فاثبت بها أن فريضة الحج هي له سبحانه وحده ومن حقه دون سواه، وما يعضد هذا وجود اللام اللاصقة بلفظ الجلالة وهي (استحقاقية) في معناها أو ملكية كما يسميها النحاة، ثم كان الحج على عموم الناس دون استثناء بدلالة (ال) الجنسية المرتبطة بـ(الناس) التي تشمل جميع أفراد الجنس المقصود على سبيل الاستغراق فتتم بذلك وجوبية الحج، ثم عزز هذا القصد بحرف المعنى (على) الذي أثبت دلالة الهيمنة والفرض منه سبحانه على عباده كما تقول: (لي عليك كذا فيجب عليك الايفاء) لكن لو توقفت الآية عند هذا الحد لأصبح الحج إجباراً قائماً على كل إنسان سواء كان مستطيعاً له أم غير مستطيع، إلا أنه سبحانه ألطف بعباده فشملهم برعايته بقوله: (من استطاع اليه سبيلاً) إذ أبدل من العموم بالبعض[٣٤]، لبُعد المشقة وصعوبة المؤونة ومما يدل على هذا استعماله سبحانه للفظة (الاستطاعة) بدل (القدرة) والمتتبع للسياقات القرآنية لهذه اللفظة يجد أنها لا ترد في النص المقدس الا للدلالة على إنجاز العمل بمشقة وعُسر، أما لفظة (القدرة) فبالمنظور السياقي القرآني لها نجدها تدل على إنجاز العمل بلا مشقة، لذا ناسب سبحانه صورة بذل الجهد والعناء بورود لفظة استطاع بدل أختها، وقد منح النص بالابدال (الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال)[٣٥] ولولاه لوجب على من لم يؤدِّ هذه الفريضةَ الحسابُ مهما كان مسوغ التعذُّر، إلا أن الوظيفة النحوية التي أدَّاها البدل أسقطت عن غير المستطيع فريضة الحج بعدم الاستطاعة، وتجب عليه بوجودها،

فيكون (المعنى: ولله على من استطاع من الناس حج البيت)[٣٦] وما كان لهذه الدلالة أن تظهر وتفهم بهذا التوضيح والتفصيل لولا السياق النحوي وتشكيلاته المقصودة لأداء الغرض المطلوب لأن (الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا ما وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس، وجب اللفظ الدال عليه أن يكون أولاً في النطق)[٣٧].

ظهر مما تقدم أن الدلالة في التخاطب اللغوي على ضربين:

أ ـ دلالة معجمية حقيقية يقع الفهم عليها بالتبادر الأول من دون الحاجة إلى قرينة خارجية، وهي الأصل الذي تواصل به الإنسان البدائي ومن بعده.

ب ـ دلالة سياقية وهي التي لا يمكن إدراكها من الكلام خاطراً أولياً، وإنما تحتاج إلى قرينة ما للوصول إلى دلالتها المبتغاة وضوحاً وكشفاً، وهي ما يمكن أن تدعى أيضاً بـ(دلالة القرينة) وقد وجدت لاحقة على الدلالة الحقيقية تلبية لسد حاجة الإنسان إدراكاً للتطور الجاري ■

---

(١) للاستزادة ينظر الفارابي: الحروف: ٧٢، ٧٣.
(٢) ينظر مختار: علم الدلالة: ٦٨، ٦٩.
(٣) الجرجاني: دلائل الاعجاز: ٣٨.
(٤) م.ن: ٣٢.
(٥) يقول بالمر: (من الصعب جداً أن نقرر ما إذا كان هناك معنى مركزي) ينظر مختار: علم الدلالة: ١٢١.
(٦) جون كوين: بناء لغة الشعر: ١٣٣، وينظر زكريا: الالسنية علم اللغة الحديث: ٢١١.
(٧) زكريا: الالسنية علم اللغة الحديث: ٢١١.
(٨) الداية: علم الدلالة العربي: ١٩٥.
(٩) العسكري: الفروق في اللغة: ١٦.
(١٠) سورة المائدة: ٣٨.
(١١) سورة المائدة: ٦.
(١٢) سورة الفتح: ١٠.
(١٣) الجرجاني دلائل الاعجاز: ٣٠، ٣١.
(١٤) ينظر الطوسي: التبيان: ٦٣/١.
(١٥) ينظر الطبرسي: مجمع البيان: ٤٣/١.
(١٦) ينظر شبر: الجوهر الثمين: ٦٩/١.
(١٧) ينظر الفيض الكاشاني: الصافي: ٨٠/١، والكاشاني: المعين: ٢٢/١، والكرمي: المنير: ٢٣/١، ومغنية: الكاشف: ٥٥٧/٤، والحائري: مقتنيات الدرر: ٦٦/١.
(١٨) ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد: ١٠/٤.
(١٩) سورة البقرة: ٧.
(٢٠) سورة النحل: ١٠٨.
(٢١) الطوسي: التبيان: ٦٣/١. وينظر الطبرسي: مجمع البيان: ٤٣/١، وشبر: الجوهر الثمين: ٦٩/١، والكاشاني: المعين: ٢٢/١.
(٢٢) الفيروزآبادي: القاموس المحيط: ١٠٣/٤.
(٢٣) سورة البقرة: ٦.
(٢٤) ينظر ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٥٤، ٥٥. والفيروزآبادي: القاموس المحيط: ١٠٤/٤.
(٢٥) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة: ٦٤.
(٢٦) ابن منظور: لسان العرب: ١٠٢/١٠.
(٢٧) الجرجاني: دلائل الاعجاز: ٣٥.
(٢٨) م.ن: ٥٥.
(٢٩) يرى د. المخزومي أن علماء المعاني من البلاغيين هم النحاة الحقيقيون بناء على قضية المعنى. ينظر المخزومي: النحو العربي نقداً وتوجيهاً: ٢٩.
(٣٠) لاشين: التراكيب النحوية من وجهة نظر بلاغية: ٨٥، ومصطفى: احياء النحو: ٤٧.
(٣١) الجرجاني: دلائل الاعجاز: ٥٨.
(٣٢) الرافعي: تحت راية القران: ٥٥. وينظر: عبد المطلب: البلاغة والاسلوبية: ٢٩.
(٣٣) سورة ال عمران: ٩٧.
(٣٤) ينظر الزمخشري: الكشاف: ٢٢٩/١، والرازي: التفسير الكبير: ١٦٢/٨، وشبر: الجوهر الثمين: ٣٥٠/١.
(٣٥) الزمخشري: الكشاف: ٢٩٩/١
(٣٦) الرازي: التفسير الكبير: ٨/ ١٦٢.
(٣٧) الجرجاني: دلائل الاعجاز: ٣٧، وينظر: ٣٨.

ضياع المواطنة
في هاوية الخبث السياسي

• وليد جواد زاهد
جمعية الوعي الثقافي

ينابيع تنتشر في الساحة العراقية اليوم العشرات من الأحزاب والكيانات السياسية المتنوعة التي أعلنت أهدافها منذ البداية وبعد الانهيار الطاغوتي مباشرة إنها ترنو إلى رسم مستقبل العراق الجديد بريشة المواطنة الحقة وبألوان الانتماء الزاهية للوطن على ورق أخضر براق كلون ثياب المؤمنين في الجنة. ولا أحسب نفسي ظالماً إن أجزمت على أن العدد الحقيقي للأحزاب الفاعلة والتي تفكر في هذا الرونق الجذاب لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ممن ينتمون إلى الفكر الشيعي المتميز بالإيثار وتقديم مصلحة الأمة على المصالح الشخصية الزائلة واضعين نصب أعينهم تلك المبادئ السامية لأهل البيت عليهم السلام الذين تخلوا عن حقهم الشرعي في قيادة الأمة وتحويل هذا الحق إلى واقع عملي للمضمون الرسالي الإلهي والسير بسلوك سياسي طبقاً لمدرسة القرآن وانطباق هذا السلوك على معيار الله في الحق والصدق والفضيلة المطلقة منطلقين من قاعدة التزاحم ومفادها (إذا تزاحم الأهم مع المهم فيصار إلى الأهم ويترك المهم ما لم يمكن الجمع)... وإذا كانت المواطنة مفردة تلاعب بها الطاغية البغيض وحولها من شرفية المعنى الأكبر إلى حضيض المستنقع المقرف فإنه لا يلغي الجوهر الحقيقي للمعنى السامي لهذه الكلمة في نفس العراقي الأصيل الذي نظر إلى

انصهار المواطنة مع الانتماء في بودقة واحدة والتمترس في خندق واحد اسمه العراق.

فما بال أغلب الأحزاب قد تناست هذه القيم والمفاهيم السرمدية الخالدة وراحت تنجرف وراء التيار الانتهازي وحياكة المؤامرات الدنيئة والتحالفات البائسة وراء الكواليس الظلماء ظناً منها أن الشمس لابد لها يوماً أن تسطع على هياكل الانهيار وتسمو بهم إلى قمة هرم السلطة.

وفي عجاف السنوات الثلاثة الماضية أريقت دماء الأبرياء وتناثرت أجسادهم ضحية الإرهاب البعثي والتكفيري القادم من دول الجوار المارقة التي تخشى من ديمقراطية العراق لئلا تتسرب إليها وتزعزع أركانها العفنة لترمي بسلطانهم الهاوي إلى الوادي السحيق الذي نشأوا فيه وترعرعوا بين طياته، لذا كان لابد على الأحزاب أن تجتمع سوية وتضع أيديها بأيدي الكيانات الأخرى لتشكل ذلك الجسد المتراص الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، لكني أجد نفسي مضطراً وآسفاً أن أقول أن تلك الدماء التي سقطت على تراب الأولياء المقدس لم تشكل موعظة للظالمين ولم يهتز لهم ضمير ولم يعرق لهم جبين فراحوا يتقاسمون ثروات البلاد دون حق بدعوى أن الظلم السابق الذي لحق بهم يتيح لهم الاستعاضة الآنية مستغلين ضعف الدولة وانهيار المؤسسات والخروقات الأمنية المتكررة وحالة الفوضى السائدة في المشهد العراقي ومعتمدين على بناء وضعهم الداخلي واستقرار الأمن لديهم... أما في غرب العراق فقد اجتمعت أيتام الماضي تحت

سقيفة واحدة أشبه بسقيفة بني ساعدة وأعلنت حربها على الدستور وحشدت طاقاتها لإفشال المشروع السياسي الجديد أملاً منها في تفتيت الجمعية الوطنية ومن ثم الدخول في انتخابات عامة تعويضاً عن كبوتهم على عدم المشاركة في الانتخابات السابقة التي جعلتهم يعضون أصابع الندم نتيجة اجتهادهم الخاطئ والمعبر عن الخبث السياسي. وليت شعري أتتعظ هذه الأحزاب من موقف الجيش الجمهوري الأيرلندي الذي أعلن عن إلقاء السلاح وإنهاء المقاومة بعد أحداث لندن تضامناً مع الضحايا الأبرياء الذين كانوا ثمناً للإرهاب فكان موقفاً مشرفاً يستحق الثناء ودرساً بليغاً للإيثار والمحافظة على اللحمة الوطنية الواحدة... ومن بين ذلك كله يخرج المارد الشيعي القادم من رحم الأمة المؤمنة المتمثلة بالمرجعية العليا ليحدث زلزالاً هائلاً في المنطقة بأكملها معلناً على الملأ ضرورة التصويت الإيجابي للدستور ومحطماً كل المخططات الخبيثة الرامية إلى إشعال الفتنة مؤكداً الأبوة العامة للعراقيين تحت ظلال المواطنة الحقة والانتماء للوطن ■

حكم مأثورة

* من أشرف فعال الكرام غفلتهم عما يعملون.
* من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلاً.
* قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم.
* لا تستح من إعطاء القليل فإن المنع أقل منه.
* فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها.
* لا تفتح باباً يعييك سدّه، ولا ترسل سهماً يعجزك ردّه.
* لا تقل ما لا تعلم، فتتهم بما لا تعلم.
* إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهما من هواك.
* موت الخيّر راحة لنفسه، وموت الشرير راحة لغيره.
* لا تكن كالجراد يأكل ما وجده، ويأكله ما وجده.

أزمة المثقف..
وثقافة الدعوة بالحسنى
(رؤية إسلامية)

• حسام عدنان رحيم
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع يمتلك المثقف العراقي ذخيرة معرفية لا يستهان بها، على الرغم من الظروف التي مر بها العراق طيلة قرون مضت عانى فيها المثقف ما عاناه من اضطهاد سياسي، وفكري واقتصادي، كان الهدف من ورائه تحجيم العقلية المتميزة له، فضلاً عن تضييق الخناق على (التنوير) الذي يقوم به المثقفون في المجتمع، والذي يهدف إلى نقل المجتمع من التخلف، والانحطاط الفكري إلى التطلع، والتفكر، ومن ثم معالجة أوضاع البؤس في بنية المجتمع العراقي خاصة، والعربي عامة.

بيد أن هذه الحركات (التنويرية) التي كان يمارسها المثقفون كان بعضها بحاجة إلى دعم فكري من المثقف نفسه لأن أغلبها كان مأدلجاً ويخضع إلى التيار الفكري الأحادي الذي يتبناه المثقف نفسه، دون أن ينفتح على (الآخر المعرفي) الذي يمثل منهجاً، وتياراً مواجهاً، له أنصاره ومؤيدوه. علاوة على أن طبيعة المرحلة التاريخية التي يعيشها المثقف توجب عليه أن يكون مؤثراً فيها، ومتأثراً بها سلباً أو إيجاباً.

وقد أثبتت التجارب التاريخية أن الكثير من المثقفين أثروا في التاريخ وتركوا بصماتهم فيه، فضلاً عن نجاحهم في تطوير البناء الفكري لأفراد المجتمع.

وقد نال المثقفون العراقيون منزلة متميزة بين أقرانهم العرب بيد أننا نلحظ أن (المثقف) أياً كان بحاجة إلى أن يجمع بين (الثقافة) و(الوعي)، تلك المنظومة المعرفية التي تتمثل الطرف الثاني من معادلة (الفكر والتفكير)، فالوعي مزية لا يتحلى بها الجميع، فثمة حامل شهادة عليا وليس له هذه (البنية المعرفية).

وبعبارة أخرى: ليس كل مثقف أو صاحب علم يكون واعياً، وإنما ينبغي أن يكون كذلك.

والحق أننا بحاجة إلى (المثقف الواعي) أكثر من حاجتنا إلى ثقافة تلقائية ليس لها أي تخطيط منظم أو إعداد مسبق كي ما تكون نتائجها المرجوة صالحة للتغيير، وإحلال الصواب في من يكون التثقيف منصباً عليه.

وفي هذه المرحلة التاريخية مما يمر به العراق وجدنا أن ثمة أزمة يعاني منها المثقف العراقي. ويمكن تحديد ملامحها فيما يأتي:

١- أزمة فكرية عقائدية.

٢- أزمة اقتصادية.

٣- أزمة (حوارية) تتعلق بالحوار مع الآخر.

٤- أزمة (أدلجة) الأفكار، وقراءتها قراءة معاكسة لدلالتها الحقيقية.

فأما الأزمة العقائدية، فإنا نلحظ في المثقف ميلاً إلى أفكاره التي يتبناها، ويؤمن بها، فنجده ينظر لها، ويسوغها، في محاولة منه لترسيخها وتأصيلها في المجتمع. والواقع أن هكذا (أزمة) لا مشكلة فيها إن كان صاحبها أو حاملها لا يعمد إلى البعد القسري في فرض أفكاره، أو أن يجبر (الآخر) على الإيمان بها بشكل عمدي (تعصبي). ونحن نعدها (أزمة) لأن الكثير من المثقفين يلتزم بهذه الصورة من الإشكالية الفكرية، مع أنه يرفضها صراحة، ولاسيما إن ظهر في إحدى القنوات الفضائية!!

والحق أن ترسيخ القناعات الفكرية لا يكون بالجبر والإكراه وهو ما منعته الديانات الإلهية جميعاً، ومنها

الإسلام الذي ركز على أسلوب (الدعوة بالحسنى)، فضلاً عن الإقناع بالدليل والحجة.

أما الأزمة الاقتصادية، فهي إشكالية تمنع المثقفين من أن يدلوا بدلوهم في التفكر والتغيير الصالح، وهو ما يمنع الرقي والترف الفكري من أن يدب في ثنايا المجتمع العراقي والعالمي.

وكم وجدنا من المبدعين من لا يمتلك قوت يومه في زمن ولى ولما تزل بقاياه تنخر في بنية المجتمع. إن الفقر المادي يمثل حاجزاً يُفاجَأ العقل بوجوده لابثاً بمنعه من أن يسطر أفكاره التغييرية، والعقلانية. فينبغي إزالة هذه الإشكالية المادية لكي ينطلق الفكر نحو الأفق الأوسع فتنهض حضارتنا الجديدة نحو ألقها، ويغدو المثقف منطلقاً بوعيه ورؤاه باتجاه التأصيل والإبداع الفكري.

وتتمثل الأزمة (الحوارية) إشكالية تمنع التلاقح الفكري، وتعرض الثقافة إلى نوع من الانطواء على الذات دون معرفة (الآخر) بجميع أنواعه الحضارية. فنحن نرى مثقفينا يمثلون الانطواء والانغلاق الثقافيين ويتمثلونه، وإن كانوا يحاولون الخروج من هذه الأزمة التي اعتقدنا أنهم يهربون منها إليها - إن صح التعبير - فالاكتفاء بأفكار الفئة الواحدة أو البيئة الدينية الواحدة يمثل عقبة كأداء في حركة النهوض بالواقع الثقافي للشعوب، التي تتجمع فيها فئات متعددة المشارب والعقائد والأثنيات، فكل شعب هو عبارة عن ألوان من التعدديات المذهبية والقومية وهو ما يكون له امتدادات في بلدان أخر.

وذلك يتطلب من المثقف الواعي (مثقفنا) أن يكون ملماً أولاً بتلك الأطياف العديدة، ومنفتحاً عليها ثانياً، بحيث تكون سلطة التحاور والإقبال على (الآخر) هي الحاكمة عليه، والجاذبة له نحو أخيه في الدين أو نظيره في الخلق. يسمع منه ثقافته وأفكاره الحضارية ويُسمعه ما يتبناه من رؤى ومرجعيات ثقافية ولتكن تلك الحوارات تكاملية تنفع المجتمع البشري بكل أطيافه وتنوعاته.

أما الأزمة الخاصة بأدلجة الأفكار، وقراءتها قراءة خاطئة، فهي إشكالية ينبغي على المثقف تجنبها حتى لا يتجنى على الآخرين، ويصفهم بأوصاف لا تنبغي له ولأمثاله. ونحن نعاني من هذه القراءات العكسية لأفكار الآخر. ويدفعنا إلى ذلك أيديولوجيتنا السياسية والدينية والعصبية. وليس لنا إلى منع ذلك المشكل إلا التبصر الدقيق وفهم دلالات الألفاظ التي ينظر بها الآخرون لأنفسهم لا أن نقرأهم بحسب أهوائنا رغبة منا في إلغائهم والقضاء على أفكارهم.

إننا هنا بإزاء أزمات متعددة أصابت (مثقفنا) في الصميم، ولكن لكل جواد كبوة، والغَلَبة لمن ينهض من كبوته، ويُنهِض معه من تشبث به.

إن آمال المجتمع رهينة في أعناق (مثقفنا الواعي) الذي يأخذ بزمام الأمور، ويتجه بها نحو الإبداع والرقي فيكون صاحب (القلم) الفصل والعقل المبدع ■

المظاهر الوحدوية للدولة الاتحادية (الفيدرالية)

في المجالين الخارجي والداخلي

• مهدي عـــابدين
كلية القانون/ جامعة الكوفة

ينابيع

أولاً: المظاهر الوحدوية للدولة الاتحادية (الفيدرالية) فـــي المجـــال الخارجـــي:

لا يوجد في الاتحاد المركزي سوى شخصية دولية واحدة، هي التي تتقرر لدولة الإتحاد.

ويترتب على وحدة الشخصية للدولة الاتحادية (الفيدرالية) ما يلي:

- أن يكون للدولة المركزية وحدها الدخول في علاقات دولية مع غيرها من الدول.
- وأن تكون وحدها عضواً في المنظمات الدولية.
- كما يكون لها وحدها حق إبرام المعاهدات.

- ويكون لها وحدها حق تبادل التمثيل الدبلوماسي.
- ولها وحدها حق تقرير الحرب والسلم.

وبالإضافة إلى ذلك كله فإنه يترتب على تمتع دولة الاتحاد المركزي بشخصية دولة دون غيرها من الأقاليم أو الدويلات ما يلي:

إن الاتحاد المركزي يقيم جنسية مشتركة لجميع مواطني الأقاليم أو الدويلات فيتمتع هؤلاء جميعاً بجنسية واحدة هي جنسية الدولة الاتحادية، كما يعتبر إقليم الاتحاد وحدة واحدة بحيث يشمل جميع الأقاليم الداخلة في الاتحاد، وكذلك يرأس الدولة الاتحادية شخص واحد هو رئيس الدولة الاتحادية[1].

ثانياً: المظاهر الوحدوية في المجال الداخلي:

لا تقتصر مظاهر الوحدة في الاتحاد المركزي على المجال الخارجي، بل تتعداه أيضا إلى المجال الداخلي في بعض الوجوه:

- وجود دستور اتحادي مركزي موحد.
- وجود هيئة تشريعية مركزية موحدة.
- وجود هيئة تنفيذية مركزية موحدة.
- وجود هيئة قضائية مركزية موحدة.

تتكون الهيئة التنفيذية الاتحادية تختلف بحسب ما إذا كانت الدولة تقوم على النظام الرئاسي (كما في الولايات المتحدة)، أو نظام حكومة الجمعية (كما في سويسرا)، أو النظام البرلماني (كما في ألمانيا أو بريطانيا). ففي ألمانيا مثلاً التي تأخذ بالنظام البرلماني فتتكون الهيئة التنفيذية من المستشار والوزارة الاتحادية حيث يشترك كلاهما في ممارسة مهام الهيئة التنفيذية[2].

وتختص الهيئة التنفيذية الاتحادية عادة بتنفيذ القوانين الصادرة عن البرلمان الاتحادي في جميع دويلات أو أقاليم الاتحاد، وكذلك تقوم بإصدار القرارات الاتحادية التي تخص الدولة كلها. أما الهيئة التنفيذية للإقليم أو الدويلة فلا يتعدى نطاق اختصاصها التنفيذي حدود الإقليم.

إن النقد الدستوري يميز بين ثلاث طرق مختلفة يمكن للهيئة التنفيذية الاتحادية أن تعتمدها في أداء مهمتها، وهي:

١. طريقة الإدارة المباشر:

وتتمثل في إنشاء الحكومة الاتحادية إدارات خاصة بها داخل الأقاليم الأعضاء تكون تابعة لها مباشرة ومستقلة عن الأقاليم. وتنفذ هذه الإدارات أوامر وقرارات الهيئة المركزية مباشرة في الإقليم. إن مثل هذه الطريقة أخذت بها الولايات المتحدة الأمريكية، لكن لهذه الطريقة عيوباً لأنها تثير نوعاً من الصراع بين الأقاليم والدولة الاتحادية مما يخلق صعوبات عملية تعطل التنفيذ فضلاً عما تتطلبه من مصاريف باهضة تكلف ميزانية الدولة الاتحادية[3].

٢. طريقة الإدارة غير المباشرة:

وتتلخص بأن تعهد الحكومة المركزية إلى الأقاليم ذاتها بمهمة التنفيذ داخل إقليمها بواسطة إدارتها وأجهزتها المحلية، ولكن تحت رقابة الحكومة المركزية. وقد أخذ بهذه الطريقة الدستور الألماني لسنة (١٨٧١م)، وتتميز هذه الطريقة بأنها توفر الكثير من النفقات كما أنها تزيل الحساسية لدى

الأقاليم مما يهيأ فرص الانسجام بينها وبين حكومة الاتحاد، لكنها لا تقدم حلولاً حاسمة ضد ما تقع فيه الأقاليم من إهمال أو تراخ في التنفيذ.

٣. طريقة الإدارة المختلفة:

وتتم بأن تتوزع مهمة تنفيذ القوانين والقرارات الاتحادية داخل الأقاليم بين موظفي الاتحاد في الأقاليم وبين حكومات الأقاليم ذاتها، وقد أخذ بهذه الطريقة الدستور السويسري الاتحادي[٥] ويمكن أن تعتبر هذه الطريقة أكثر ملائمة للدولة الاتحادية، حيث أنها تشرك هيئات الأقاليم المتحدة وهيئات الدولة الاتحادية في ممارسة تنفيذ القرارات، وبهذه الطريقة تشعر الأقاليم المتحدة بأن لها سلطة في ممارسة القرارات الصادرة عن الدولة الاتحادية، لكن تنفذ هذه القرارات يتم تحديد في الدستور الاتحادي أو القوانين الاتحادية حتى لا يحدث خلط في ممارسة تنفيذ هذه القرارات من قبل هيئات الدولة الاتحادية أو هيئات الأقاليم المتحدة.

أما بالنسبة للهيئة التشريعية المركزية الموحدة، فإن القاعدة المستقرة أن الهيئة التشريعية الاتحادية تقوم من حيث التشكيل على نظام المجلسين، وقد روعي أنه يلزم تمثيل شعب الاتحاد في مجلس نيابي على قاعدة الانتخاب بطريقة الدوائر الانتخابية، ولذلك يكون ممثلو الإقليم الأكثر سكاناً هم الأكثر عدداً، كما روعي أيضاً ونزولاً على ضرورة حفظ التوازن بين مصالح دولة الاتحاد ومصالح الأقاليم الأعضاء أن يتكون مجلس ثان لتمثيل الأقاليم على أساس المساواة فيما بينها بغض النظر عن مساحتها أو عدد سكانها، وهذا ما جاء في [م١ ف٣] من الدستور الأمريكي بأنه (... يتألف مجلس الشيوخ من شخصين عن كل ولاية...)، إلا أن قاعدة المساواة في تمثيل الأقاليم أو الولايات في المجلس الأعلى غير مطلقة، فقد خرجت دساتير بعض الدول الاتحادية عن هذه القاعدة فلا تمثل أقاليمها أو دويلاتها على قدم المساواة وإنما يكون تمثيلها على أساس كثافة سكانها، من ذلك دستور ألمانيا لعام (١٩٤٩م) الذي جعل ممثلي الأقاليم أو الدويلات يتراوح بين ثلاثة وخمسة تبعاً لعدد سكان الإقليم.

ومهما اختلف عدد ممثلي الأقاليم المتحدة، فإن لكل إقليم صوتاً واحداً مهما قل أو زاد عدد ممثلي الإقليم، وبذلك نكون أما عدد متساوي في التصويت بين الأقاليم المتحدة في المجلس الاتحادي الأعلى وهذا ما جاء في [م٥١ ف٣] من دستور ألمانيا الاتحادية، حيث جاء فيها بأنه (... ٣- يصوت ممثلو الولاية تصويتاً جماعياً...).

إن من الواجبات المهمة للهيئة التشريعية الاتحادية إصدار التشريعات الواجبة الإتباع داخل كل دولة الإتحاد وفي مواجهة كل رعاياها، وهي تتصل غالباً بالأمور الهامة التي تتعلق بالاتحاد والتي حددها الدستور الاتحادي.

وكذلك فالدساتير الاتحادية تجعل الاختصاص التشريعي من اختصاص المجلسين التشريعين. ومن ثم لا يمكن سن أي قانون إلا بموافقة كل من المجلسين عليه. وهذا ما أخذ به الدستورين

السويسري والأمريكي. ولذلك تقتصر مهام برلمانات الأقاليم المتحدة على وضع التشريعات الداخلية الخاصة بالإقليم وفي حدودها فقط، مع مراعاة عدم تعارض هذه التشريعات مع تشريعات البرلمان الاتحادي.

المظاهر الاستقلالية في المجال الداخلي للأقاليم:

مادامت الأقاليم الداخلة في الاتحاد لا تملك الشخصية القانونية، ومن ثم لا تملك حق مباشرة مظاهر السياسة الخارجية، فإنها لا تفقد جميع مظاهر السلطة الداخلية.

ويترتب على هذا الوضع أن يكون لكل إقليم دستوره الخاص به وهيئاته العامة المتميزة، تشريعية وتنفيذية وقضائية ويترتب على ذلك الاستقلال الداخلي، إن الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية في الإقليم المتحد هيئات حاكمة، وليست مجرد هيئات إدارية (كما في اللامركزية الإدارية) وأنها مستقلة في ممارسة اختصاصها فلا تخضع لرقابة أو وصاية من جانب السلطة المركزية. ونتيجة لذلك فإن علاقات الأقاليم بعضها ببعض ومع الدولة الاتحادية المركزية هي علاقات خاضعة للقانون الدستوري الاتحادي، ولذلك تتصدى دساتير الدول الفيدرالية لتنظيم هذه العلاقات.

آلية توزيع الاختصاصات بين الدولة الاتحادية والأقاليم المتحدة:

إن توزيع الاختصاصات بين الهيئات الاتحادية وتلك التابعة للأقاليم المتحدة تختلف بحسب ظروف ونشأة كل دولة. فهناك ثلاث طرق أساسية تسير عليها الدساتير الاتحادية في توزيع الاختصاصات بين هيئات الاتحاد المركزي وهيئات الأقاليم المتحدة:

الطريقة الأولى:

أن يحدد الدستور الاتحادي اختصاصات حكومات الأقاليم على سبيل الحصر، بحيث يكون ما عداه من اختصاص حكومة الاتحاد. إن هذه الطريقة تؤدي إلى توسيع اختصاصات الاتحاد وتقوية مركزه مع مرور الزمن، حيث إن الاختصاصات الجديدة تكون من حصة الدولة الاتحادية، وقد أخذت بهذه الطريقة (الهند) وفق دستورها لسنة (١٩٤٩م) و(فنزويلا) وفق دستورها لسنة (١٩٥٣م) وكذلك أخذت بها (كندا).

الطريقة الثانية:

وقد يحدد الدستور اختصاص الاتحاد حصراً، وما عداه يكون من اختصاص الأقاليم المتحدة، ويعني هذه حرص الأقاليم الداخلة في الاتحاد على كياناتها وسيادتها الداخلية أكثر من حرصها على دعم الاتحاد وتقويته. وقد أخذت الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الطريقة وتبعتها سويسرا والإمارات العربية المتحدة.

الطريقة الثالثة:

إن تجدد الدستور الاتحادي اختصاصات كل من الحكومة المركزية وحكومات الأقاليم المتحدة على سبيل الحصر. إن عيب هذه الطريقة في توزيع الاختصاصات لن يكون شاملاً مهما كان دقيقاً، لأنه سريعاً ما تستجد مسائل لم يتناولها الدستور الاتحادي بالتنظيم مما يكون سبباً في إثارة الخلاف بين حكومة الاتحاد وحكومات الأقاليم الأعضاء[٦].

وبالرغم من هذا فإن الدول الاتحادية قد عالجت هذه الأمور وفق طرق متعددة نصت عليه دساتيرها، وفيها:

١ـ تنص الدساتير الاتحادية أحياناً على بعض المسائل المشتركة بين دولة الاتحاد والأقاليم المتحدة بهدف تمكين الأقاليم من ممارسة بعض الاختصاصات تحت إشراف ورقابة الحكومة المركزية التي تملك سلطة وضع الأسس العامة والمبادئ الرئيسية، ولكن الأقاليم تتولى التفصيلات خلال مرحلة التنفيذ.

٢ـ كما أن الدساتير الاتحادية غالباً ما تنص على بعض المسائل التي تجعل اختصاص الأقاليم المتحدة فيها اختيارياً، بحيث تستطيع ممارستها مما لم تسبقها فيه الحكومة الاتحادية المركزية.

٣ـ وهناك طريقة ثالثة وهي الأكثر معالجة لممارسة الاختصاصات المشتركة، ويمكن حلها بإحدى الوسائل الآتية:

ـ أن تبدأ الحكومة المركزية بوضع الأسس العامة وتترك التفصيلات إلى الأقاليم المتحدة.

ـ أو أن يتم تقاسم الاختصاصات بين الدولة المركزية والأقاليم المتحدة، بحيث تكون الاختصاصات المتعلقة بالشؤون الخارجية من اختصاص الدولة الاتحادية، وتصبح الاختصاصات التي تتعلق بالأمور والقضايا المحلية من اختصاص الأقاليم المتحدة.

اللامركزية الإدارية والنظام الاتحادي الفيدرالي:

النظام اللامركزي الإداري:

لقد أخذت أكثر الدول بالنظام اللامركزي الإداري، لأن اختصاصات الوظيفة الإدارية في الدولة تتوزع بموجبه بين السلطة المركزية من جهة وبين هيئات منتخبة محلية من جهة أخرى تباشر اختصاصات محددة ومستقلة عن السلطة المركزية، وإن كانت تخضع لنوع من الإشراف والرقابة من جانب السلطة المركزية. ولذلك فإن نظام اللامركزية الإدارية هي مجرد أسلوب إداري يقتصر على توزيع الاختصاصات فيه على الوظيفة التنفيذية وعلى ذلك فهي ترتبط بمشكلة التنظيم الإداري، إذن فهي مجرد أسلوب إدارة، وبالتالي فإن النظام اللامركزي الإداري يستند على عنصرين أساسيين هما:

١ـ وحدات إقليمية مستقلة تمثلها مجالس محلية منتخبة.

٢ـ عدم خضوع هذه الوحدات المستقلة لرئاسة الدولة خضوعاً تاماً.

وحدات إقليمية مستقلة تمثلها مجالس محلية منتخبة:

يعني نظام اللامركزية الإدارية توزيع ممارسة الوظيفة الإدارية في الدولة بين السلطة المركزية في العاصمة وبين هيئات مستقلة منتخبة تتمتع بالشخصية المعنوية كالمحافظات والمدن والقرى بحيث تباشر هذه الهيئات الإدارية والموكولة إليه تحت رقابة وإشراف السلطة المركزية في العاصمة، ويعني منح الشخصية القانونية (المعنوية) لهذه الوحدات أن تكون صاحبة حق وأهلاً للالتزام، بحيث يكون لها الحق بالتملك وتنسب لها التصرفات.

إن منح الوحدات المحلية، الشخصية

المعنوي لا يكفي لضمان استقلال حقيقي لهذه الأشخاص المعنوية، بل يلزم فوق ذلك الاعتراف لها بالاستقلال المالي بحيث تكون لها سلطة الحصول على الموارد اللازمة للنهوض بما معهود إليها من مصالح.

ويلزم فوق ذلك كله، كشرط من شروط اللامركزية الإدارية أن يكون انتظام أعضاء المجالس المحلية عن طريق الانتخاب، لأن الانتخاب ضروري لضمان استقلال الهيئات المحلية في مواجهة السلطة المركزية. ذلك لأن الهيئات اللامركزية المنتخبة تهدف إلى جعل إدارة المصالح المحلية بيد الأشخاص الذين يهمهم هذه المصالح مباشرة، وهم أكثر دراية ومعرفة بحاجات إقليمهم، وأكثر حرصاً على نجاح إدارتها وهو ما يتحقق بانتخاب أعضاء المجالس المحلية بين أبناء الإقليم. ولذلك فإن النظام اللامركزي الإداري لا يمس وحدة الدولة السياسية التي تعتبر الركيزة الأساسية للدولة الاتحادية حيث يظل في الدولة دستور واحد وهيئات مركزية واحدة تشريعية كانت أو تنفيذية أو قضائية ■

(١) إبراهيم عبد العزيز شيما، مبادئ الأنظمة السياسية، ص٦٢.
(٢) روبرت بوي وكارل فريدريك، دراسات في الدولة الاتحادية، ج٣، ترجمة د. صلاح الدباغ.
(٣) نفس المصدر السابق، ج٣، ص١٤٢.
(٤) نفس المصدر السابق، ج٣، ص١٤٤.
(٥) نفس المصدر السابق، ج٣، ص١٤٣.
(٦) د. طعيمة الجرف، نظرية الدولة، ص١٨٣.

عدل أمير المؤمنين عليه السلام

رجل نصراني، وكان قد بلغ من الكبر عتياً، فلقد عمل طيلة شبابه لكي يعيش من ثمرة أتعابه ولكنه لم يدخر شيئاً لوقت كبره وهرمه، ومع هرمه فقد ذهب بصره، ولم يبق أمامه طريق للمعيشة سوى السؤال والاستجداء.

مرّ به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم فقال: من هذا؟ ولماذا آل حاله إلى هكذا؟ ألا يوجد له ولد يتكفله؟ ألا يوجد له سبيل آخر يستطيع بواسطته أن يعيش أيامه الأخيرة عيشة محترمة تبعده عن السؤال؟.

فقالوا: يا أمير المؤمنين إنه نصراني، ولقد كان قوياً بصيراً، يعيش من كدّ يمينه وعرق جبينه، والآن فقد قوته وبصره معاً، وليس عنده ما يستطيع أن يقوّت نفسه به، فلم يبق له إلا السؤال.

فقال عليه السلام: استعملتموه، حتى إذا كبر وعجز منعتموه، انفقوا عليه من بيت المال.

سفينة البحار ٢/ ٩٥

الولاية
في الكتاب العزيز

• السيد عبد الستار الجابري

أو لم يقل فيه النبي مبلغاً
هذا علي في العلا أعلاك

ينابيع قال تعالى في كتابة العزيز: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (سورة المائدة: ٥٥) والبحث في الآية الكريمة يقع في أمور:

الأول: المراد من الولي.

الثاني: المراد من الولاية.

الثالث: المراد من الذين آمنوا، أهو عنوان كلي أم شخص معين.

الولي في اللغة:

قال ابن منظور في لسان العرب (ولي) من أسماء الله تعالى: الولي الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائمة لها، ومن أسماءه عز وجل (الوالي) وهو مالك الأشياء جميعاً المتصرف فيها، قال ابن الأثير: (وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي)[1].

وقال أيضاً: (... وفي الحديث أنه سئل عن رجل مشرك يسلم على يد رجل من المسلمين، قال: هو أولى الناس بمحياه ومماته أي أحق به من غيره...)[2].

وقال: (... ويقال فلان أولى بهذا الأمر من فلان أي أحق به...)[3].

ومن هنا يتضح أن الولي في اللغة موضوعة للأَوْلى والأحق من الغير وما ذكر لها من معان إنما هو من باب مصاديق هذا المعنى اللغوي.

الولي في القرآن:

عند متابعة الآيات الشريفة نجد أن لفظة الولي استعملت في القرآن الكريم بعدة معانٍ:

١ـ الدافع عن مولاه الأمور السيئة، كما هو دلالة الآيات: (١٠٧، ١٢٠) من سورة البقرة) و(٥١، ٧٠ من سورة الأنعام) و(٧٤، ١١٦ من سورة التوبة) و(٣٧ من سورة الرعد) و(٢٢ من سورة العنكبوت) و(٨، ٣١ من سورة الشورى).

٢ـ الصديق، كما هو دلالة الآية (٤٦ من سورة يوسف).

٣ـ المالك والمتصرف، كما هو دلالة الآية (٢٦ من سورة الكهف) و(٤ من سورة السجدة) و(٩، ٢٨ من سورة الشورى) ٤ـ الهادي، كما هو دلالة الآية (٤٤ من سورة الشورى، والآية ٢٥٧ من سورة البقرة).

٥ـ الأحق والأولى، كما هو صريح الآية (٦٨ من آل سورة آل عمران) و(١٣٥ من سورة النساء) و(٧٢، ٧٥ من سورة الأنفال) و(٦ من سورة الأحزاب) و(٢١ من سورة محمد).

ففي القرآن الكريم إذن استعملت لفظة الولي في معانٍ متعددة والمراد الوقوف على معنى.

الولي في الآية الكريمة:

١. ولاية الله تعالى:

إن ولاية الله تبارك وتعالى تصدق عليه جميع المعاني المذكورة وحيث أطلقت لفظة الولاية هنا ولم تقترن في الآية الشريفة بما يدل على إرادة معنى خاص منها فيرجع فيها إلى المعنى اللغوي الذي تكون جميع المعاني الأخرى المذكورة عبارة عن مصاديق له فيكون المراد من (إنما وليكم الله) هو أن الله تبارك وتعالى هو الأولى بكم.

ثم السؤال عن حدود ولاية الله تعالى على العباد، والجواب أن الولاية تارة تكون محدودة مقيدة وأخرى تكون مطلقة، والتحديد في الولاية إنما يتبع شخص الولي فإن كان الولي محدوداً مقيداً كانت ولايته مقيدة محدودة، وكذا إن كانت الولاية ممنوحة له من الغير تحدد بالحدود التي يرسمها ذلك الغير، أما الله تبارك وتعالى فهو في مقام ذاته القدسية فوق الحدود والقيود فولايته على المخلوقات أيضاً غير محدودة بحد ولا مقيدة لمقام تصرفه فيها، في حين أن الآية في مقام الإخبار لا التشريع فهي حاكية عن مقام الولاية، ومن خصائص الولي وشؤونه نستكشف إطلاق الولاية الإلهية وانتفاء تقييدها وتحديدها.

٢. ولاية الرسول صلى الله عليه وآله:

الولاية الثانية الداخلة ضمن إطار الحصر الوارد في الآية الشريفة هي ولاية الرسول صلى الله عليه وآله والتي هي امتداد للولاية الإلهية وهي أيضاً ولاية مطلقة غير محدودة بحد ولا مقيدة بقيد بل تمتد لتشمل جزئيات حياة الفرد المسلم بحيث يُسلب الفرد الحق في اتخاذ أي موقف شخصي يتعلق بشؤونه الخاصة فيما إذا أعلن الرسول صلى الله عليه وآله ولايته وقد جاءت بعض الآيات الشريفة لتعبر عن هذه الولاية المطلقة حيث قال تبارك وتعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وقال جل شانه: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم).

وهذا الإخبار القرآني إنما هو كاشف من ثبوت خصوصية في ذات النبي صلى الله عليه وآله تجعله مؤهلاً في مقام التشريع وإصدار القوانين إلى المنع من الحرية الشخصية وإلغاء حق الفرد في اختيار قراراته الخاصة، وهذه المرتبة العظيمة والخاصية الفريدة في ذات الرسول صلى الله عليه وآله إنما تحققت فيه لسمو ذاته المقدسة واختصاصه بمراتب من الكمال الموجودة فيه والمفقودة في غيره من الخلق، والكمالات ثابتة له في أول نشأته الوجودية حيث ورد أن أول ما خلق الله تعالى نور النبي صلى الله عليه وآله ثم خلق منه كل خير.

٣. ولاية الذين آمنوا:

الولاية الأخرى التي تعرضت لها الآية الشريفة هي ولاية (الذين آمنوا) وهو مورد اختلاف المفسرين حيث ذهب الشيعة إلى أن المراد من (الذين آمنوا) خصوص أمير المؤمنين عليه السلام بقرينة الوصف المتصل وهو (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون).

وذهب مفسرو العامة إلى عدة آراء فمنهم من ذهب إلى أن المراد من الذين آمنوا:

١- خصوص أمير المؤمنين عليه السلام وهو قول أغلب مفسريهم.

٢- المراد مطلق المؤمنين وأمير

المؤمنين عليه السلام أحدهم وهو قول ابن كثير الدمشقي في تفسيره في ج٦ ص٨١، والأندلسي في المحرر الوجيز والقرطبي ج٣ ص١٤٣.

٣- المراد مطلق المسلمين استناداً إلى رواية عن ابن عباس.

٤- المراد خصوص أبي بكر بن أبي قحافة.

٥- المراد عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

مناقشة الأقوال:

الرأي الأول:

أما من قال بنزولها في خصوص أمير المؤمنين عليه السلام فتسنده الروايات الكثيرة المتظافرة بل المتواترة في نزول هذه الآية عند تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه وهو راكع، وروايات هذا الموضوع من طرق العامة وفي كتبهم فوق التواتر وقد ذكر قضية تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه حال الركوع جماعة كثيرة من محدثي العامة ذكر جماعة منهم العلامة الأميني قدس سره في موسوعته العظيمة الغدير (ج٣ ص١٤١-١٤٧).

الرأي الثاني:

إرادة مطلق المؤمنين استناداً إلى أحد أمور ثلاثة:

١- عموم الذين آمنوا وكونه جاء بلفظ الجمع.

٢- ما روي في طرق العامة عن الإمام الباقر عليه السلام.

٣- ما روي في طرق العامة عن ابن عباس.

فأما العموم فإنه يمكن أن تكون الصفة المتصلة به وهي (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) مخصصة له ومن احتمال التخصص لا يكون العموم حجة، لأن العموم يكون حجة من إحراز عدم القرينة المتصلة أو المنفصلة. وأما لو أدعي أن العموم حجة مطلقاً حتى ورود المخصص فهو مما لا يمكن الإلتزام به للوازمه العرفية والشرعية الفاسدة، حيث أنه على خلاف عرف التخاطب لجريان السيرة برفع اليد عن العموم في حال ورود المخصوص، كما أنه يلزم من الالتزام بالعموم أو الإطلاق حتى مع ورود القرينة ولو منفصلة بعض اللوازم الشرعية الباطلة كجواز الزواج من المحارم الباطل شرعاً حيث قالت الآية (وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وقالت آية أخرى (حرمت عليكم أمهاتكم...) فالآية الثانية مقيدة لإطلاق الآية الأولى.

وفي الآية مورد البحث فإن صفة التصدق حال الركوع وثبوت اختصاصها بأمير المؤمنين عليه السلام حال ركوعه موجب التخصيص ذلك العموم، اللهم إلا أن يدعى أن صفة التصدق حال الركوع جاءت على نحو ذكر المصداق الأول للذين آمنوا ومعه تكون الآية شاملة لغير أمير المؤمنين عليه السلام فتكون دائرة الذين آمنوا أوسع من خصوص أمير المؤمنين عليه السلام ولكن أول مصاديق الذين آمنوا هو أمير المؤمنين عليه السلام، كما هو دلالة الرواية التي يرويها العامة عن الإمام الباقر عليه السلام.

والرواية عن الإمام الباقر عليه السلام فيها مناقشة من عدة جهات:

١- ضعف سندها.

٢ـ معارضتها بالروايات المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام.

٣ـ مع الإغماض عن الجهتين المتقدمتين أن الثابت عن مذهب الإمام الباقر عليه السلام أنه لا يرى ولاية عامة مطلقة لغير المعصوم عليه السلام على بقية الناس ومعه يكون المراد من الذين آمنوا في الرواية في حال ثبوتها الواقعي هو خصوص الأئمة المعصومين والذين أولهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما ما روي عن ابن عباس فهو معارض برواية أخرى في اختصاص الآية بأمير المؤمنين عليه السلام وبرواية ثالثة في شمولها لعموم المسلمين، ومع التعارض يؤخذ بما طابق التواتر وهو الاختصاص بأمير المؤمنين عليه السلام وإذا عدنا إلى رواية الإمام الباقر عليه السلام وغضضنا الطرف عن ضعفها السندي ومخالفتها للمتواتر عن أهل البيت عليهم السلام فيمكن توجيهها أيضاً بأن المراد من الذين آمنوا حسب الرواية هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض، إن هؤلاء المؤمنين هم الذين لهم كمالات ومقامات تشابه وتقارب كمالات ومقامات النبي صلى الله عليه وآله وليس أولئك إلا الأئمة المعصومين عليهم السلام كما ثبت من ثبوت مقامهم النور في النشأة الأولى وهو أمر اشتركوا فيه مع النبي صلى الله عليه وآله وكانوا بحسب هذا المقام أئمة معصومين وسادة مكرمين علق على وجودهم حفظ الحياة على الأرض كما هو دلالة المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في كون أهل بيته أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيته جاء أهل الأرض ما يوعدون. والخلاصة أن في حال عدم اختصاص الذين آمنوا بأمير المؤمنين عليه السلام فهي مختصة قطعاً بالكُمَّل من أفراد النوع الإنساني وهم خصوص المعصومين عليهم السلام ولا تعم غيرهم من المؤمنين.

الرأي الثالث:

وأما إرادة جميع المسلمين استناداً إلى رواية ابن عباس فهو أمر مقطوع البطلان لعدة جهات:

١ـ معارضتها للروايات المتواترة في الاختصاص بأمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ معارضتها لرواية ابن عباس نفسه في النزول في المؤمنين وفي خصوص أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ يحتمل وضعها من قبل وعاظ السلاطين والجهاز الإعلامي، المرتبط ببني أمية لتكون للطلقاء ولاية على الناس.

الرأي الرابع:

وروى عكرمة عن ابن عباس نزول هذه الآية في أبي بكر. وعكرمة معروف ببغضه لأمير المؤمنين عليه السلام وعدائه له والوضع على ابن عباس، إضافة إلى معارضة هذه الرواية مع الروايات المتواترة في نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام.

ويبرهن على وضع هذه الرواية أنها وضعت ضمن الخطة الإعلامية التي انتهجها

معاوية وبنو أمية من بعده للحطّ من قدر أمير المؤمنين عليه السلام ونسبة فضائله إلى غيره، وتوصيفه بعيوب غيره.

ومن هنا يسقط هذا الرأي عن الاعتبار، ويبقى القول إنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام هو القول المعتمد لتواتر الروايات فيه، وسقوط المعارض عن الاعتبار.

الرأي الخامس:

وأما نزولها في خصوص عبادة بن الصامت رضي الله عنه فهو باطل لثلاث جهات:

١ـ التعارض المتواتر من الروايات في النزول في خصوص أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ ضعف سند الروايتين الدالتين على النزول في عبادة.

٣ـ إن كلا الروايتين وقع في سنده رجل مبغض لأمير المؤمنين عليه السلام ومن موظفي الجهاز الإعلامي للدولة العباسية في الأيام التي حاول العباسيون فيها إشاعة عقيدة النص على العباس بن عبد المطلب ومحاربة أئمة أهل البيت عليهم السلام على جميع الأصعدة الفكرية والاقتصادية والسياسية وهي الفترة الممتدة بين حكم أبي جعفر المنصور حتى نهاية حكم الرشيد، وهذان الرجلان هما:

١ـ يونس بن بكير المتوفي سنة (١٩٩هـ) وقد ذكر في تهذيب التهذيب ج٣ ص٤٥٦ وص٨١٨٣ طعن علماء الجرح والتعديل من أبناء العامة فيه واتهامهم إياه بمشايعة السلطان ووصل الأحاديث بابن إسحاق مع جهالته.

٢ـ عبد الله بن إدريس وقد وثقه رجال العامة ووصفوه بأنه كان عثمانياً، وكان الرشيد قد طلب منه تولي القضاء، تهذيب الكمال ج٤ ص٢٣٢ وص٣٢٩٥.

ومن كونه عثمانياً في العصر العباسي يتضح بما لا ريب فيه بغضه لأمير المؤمنين عليه السلام ومحاولة إخفاء فضائله وكونه من ذيول التيار الأموي وأعوان طغاة بني العباس.

خلاصة البحث:

من خلال دراسة آي الذكر الحكيم دراسة علمية موضوعية ومن خلال التبحر في أقوال المفسرين وأدلة أقوالهم ونقدها علمياً موضوعياً نجد أن الإمامة التي نص عليها الكتاب العزيز في قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) الدال على اشتراط العصمة في الإمام ومن قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) الأخبار عن عصمة أهل البيت عليهم السلام وأنهم الأئمة من ذرية إبراهيم عليه السلام فإن آية الولاية دلت بما لا مزيد عليه من أن أول من يجب على الأمة طاعته والرجوع إليه هو أمير المؤمنين عليه السلام، وإن الذين آمنوا أما أن تنحصر به للوصف المتصل أو تعمم المعصومين عليهم السلام ليكون هو المصداق الأول للذين آمنوا بملاك وحدة الوجود النوري الذي سبقوا به جميع الموجودات وبه استحقوا أعلى الكمالات فهو الملاك في عصمتهم وولايتهم وكونهم الإنسان الكامل الذي هو المظهر الأتم لتجليات أسماء الجمال والجلال الإلهية ■

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ٨٢٢.
(٢) المصدر السابق ٨/ ٨٢٣.
(٣) المصدر السابق.

تاريخ مذهب أهل البيت(ع)

تصحيح ومواجهة الشبهات والتشويه

• أ. د. حسن الحكيم
رئيس جامعة الكوفة

ينابيع يتناول موضوعنا مصطلحي (المذهب) و(الشبهات) وإذا كنا نعني بمذهب أهل البيت عليهم السلام المعتقد بمحتواه الديني والعقائدي وما يضم من مفاهيم سياسية واقتصادية. فإن النصوص تشير إلى ارتباط مذهب أهل البيت عليهم السلام بالرسالة المحمدية في الأهداف والمبادئ والغايات، فالرسالة التي ناضل من أجلها رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله قد أصبحت أمانة في أعناق أهل البيت (سلام الله عليهم)، حتى استشهدوا من أجلها، فقد كانت الشهادة أداة إيصال هذه الأمانة في الوقت الذي كان وجودهم مصدر قلق للحاكمين، فامن بآل البيت عليهم السلام أصحاب العقيدة

السليمة والفكر الإسلامي الصحيح، فأطلق على هذه الشريحة المؤمنة لفظ (الشيعة) وقد حددت مصادر اللغة هذا اللفظ بالأتباع والأعوان والأنصار، وهو لفظ عام يمكن أن يلتصق بالكثير من الرجال والعشائر ولكن بأنصار أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام فإذا أطلق لفظ (الشيعة) تبادر إلى الذهن شيعة أهل البيت، أو عترة المصطفى (سلام الله عليهم) الذين (أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) وفق النص القرآني.

لقد أصبحت موالاة أهل البيت فريضة على المسلمين كما ورد في القران الكريم والحديث النبوي الشريف، فيقول المؤرخ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): (اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم)[1] وقد ذهبت بعض المصادر إلى أن لفظة الشيعة قد برزت في عصر الرسالة، فهناك رواية عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس عند تفسيره للآية الكريمة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) بأن النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: (أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضابى مقمحين) ومن يتتبع كتب الحديث والمناقب والتاريخ والأدب يقف على أحاديث كثيرة في نشأة التشيع وامتداد جذوره وصولا إلى عهد النبي صلى الله عليه وآله، وقد حاولت السلطة منذ اجتماع السقيفة حتى وصول الأمويين إلى الحكم - عدا فترة خلافة الإمام علي عليه السلام - إبعاد اتصال التشيع بالرسالة تاريخاً مما دعا الأمويين إلى استئجار جماعة من الفقهاء والمحدثين والخطباء لغرض ترويج السياسة الأموية، وتشويه عقيدة التشيع وكل من لا يسير في ركاب السياسة الأموية، حتى أصبحت معاداة أهل البيت ظاهرة بارزة، وإزاء هذا الموقف المعادي لآل بيت النبوة، أخذت الأحزاب المساندة لآل البيت عليهم السلام تجاهر معارضتها للسلطة الأموية، فالتف بعضهم حول الائمة عليهم السلام، يأتمرون بأوامرهم، وينشرون أفكارهم وينوبون عنهم إذا اقتضت الحاجة إلى ذلك، في حين أن بعض الموالين أعلن الثورة والمناداة بأحقية آل البيت في العصرين الأموي والعباسي.

وهناك فئة ثالثة قد غالت في الحب للائمة عليهم السلام وأعطتهم صفات الألوهية والنبوة، وقد وقف الأئمة عليهم السلام بشدة بوجه أصحابها، وأوضحوا للناس فساد عقيدتهم ولعنوهم على رؤوس الأشهاد وقد حاولت السلطة أن تجعل من هؤلاء وسيلة للطعن بآل البيت عليهم السلام، وجندت طبقة من رجال العلم والفكر للنيل من التشيع السليم الصحيح، ولعب الامتزاج السياسي الفكري دورا في وضع الأحاديث المزيفة والموضوعة لصالح الدولة، وقد تفاقم الوضع في العصر العباسي، وقد حاول علماء الحديث والرجال وضع معايير علمية في تصنيف الأحاديث وفق مراتبها ووضع مصطلحات الجرح والتعديل لتصنيف الرجال الراوين للأحاديث من حيث الوثاقة وعدمها. وكانت حركة (الارجاء) إحدى القنوات لإسناد السلطة الأموية سياسيا، وحركة (أصحاب الحديث) لإسناد السلطة العباسية فكريا،

وقد رافق هاتين الحركتين بروز حركة الزندقة على المسرح الفكري، وقد اتسع نطاقها في العصر العباسي وعلى الرغم من تجنيد السلطة أجهزتها لقمع هذه الحركة فإنها لم تستطع إخمادها، وكان للإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام دور بارز في إيقاف حركة الزندقة، فقد تصدى الإمام الصادق عليه السلام بنفسه لمناظرة زعمائها تارة، وأوكل من ينوب عنه تارة أخرى، وقد أملى على تلميذه المفضل بن عمر اماليه التي جمعت في كتاب (التوحيد) للرد على الأفكار الهدامة[٢] وقد حذر بن المقنع عبد الكريم بن أبي العوجاء من الاجتماع بالإمام الصادق عليه السلام حتى لا يفسد عليه فكره، وتبرز خطورة ابن أبي العوجاء في إدخال الأحاديث الموضوعة، فأشار إلى ذلك المؤرخ ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في كتابه (الموضوعات) إلى أن قال: (وضعت أربعة آلاف حديث احرم فيها الحلال، واحلل فيها الحرام، والله لقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم)[٣] وقد واجه آل البيت عليهم السلام تيارا فكريا خطيرا مناهضا لتعاليم الإسلام وهو (الغلو) في الائمة عليهم السلام وقد برز هذا التيار بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عام ٦١ حتى أن بعض المغالين من الصق بالأئمة صفات الربوبية والنبوة، وذهب بعضهم إلى القول بالتناسخ وقد أشار الشيخ الكشي إلى بعض أعلام الغلو كمحمد بن نصير النميري[٤]، وكان الائمة عليهم السلام يحاججون هؤلاء في محاولة للعودة إلى الإسلام الصحيح السليم، والابتعاد عن الغلو وما لحق به من إضافات، وقد حاول بعض الكتاب الابتعاد عن هذه الحقيقة، وعد هذه الشبهة طريقة للطعن بمذهب التشيع.

وكان الائمة (سلام الله عليهم) قد تصدوا بعنف للذين يصنعون الأحاديث ويفترون على الله كذبا، بعد أن شاعت بين الناس آلاف الأحاديث الموضوعة والسقيمة والضعيفة، فوقف الإمام الصادق عليه السلام بين الناس وقال: (لا تقبلوا منا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد (لعنه الله) دس في أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وآله)[٥]. ولما ألصق أبو الخطاب بن محمد بن مقلاص صفة الألوهية بالإمام الصادق عليه السلام، وصفة النبوة لنفسه وانتشار دعوته بقوله: (لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبداً هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيء قط)[٦].

ولما أخذت فكرة المشبهة والمجبرة بالانتشار في المجتمع الإسلامي تصدى لها أئمة أهل البيت (سلام الله عليهم) عن طريق الحجة والمنطق ومن ثم البراءة منها، فيقول الإمام الرضا عليه السلام: (ومن

قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ونحن منه براء في الدنيا والآخرة) وأورد الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ) في كتابه (عيون أخبار الرضا) نصوصا رد فيها الإمام عليه السلام على المشبهة والمجبرة، كما أن الإمام الصادق عليه السلام من قبل قد تصدى للمفوضة بقوله: (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين) ولما سئل عن معنى هذا القول أجاب: (من زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك) وحينما سئل عن معنى (أمر بين أمرين) قال: (وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به، وترك ما انهوا عنه). وقد حث الإمام الصادق عليه السلام على تحري الحقائق ومن ثم تدوينها لأنها أمانة تقع مسؤوليتها على الباحث والكاتب فيقول: (اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا)[٦] وأراد عليه السلام أن يقول الرواية الشفوية معرضة للتشويه والإضافة والتحريف، وقد وقع هذا فعلاً حينما أحجم الكثير من الرواة على تدوين الحديث الشريف، وأخيراً وقعت الكارثة ودونت أحاديث موضوعية وضعيفة ومدسوسة، ولذا كان الإمام الصادق عليه السلام حريصا على إيراد الحديث الصحيح فيقول: (اعربوا أحاديثنا فإننا قوم فصحاء)[٧].

إن خطباء المنبر الحسيني وأئمة الجوامع والمساجد، وأساتذة الجامعات وأصحاب الكلمة والحرف أمام مسؤولية تاريخية كبرى إزاء ما علق بفكر آل البيت عليهم السلام من دس وتشويه من قبل المغرضين والحاقدين، وذلك بتفنيد تلكم المزاعم بأدلة علمية ومنطقية وإبراز النصوص السليمة حتى يقف عندها المتلقي باطمئنان على صحتها وسلامتها ■

(١) ابن خلدون: المقدمة ص١٣٨.
(٢) المفضل بن عمر: التوحيد ص٣٠.
(٣) ابن الجوزي: الموضوعات ١/ ٣٧.
(٤) الكشي: الرجال ٦/ ٨٠٤.
(٥) الكشي: الرجال ص١٤٦.
(٦) المجلسي: بحار الأنوار ٢٥/ ٢٩٤.
(٦) الكيني: الكافي ١/ ٥٢.
(٧) الشهيد الكافي: الرواية ص٦٦.

النبي(ص) وفضل التعلم

دخل النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم مسجد المدينة فشاهد جماعتين من الناس، كانت الجماعة الأولى منشغلة بالعبادة والذكر، والأخرى بالتعليم والتعلم، فألقى عليهما نظرة فرح واستبشار وقال للذين كانوا برفقته مشيراً إلى الفئة الثانية: ما أحسن ما يقوم به هؤلاء! ثم أضاف قائلاً: إنما بعثت للتعليم، ثم ذهب وجلس مع الجماعة الثانية.

منية المريد ص:١٠

الترابط الاقتصادي والأمني

في دولة الإمام المهدي(عج)

• هاشم حسين ناصر المحنك
رئيس تحرير مجلة الملتقى

ينابيع ينطلق الإسلام من أرضيته الصالحة للنمو والتطور والازدهار والرفاهية الاقتصادية والاجتماعية، بدعائم الأمن والسلام والكلمة الطيبة، وانسيابية مسيرة الحياة، بما فيه الفرد والمجتمع والدولة، بروح التفاني في خدمة الذات والإنسانية جمعاء، وفق فكر تربوي عظيم، وآلية تنطلق من القرآن الكريم وما تمهده السنة النبوية الشريفة، والمتواصل وفقه فكر أهل البيت عليهم السلام وفق مبدأ (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (سورة البقرة/ من الآية٢٥٦)، وهو مبني على (ادع إلى سبيل ربك

بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (النحل/ من الآية ١٢٥)، (والله يدعوا إلى دار السلام) (يونس/ من الآية ٢٥)، (وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (المائدة/ من الآية ٢)، (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) (التغابن/ من الآية ١٤)، وهكذا القرآن الكريم يزدهر بهذه الآيات البينات لبناء الإنسان من الدواخل وما يحيطه من ماديات وغير ماديات، وبناء العلاقة الطيبة مع أخيه الإنسان، لذا ترى من هذا المنطلق يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام للأشتر: (واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخٌ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق... الخ) (نهج البلاغة).

وبذات الروح الرسالة المحمدية المباركة، وتواصلاً للتطبيق الإنساني الذي ينقاد بالروح السلمية الأخلاقية تكون نهضة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عند ظهوره، ونتصفح ذلك من خلال الروايات المتعددة في السنة النبوية الشريفة ومن استمد منها، وقد ورد في (منتخب الأثر ص٣١٠، لطف الله الصافي) عن (بحار الأنوار) أنه (أقبل رجل إلى أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر - أي جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه - فقال رحمك الله اقبض هذه الخمسمائة درهم فضعها في مواضعها فإنها زكاة مالي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: بل خذها أنت فضعها في جيرانك والأيتام والمساكين، وفي إخوانك من المسلمين إنما يكون هذا إذا قام قائمنا فإنه يقسم بالسوية، ويعدل في خلق الرحمن، البر منهم والفاجر، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، فإنما سُمي المهدي لأنه يهدي لأمر خفي يستخرج التوراة وساير الكتب من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان، وتجمع له أموال الدنيا كلها، ما في بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء، وركبتم فيه محارم الله، فيعطي شيئاً لم يعطَ أحداً كان قبله، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو رجل مني اسمه كاسمي يحفظني الله فيه، ويعمل بسنتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً بعد ما تمتلئ ظلماً وجوراً وسوءاً).

وخلاصة ما يخص الإمام المهدي عليه السلام، نستشف بعض مما تقدم من النص المبارك ما يلي:

١- لنبدأ من نهاية النص من حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، (هو رجلٌ مني اسمه اسمي يحفظني الله فيه)، ويعني هو امتداد لذريتي، المتمثلة بفاطمة الزهراء عليها السلام، وابن عمه الإمام علي عليه السلام، أما (يحفظني الله فيه)، له أبعاد عديدة منها، لكونه من نسل أو سلالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهو وراثة بيولوجية، ووراثة فكرية عقائدية، في حمل فكر وتطبيقات الرسالة المحمدية، والنتيجة تكون (ويعمل بسنتي) وفق هذه المؤهلات التي يتصف بها ويحملها بك إخلاص وإقدام... وبهذا يكون (يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً بعدما تمتلئ ظلماً وجوراً وسوءاً).

٢- يظهر النور المهدوي المبارك - من خلال النص المتقدم - وبدايته بالحوار الفكري والعقائدي، أو يمكن تسميته بحوار الأديان وحوار الحضارات، (لا بالسيف كما يتصوره البعض)، فالمحاججة تكون بالالتقاء وتبادل الآراء لإحقاق الحق، وبهذا يحكم المهدي بن الحسن عليه السلام (بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان)، وهذا دليل رائع على أن المهدي ومن منطلق الرسالة المحمدية الشريفة الكريمة السمحاء، يقوم بحوار الأديان والحضارات، كلٌّ بلسانه وعقيدته لوضعه على قويم الصراط، وتقويم أفكارهم وعقائدهم بما ورد بكتبهم، وتفاعل الأفكار وتقويمها، وبالأمن والأمان، وهو المؤتمر الشامل الجامع المانع بأبعاده الإنسانية والأخلاقية، وفق وحدة مصدر التشريع والتبليغ الرسالي السماوي، والانطلاق من وحدة الفكر لمختلف الأديان نحو بناء الإنسان والإنسانية بالمحبة والسلام...

وهذا دليل على أن النهضة المهدوية لا تُبنى ولا تنطلق من إراقة أو سفك الدماء، وإنما تنطلق من أسمى منهج إنساني حواري من خلال النقل (المتمثل بالكتب السماوية) والعقل المتمثل بالأفكار والحقائق المطروحة، وهنا تكون الكتب السماوية، المرشد الأساسي الموجه لحوار الأديان والحضارات، وبكل معنى السلام والطمأنينة والإنسانية...

٣- ترابط البناء الفكري القويم، والاجتماعي المتين، والاقتصادي الذي يبني بعضه بعضاً، على أساس الوعي والحقائق المطروحة، بمنظور الأمن والأمان الإنساني، لذا فبعد حوار الأديان والحضارات بشعوبها ومجتمعاتها، تستوعب وحدة العقيدة الإنسانية، والمنظومة الاقتصادية الموحدة الواحدة، لمعالجة حالة الفوضى الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، وبهذه الإنسانية العظيمة (تجمع إليه أموال الدنيا كلها، ما في بطن الأرض وظهرها)، وبهذا تُبنى الاستراتيجية ومنظور الضمان الاجتماعي (Social Security) والعدالة الاجتماعية (Social Justice) وفق بناء الرفاهية الاجتماعية (Social Welfare) ، بعاملي الوعي والطواعية لبناء بعضهم البعض، وذلك من خلال ما يتم جباية الأموال من الصناعة الاستخراجية (من باطن الأرض كالمعادن والنفط المستخرج) والصناعات التحويلية (المتمثلة بتحويل شكل الخدمات والسلع من شكل إلى آخر)، وكذلك ما يتم من المحصول الزراعي، وهذا مختصر لما (في بطن الأرض وظهرها) من الأموال التي تجمع...

٤- مرحلة ما قبل توزيع الأموال، يتم بث روح الترفع عن ماديات الحياة، لإزالة فكر الطمع والجشع في دواخل

النفس البشرية وذلك من خلال قوله عليه السلام (للناس تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء، وركبتم فيه محارم اللّه)، وهذه الحلقة النفسية التي تربط ما بين ماديات الحياة وشعور الإنسان بإنسانيته، وكيف كان في عهد جنونه في جمع الأموال بالأساليب المحرمة، من تدمير المجتمع، وسفك الدماء بالحروب واستغلال الآخرين في مقدراتهم وقواهم العقلية والجسدية، وعمل كل شيء محرم من كذب ودجل ونفاق والاتجار بما لا يرضي اللّه كالمخدرات والأسلحة الفتاكة للشعوب، المنظورة وغير المنظورة... وغيرها من الأمور الدنيئة...

٥- مرحلة توزيع الأموال، التي يتم فيها بالعدالة والدقة، وفق ما شرع اللّه، لذا يكون عطاؤه كما في النص المبارك (فيعطي شيئاً لم يعط أحداً كان قبله)، وهذه قمة العدالة وإحقاق الحق في التوزيع، من نقي القنوات الاقتصادية وينتج من استثمارها بالشكل الأمثل، وبهذا يكون التوزيع له أبعاده الإنسانية - الأخلاقية، في الرفاهية الاجتماعية بالتضامن والتكافل الاجتماعي...

وبهذا الخصوص ورد عن ابن عساكر في منتخب الأثر/ ص٣١٠ (يكون في آخر الزمان خليفة يحثى المال حثياً، ولا يعدُّ) وبذات المصدر ص٣١١ عن مصابيح السنة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قصة المهدي عليه السلام قال: فيجئ إليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني، فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله)، وهذا دليل على قوة الاقتصاد في عهده عليه السلام.

ويضيف المصدر (منتخب الأثر/ ص٣١١) عن ابن طاووس قال: (المهدي جواد بالمال، رحيم بالمساكين، شديد على العمّال)، وهو ما يدلّل على قوة الدورة الاقتصادية، وقوة العائدية، وكثرة الأموال المتوافرة، بالإضافة إلى كونه عليه السلام يهتم بالشريحة الفقيرة والمسكينة التي لا تستطيع العمل، أما لأسباب العجز أو ما شاكله، وبذا كان الضمان والرعاية الاجتماعية له... إما كونه شديد على العمّال، فهو مدى مستوى تقويمه للأمور الإدارية والمالية والحيلولة دون الوقوع في آفة العصر المتقادم على مر العصور، ألا وهو الفساد الإداري والمالي، والذي يجعل من الشعوب ظالم ومظلوم، والغارق بالحرام في هدر حقوق الآخرين...

وبهذا نراه عليه السلام كما قال عنه الإمام علي عليه السلام (يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي) (نهج البلاغة).

وفيما يخص دولة الإمام المهدي عليه السلام وقوة اقتصادها والتطور والنمو والازدهار والعمران والأمان يقول أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: (وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر اللّه عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلا عُمِّر...) (منتخب الأثر/ ص٣٩٢).

وهذا مستمد مما روي عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا البعد القيادي والاقتصادي والعمراني: (تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا بره لشمول الغنى جميع المؤمنين...)

(منتخب الأثر/ ص٣٠٨) وكذلك قوله ﷺ: (ويظهر الله عز وجل له كنوز الأرض ومعادنها) (منتخب الأثر/ ص٢٩٣)...

وهذا يدلل على أن يكون المشرق والمغرب موحداً في ظل قيادته الكريمة، التي تهدف إعمار الإنسان وإعمار البلدان، والإعمار يكون شاملاً وجامعاً، شاملاً لك البلدان، جامعاً للأمور القويمة للبناء الدنيوي - الآخروي، وبحماية وأمن الإنسان من شروره على نفسه، وشروره على الآخرين، بقويم الفكر والسلوك الإنساني، مما يؤدي أن يكون (فلا يبقى في الأرض خراب إلا عُمِّر...) ودعمه بالموارد اللامحدودة بين يديه، والأموال الكبيرة، لذا (لا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقة ولا بره لشمول الغنى جميع المؤمنين)، وهذا يدلل على إن التكامل الاقتصادي والاجتماعي والفكري، بتفاعل قوى الفرد والمجتمع والدولة، وأيضاً يدلل على عدم وجود صراعات بين الشعوب والأقاليم، فيكون الإعمار قد أخذ مفعوله واهتمامات قائد هذه الأمة في كل أطرافها المترامية... ويثبت بذلك القصور في التوزيع في دقة بناء المجتمع والاقتصاد الشامل ينبني في الكيفية التي يُفهم ويعمل به وفق ما أنزله الخالق من الكتب السماوية، وبالذات القرآن الكريم وما يسترشد به الرسول الكريم ﷺ بأحاديث النبوية الشريفة، وما علَّم به الأئمة الكرام عليهم السلام... وبما توضع وفق ذلك لآليات التطبيق القويم، الذي يعرف كل ذي حقٍ حقه، ويعرف كل إنسان واجبه، ليؤدي واجبه الفردي والجماعي، بمشاريعه الخاصة والعامة، لتكون النتيجة إيفاء الحقوق لأهلها...

ويظهر مما قاله الإمام الباقر عليه السلام والوارد في (ينابيع المودة) والذي ذكره (منتخب الأثر/ ص٣٠٨) بأنه (...وتخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب، لا يؤذيها أحد، ويخرج الله من الأرض نباتها، وينزل من السماء قطرها)، وهو ما يدلل على مدى الترابط الاقتصادي والأمني وتقدمهما في عصر الظهور وبناء دولة الإمام المهدي الشريفة، وهذا ما يؤكد دقته في إحقاق الحق في (الملاحم والفتن)، بأنه (ويبلغ من رد المهدي المظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يرده)، وبهذا يتحقق إحقاقه الحق بكل أبعاده، شاملاً بذلك البعد الاقتصادي أو المالي، وبه يكون إحقاق الحق والعدالة والمساواة من سمات دولة الإمام المهدي...

ويضيف ابن عباس في البعد الأمني في تفسيره لقوله تعالى: (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة/ من الآية ٣٣)، قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا صاحب ملّة إلا دخل الإسلام، حتى يأمن الشاة والذئب والبقر والأسد والإنسان والحية، وحتى لا تقرض فأرة جراباً...) (منتخب

الأثر/ ص٢٩٥) وهذا دليل على الاستيعاب الكامل للأبعاد القيادية، ومدى دقة ومتانة الأبعاد الإنسانية في الحكم والإدارة، وما ينتج عنه من أمن وأمان، ومدى التآلف وإحقاق حقوق الإنسان والحيوان والبيئة المحيطة، ومدى قوة وفاعلية وآلية الاقتصاد والرفاهية الاقتصادية ـ الاجتماعية، فالمحور الأول والمتزامن مع أنشطة الحياة يكون باستتباب الأمن، بفاعلية دقة وآلية قويم الإدارة والقيادة فيها، التي تبني واقعاً اقتصادياً ـ اجتماعياً ـ إنسانياً مشتركاً، بحيث تذوب الأديان جميعها والملل في بودقة الإسلام الحنيف السَمْح، التي تطمئن فيه النفوس والأبدان وتتآلف، لتزيل فكرة الصراعات المقيتة، وبذا تُحمى الأعراض والأموال...

وبهذا قد ترمز الفأرة إلى الفقر، أو ما يتم اغتصابه أو سرقة حقوق الآخرين، وأما ما يرمز بالجراب فهو الحالة الاقتصادية أو الوضع الاقتصادي، وتتجسد هذه الصورة في أن لا يكون الاقتصاد قد أصيب بآفة العجز أو الإنسان بحالة الفقر والعجز، وبذا تتحقق الرفاهية الاقتصادية ـ الاجتماعية في دولة الإمام المهدي، وبتقويم البناء الإنساني والمادي والمعنوي...

ويضيف منتخب الأثر في ص٤٧٢ عن النبي صلى الله عليه وآله في قصة المهدي (... وتزيد المياه في دولته، وتمد الأنهار، وتضعف الأرض أكلها وستخرج الكنوز)، وبهذا يقول الإمام علي عليه السلام: (... ولو قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهايم حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدمها إلا على النبات، وعلى رأسها زينتها لا يهاجمها سبع ولا تخافه...) (منتخب الأثر/ ص٤٧٤)، وهذا دليل مضافاً إلى تكامل عوامل بناء الحياة الإنسانية والنفسية... وبهذا (يذهب الشر، ويبقى الخير، ويذهب الربا...) (منتخب الأثر/ ص٤٧٤)، وهذه

ثلاث كلمات

في كتاب الجواهر: ارتجل عليّ ابن أبي طالب عليه السلام تسع كلمات، قطعت أطماع البلغاء عن واحدة منهن: ثلاث في المناجاة، وثلاث في العلم، وثلاث في الأدب.

أما التي في المناجاة فقوله: كفاني عزاً أن تكون لي رباً، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً، كنت لي كما أحب فوفقتني لما تحب.

وأما التي في العلم فقوله: المرء مخبوء تحت لسانه. ما ضاع امرؤ عرف قدره. تكلموا تعرفوا.

وأما التي في الأدب، فقوله: أنعِم على من شئت تكن أميره، واستعن بمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

تُفاعل أبعاد استقرار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأمن الكوني، وهنا انعكاسه على الجانب الصحي، الجسدي والعقلي والنفسي، واستقرارهم، وهنا يضيف أمير المؤمنين عليه السلام (... وتطول الأعمار، وتؤدى الأمانات، وتحمل الأشجار، وتتضاعف البركات، وتهلك الأشرار، وتبقى الأخيار...) (منتخب الأثر/ ص٤٧٤)، وهذا مؤشر على تطور ونمو العلوم المختلفة، بالإضافة إلى الاهتمام بالبيئة وحمايتها من التلوث، بالإضافة إلى الوعي الاجتماعي والتقويم السلوكي للإنسان، وأجيال جديدة واعدة لا تعرف إلا الخير والتفاعل معه والتفاني من أجله...

وهنا للإمام الباقر عليه السلام تفسيره للآية الكريمة: (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) (الحديد/ من الآية١٧)، أي يحييها القائم عليه السلام فيعدل فيها فيحيي الأرض بالعدل بعد موتها بالظلم (منتخب الأثر/ ص٤٧٨)، وعن النبي صلى الله عليه وآله: (تأوى إليه أمته كما تأوى النحل إلى يعسوبها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول لا يوقظ نائماً، ولا يهريق دماً) (ص٤٧٨) ومما يروى عن الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً: (...تنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتي الأرض أكلها لا تدخر عنهم شيئاً، والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيقول خذ...).

ويشمل هذه مجموعة الأقوال، أمور عديدة منها:

١ـ إحياء الأرض بعد موتها بالعدل، يعني إنسانية الحياة، وحقوق الإنسان، وإرجاع الأمور إلى نصابها القويم وبالقويم، ويكون لكل ذي حقٍ حقه، العدل في توزيع الأرض، والحق والعدل في حماية البيئة ووضع نظام أمني لها، والعدالة في حماية الإنسان ذاته من شرور نفسه في التمادي في كل شيء، المادي منه وغير المادي، بالإضافة إلى ما يؤثر في ذلك على أخيه الإنسان أو نظيره...

٢ـ والعدل يشمل أيضاً في مجالي الاستثمار والعائدات، بقنواتها المختلفة، الخدمية والسلعية، ليكون التوزيع لعناصر الإنتاج بأدق صورها، والاستقرار الاجتماعي، وأمن المجتمع، فلا تكن هناك جنح، ولا تكون هناك جنايات، بحق الإنسان والحيوان والبيئة...

٣ـ أما شمولية الحياة وانسيابيتها في التنظيم الإداري، تجعل من القيادة إنسانية بكل مفاصلها، لذا ترى الأمة بكل لغاتها وطوائفها وألوانها وطيفها، لاختيار القيادة المحققة لمطاليبها في حياة أفضل، (فتأوي إليه عليه السلام) بالاختيار المناسب والأمثل لقائدها، والاختيار له في حمايتها وحماية إمكانياتها المادية وغير المادية ومواردها الاستخراجية والتحويلية...

٤ـ وحدة اتجاه القائد والرعية المُنْتخبِة له، رغم إنه قائد بتطبيقاته عليه السلام وحمايته للمجتمع ومصالحه وفق أدق العدالة

المحققة ترضي الجميع حتى الحيوان والبيئة، وإلا ما معنى (تنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها قط)، وهذا على مستوى الإنسان وقيادته، وحماية البيئة والمجتمع بأدق تفاصيلها المثمرة والمستقرة، والذي يجعل من الدورة الاقتصادية بتتابع أدق مفرداتها من استثمار ودخل فردي ودخل قومي أو كوني أو عالمي، وادخار واستثمار، وهذه هي التي تؤدي إلى قوله ﷺ: (والمال يومئذ كدوس...) فائض في هوامش الأرباح وحماية المجتمع بتأمين كل احتياجاته، وتهيئة أجواءه الاستثمارية الاستهلاكية، بفاعلية الوعي الإنساني، وأمانة الإنسان وحماية مستقبله الاقتصادي والأمني...

٥- البعد الأمني المرتبط بالجانب الاقتصادي (تهلك الأشرار وتبقى الأخيار) وكذلك مدى استيعاب الأمن القومي أو العالمي على استقرار الشعوب وحمايتها من سفك الدماء وهدر الحقوق بأن يقول ﷺ: (لا يوقظ نائماً) وهو أمن المجتمع وعدم دخول القلق والخوف إلى قلبه، بغصب حقوقه وموارده واستقراره، وهو آمن بذلك حتى على حياته، لذا لا يكون خائفاً أن يظلمه أحد فيسفك دمه بغير حق، وهذا يتمثل في قوله ﷺ: (ولا يهريق دماً) وبطبيعة الحال تكون نتيجة هذه الصورة الإنسانية الرائعة في الأمن والاستقرار، الأمن والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، بل وحتى الأمن والاستقرار الحضاري الإنساني المتفاعل، وبهذا يتحقق القول (وإنه يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، وتظهر له الكنوز ولا يبقى في الأرض خراب إلا عمره) (منتخب الأثر/ ص٤٨٢).

وما أروع وأدق قول الإمام أبو جعفر الصادق عليه السلام في ذلك حيث يقول: (إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم) (منتخب الأثر ٤٨٣) وهذا القول يعني الكثير الكثير، حيث مما يعني ويرمز قوله عليه السلام: (وضع الله يده على رؤوس العباد) بأنه يحقق العدالة وإحقاق الحق والمساواة، فلا فقير بعد ذلك اليوم، ولا مظلوم، ولا تفرقة، ولا تناقضات، وهنا بناء وحدة الفكر وتكامله، ووحدة وتماسك الحضارة بقوله عليه السلام: (فجمع بها عقولهم)، ويكون ذلك على الخير والمحبة والعلم وحماية بعضهم بعضاً، بكل وعي واستيعاب أمثل وأنسب، والبناء والأعمار والتطور والنمو لكل مفاصل الحياة، بما فيه الإنسان، ومنفذ ذلك أن تكون النتيجة (وكملت به أحلامهم)، بما انتزع منهم الغل والحقد والضغينة من النفوس والسلوكيات والأفكار، وقضي على التلوث بكل أشكاله، المادية والمعنوية والفكرية، أي حماية المجتمع من تلوث بيئته الفكرية وبيئته الميدانية... وهو ما يحقق تكامل حلقات الترابط بين المجتمع بأمنهم الاجتماعي والاقتصادي والفكري... الخ وذلك لا يكون إلا في دولة تستوعب الجميع من أجل الجميع في الدول المحمدية - المهدوية... وهذا ما تستوعبه دراستنا المختصرة، ولنا وقفة في كتاب مستقل حول دولة الإمام المهدي إن شاء الله، بنظرة تحليلية علمية معاصرة ■

مسجد الحنانة

رؤية الماضي والحاضر.. وطموح المستقبل

• استطلاع: حيدر الـــجد
• تصوير: ضرغـــام كمونة

المدخل الرئيس للمسجد

ينابيع لم تشهد المعالم والآثار الإسلامية التي تخص أهل البيت عليهم السلام وإتباعهم تاريخياً في العراق تجاهلاً واضحاً مقصوداً مثلما شهدته في الثلاثين سنة الأخيرة، فقد حاول نظام الحكم المستبد إبقاء تلك البقاع المطهرة والمقامات المقدسة على حالها، دون أدنى رعاية أو ترميم، اللهم إلا تلك العتبات العالية التي يقصدها الغادي والرائح ويتعطر بشذى نسيمها الزائر والمستوطن، ولعلها هي الأخرى تعاني من نقص الخدمات والإهمال، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فالمحب الذي يقوده ولاؤه إلى حضرة الكاظميين عليهما السلام يلاحظ بوضوح وضع القبتين الساميتين، ذلك الوضع البائس حيث تغيرت ملامحهما جراء الغبار وعمليات التأكسد دونما أي تدخل لجليهما، مع الأخذ بنظر الاعتبار إن وارد الحضرة الكاظمية المقدسة كان كافياً لإكسائهما بالذهب إن تطلب الأمر وبأي سعر كان، إضافة لكون هذه القباب المشرقة هي علامة بارزة في قلب عاصمة العراق (بغداد) والتي غالباً ما تكون مقصداً للزوار والسياح وعلى كافة المستويات.

ومهما يكن من أمر فقد تصدى بعض المؤمنين للتبرع ببناء هذا المرقد أو تشييد هذا المزار دون أدنى علم من رجال السلطة، الذين كانوا يترصدون لمثل من يقوم بهذه الأعمال الخيرية والصالحات الباقية، ومع هذا الجهد من المؤمنين إلا أن معظم هذه العتبات والمساجد ظلت تعاني من عدم الاهتمام والإهمال، فقد تحولت جدرانها إلى مخابئ للحشرات، وسقوفها أصبحت لا تقوى حتى على مواجهة رياح شديدة أو مطر غزير.

وهذا الحال ينطبق على مسجد الحنّانة، الذي زرناه ورغبنا أن يكون مادة لاستطلاع مجلتنا نظراً لما له من منزلة رفيعة عند عموم المسلمين فقد ارتبط بذكريات مؤلمة مع رجال اتقوا الله حق تقاته واُستشهدوا وذكره (جل وعلا) بين شفاههم، منها ما له علاقة مع مصاب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومنها ما تعلق بمجريات الأحداث بعد واقعة الطف حيث مسير عيالات أبي عبد الله الحسين عليه السلام ورأسه المُطهر، علاوة على هذا وذاك فمسجد الحنّانة من تلك البيوت التي أذن الله لها أن تُرفع يُسبّح له فيه بالغدوّ والآصال.

لنقف سوية هنا نستجلي تلك الذكريات والفضائل ونرى ما آل إليه أمر هذا المسجد المبارك وما عسى أن نطمح إليه بشأنه في المستقبل.

الحنّانة في اللغة:

بفتح الحاء وتشديد النون مؤنث الحَنَّانُ، الذي يحن إلى الشيء، والحنّةُ بالكسر، رقة القلب[1] والحنّانة ناحية من غربي الموصل، فتحها عتبة بن فرقد صلحاً[2]، وهي موضع بأرض بظهر النجف بها مسجد الحسين بن علي بن أبي طالب[3] عليه السلام وقد يصح لنا القول هنا بأن المسجد عرف بهذا الاسم لأنه يهب الرحمة والبركة لمن يصلي أو يبتهل فيه[4].

الحنّانة في التاريخ:

لقد ارتبط اسم الحنّانة الذي طالما تساءلت الناس عنه بالتاريخ، فلا يمكننا أن نفصل بين المعنى الذي أخذ هذا المسجد تسميته منه والحادث الذي كان سبباً في التسمية وكلاهما يصبان في أصل واحد، لابد لنا أن نستعرض الآراء التي تعلل سبب هذه التسمية.

الباب الخلفية للمسجد

أولاً: فيما يخص أمير المؤمنين عليه السلام:

١ـ يقع مسجد الحنّانة في العراق (النجف الأشرف) وقد سمي بهذا الاسم إثر حادثة مفادها: كان في الثوية (مدفن خواص أمير المؤمنين عليه السلام) قبل الإسلام بناء قديم يسمى القائم، ولما مروا بنعش الإمام علي عليه السلام عليه، فانحنى ومال حزناً فسمي (بالقائم المنحني) وعرفت هذه البقعة بعد ذلك بـ(الحنّانة) وقد بُني عليها مسجداً عُرف بمسجد الحنّانة ومن أسماء المسجد الأخرى، العلم والقائم المائل[٥].

٢ـ هو من المساجد المعظمة كبيرة الشأن، يتبرك به ويقصده المجاورون والزائرون... وهو القائم المائل (كما في

باب الحرم الأمامية

بعض الأحاديث) الذي انحنى حزناً وتأسفاً على أمير المؤمنين حين مروا بنعشه الطاهر ففي كتاب فرحة الغري لابن طاووس ص٤٤ (أن ابن مسكان سأل الإما الصادق عليه السلام عن القائم المائل في طريق الغريين فقال عليه السلام: نعم لما جازوا بسرير أمير المؤمنين عليه السلام انحنى أسفاً وحزناً، وكذلك سرير إبرهة لما دخل عليه عبد المطلب انحنى ومال[٦] وهذه من الكرامات الباهرة لأمير المؤمنين[٧] عليه السلام).

٣ـ وذكر السلطان ملك شاه السلجوقي ذكر رسالة فيها أنه رأى في طريق الكوفة منارة منحنية إلى الأرض من اعوجاجها كأنها واقعة على الأرض كزي الراكع وما فيها من صدع ولا خلة بل أنه قائمة على تلك الحالة من الانحناء والاعوجاج فسأل عن سبب ذلك تعجباً فأخبر أن الإمام علي مر عليه فانحنت تواضعاً وخضوعاً فأشار إليها عليه السلام أن قفي على هذه الحالة لتكن معجزة فبقيت على حالتها من الانحناء[٨].

٤ـ يقول ماسينيون في خططه أن مسجد الحنّانة هو الموضع الذي وضع فيه جثمان علي[٩].

ثانياً: فيما يخص الإمام الحسين عليه السلام:

١ـ ووجه تسمية المسجد بالحنّانة على ما يذكر الباحثين، مشتق من الحنين وقد اعتمدوا في ذلك على رواية مفادها أن سبايا الحسين عليه السلام مرت بموضع الثوية وعبثوا برأس الحسين ورؤوس أصحابه في هذا الموضع فحنت الأرض جزعاً بأن سمع عليه صوت حنين، وحن السبي أيضاً مما صنع بالرؤوس، ولذا عرف بمسجد الحنّانة[١٠].

٢ـ وفيها مسجد يعرف بالحنّانة ويقرأ

فناء الحرم ويظهر فيه الباب الوسطى المخصصة للرجال والباب الجانبية المخصصة للنساء

فيه الدعاء المأثور وفي هذا الموضع أنزلوا السبايا كرائم الوحي آل بيت رسول الله ﷺ عيالات الحسين عليه السلام بعد شهادته في كربلاء يوم ١٠ محرم عام (٦١هـ) لكي يأخذ ابن زياد الأثيم الحيطة لنفسه من الكوفيين ويستعد خوف النهوض عليه عاجلاً حتى يطوفوا بعيال الحسين عليه السلام سبايا، وروي أن حملة الرؤوس أبقوا رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أهل بيته وأصحابه البررة في الثوية فحنت الأرض جزعاً بأن سمع عليها صوت وحنين وحنت السبايا أيضاً جزعاً ومأساة مما صنع بالرؤوس ومن هنا سميت هذه البقعة بالحنّانة[١١].

هذا لمن ذكر أن الرأس المطهر قد وضع في هذا المسجد، وهناك من يقول أن الرأس الشريف دفن في مسجد الحنّانة فقد أشار لهذا المعنى ابن طاووس في فرحة الغري ص١، ومن المتأخرين فقد وافقه على رأيه الحر العاملي والوحيد البهبهاني والسيد عبد الله شبر والشيخ خضر شلال وعبد الله أفندي القاضي[١٢] كما صرح الزبيدي في موسوعته الكاملة قائلاً: (وقيل أن مدفن الرأس في النجف في وسط مسجد الحنّانة عليه ضريح من الخشب وتعلو قبة كيّست بالقاشاني وشيّدت بجانبها مئذنة حديدية الصنع سنة (١٣٨٨هـ)) ثم يستطرد قائلاً: (وقيل أن الرأس وُضع لا دُفن في مسجد الحنّانة)[١٣].

موقع المسجد:

يقع مسجد الحنّانة اليوم في المنطقة المعروفة بحي الحنّانة وهو من الأحياء القديمة في النجف حيث ظهر في الخمسينيات من القرن الماضي وقد حدد

المؤرخون موقعه سابقاً بقولهم: (موقعه شمال غربي الكوفة، يمين الطريق المتجه إلى النجف وبالقرب منه الثوية وهي مدفن لكثير من خواص أمير المؤمنين)[١٤].

والثوية مقبرة أهل الكوفة وكما صرحت الروايات فإن أغلب أصحاب الإمام علي عليه السلام دفنوا فيها، وأن كثيراً من قبورهم لم تظهر بعد للعيان فمرقد كميل بن زياد رضي الله عنه، يعج بقبور أصحاب الإمام عليه السلام وقد طغت شهرة كميل على غيره وقد نُسب قولٌ إلى أبي الغنائم النوسي (توفي بالكوفة ثلثمائة وثلاثة وعشرون من الصحابة لا يدري قبر أحد منهم إلا قبر علي)[١٥]، أما الشيخ المجلسي فيقول في تعريف الثوية والتي كما قلنا تشمل منطقة الحنّانة اليوم بضمنها مرقد الصحابي كميل بن زياد رضي الله عنه ولسنا بصدد تعيين حدود الثوية، (الثوية تل بقرب القائم المائل المسمى بالحنّانة، فيه قبور خواص أمير المؤمنين)[١٦] وأما السيد مهدي الفزويني فيقول: (... وأصحاب أمير المؤمنين جملة في تلعة في مسجد الحنّانة من الغري).[١٧]

من الكلام أعلاه نستشف أن هذه الأرض تحوي قبوراً كثيرة لأصحاب الإمام علي عليه السلام ولعل المستقبل وحده الكفيل في إبراز معالم تلك القبور إذا ما قامت عمليات تنقيب وبحث آثارية.

وهنا لابد لنا من تنويه آخر في معنى الحنّانة، يرتبط بموقعها، حيث ورد (... وتقع الحنّانة على أطراف موضع معروف منذ العصر الجاهلي يسمى بالثوية وكان بالثوية سجن للمناذرة (ملوك الحيرة) وكان يقال لمن حبس بها ثوى أي أقام وتضم الثوية قبر أبي موسى الأشعري)[١٨] ثم يبرز الكاتب رأياً يقول فيه (وأن الكلمة (أي الحنّانة) مشتقة من لفظة حنّا وحنّا دير نصراني قديم من أديرة الحيرة وكان في موضع المسجد عينه وتطورت اللفظة من حنّا إلى حنّانة بمرور الزمن ودير حنا قد بناه المنذر الأول بن النعمان الأول الذي حكم بين (٤١٨-٤٦٢)م، وكان ديراً عظيماً في أيامه[١٩] كما يظهر لدينا تعليل آخر لاسم الحنّانة، فالجلالي في كتابه يقول أن منطقة الحنّانة كانت تدعى بالجبانة (والجبّان في الأصل الصحراء، وأهل الكوفة يسمون المقبرة جبانة)[٢٠] ويرى أن الحنّانة مصحفه عن جبانة وهي الأصح ويوافقه على رأيه الدكتور حسن الحكيم فيقول: (وإني أرى أن الحنّانة المتعارف عليها بين الناس هي مصحفة من الجبانة على اعتبار أنها جزء من الثوية التي هي في الأساس مقبرة أو جبانة مدينة الكوفة)[٢١].

الإمام الصادق عليه السلام ومسجد الحنّانة:

من خلال الروايات المتوفرة، نلحظ أن الإمام الصادق عليه السلام كان كثير التردد على هذا المكان، ولعل ذلك يعود إلى كثرة طلبه من طاغية زمانه المنصور الدوانيقي الذي أشخصه إلى العراق مرات ومرات، والظاهر أن الطريق الذي يسلكه الإمام عليه السلام إلى بغداد أو الكوفة كان يمر بالحنّانة وعليه فإن مسجد الحنّانة قد يحظى بمزيّة أخرى، ورود الإمام الصادق عليه السلام عليه وصلاته فيه فهو مقام من مقامات الإمام عليه السلام، ولم نر له أي أثر في

الواجهة الخلفية للمسجد وتظهر آثار القدم عليها

هذا المسجد، فعن المفضل بن عمر قال: (جاز مولانا الصادق، جعفر بن محمد عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغري، فصلى عنده ركعتين فقيل له ما هذه الصلاة، قال هذا موضع رأس جدي الحسين عليه السلام وضعوه هاهنا)[٢٢].

كما روى محمد بن المشهدي: (أن الصادق عليه السلام زار جده الحسين عليه السلام في مسجد الحنانة، وصلى أربع ركعات)[٢٣]، وأما نص الزيارة التي أوردها ابن المشهدي في مزاره الكبير (ومن أراد الإطلاع عليها فليراجع ص٥١٧).

على أن ابن طاووس في فرحته يضيف قائلا: (عن أبي السندي، قال كنت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد حين تقدم إلى الحيرة، فقال اسرجوا لي البغل، فركب وأنا معه حتى انتهينا إلى الظهر فنزل فصلى ركعتين، ثم تنحى فصلى ركعتين ثم تنجى فصلى ركعتين، فقلت جعلت فداك إني رأيتك صليت في ثلاث مواضع. فقال أما الأول فموضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والثاني موضع رأس الحسين عليه السلام، والثالث موضع منبر القائم[٢٤](عليه السلام).

وقد بنى الأستاذ كامل الجبوري على أن الحنانة هي موضع منبر الإمام المنتظر (عجل الله فرجه) اعتماداً على الرواية أعلاه في حين أنها تبين كون الإمام الصادق عليه السلام قد بين أن الركعتين الأوليتين كانتا عند موضع قبر أمير المؤمنين، والحنانة كما بينا هي موضع وليس قبراً وعلى أية حال فقد وجدنا مع الزيارة المعلقة على جدران الجامع الدعاء المعروف (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن...) وقد يدل ذلك على أن الإمام المنتظر (عجل الله فرجه) سوف ينزل هذا المسجد الذي مروا به حينما نقلوا النعش المطهر للإمام علي عليه السلام من الكوفة إلى النجف.

بقي شيء وهو أن الرأس المطهر للإمام

الحسين عليه السلام نقل في عصر عاشوراء وجد حامله بالمسير كي يبلغ ابن زياد حتى يستقبل السبايا من آل الرسول به عند ورودهم الكوفة وعليه فالرأس لم يكن مع العيال إذ سبقهم وبناءً على هذا فإن حامل الرأس مرّ بالحنانة فحنت الأرض حزناً على مصاب الحسين عليه السلام.

معالم المسجد:

ما أن تطالعك واجهة المسجد، حتى

صورة جانبية تظهر فيها القبة والمنارة

تدور في خُلدك تلك الذكريات حيث حديث الشجون، حديث سبايا كربلاء، تقف فتستذكر في هذا المكان ثقل محمد صلى الله عليه وآله وهم ما بين أمس حيث فقدان الأحبّة واليوم حيث المسير العنيف وغداً ماذا يخبأ لهم الغد؟

وبالرغم من ظهور الجدار الخارجي للمسجد بمظهر جيد حيث يظهر أنه مصبوغ حديثاً، فالبناء لازال على حاله.

والمسجد عبارة عن ساحة كبيرة شبه مستطيلة تبلغ مساحتها (٧٠٠٠)م٢ تقريباً يحيط بها جدار بارتفاع (٣) أمتار وفي الواجهة تقع باب الجامع الرئيسة ويتوسط الساحة مبنى المسجد الذي يضم الفناء والحرم، وفي طريقك إليه تلاحظ على جانبي الممر الأشجار والنباتات المتوزعة بطريقة منسقة وجميلة، والممر يفضي بالزائر إلى كيشوانية ومدخل المبنى الذي تتوسطه الباب الرئيسية وقد أحيطت بالكاشي الكربلائي وتعلوها أبيات من شعر السيد مهدي الأعرجي:

مسجد الحنانة السامي علا
كاد بالفضل يضاهي المسجدين
جهلوه الناس قدراً وهو في
قدره ضاهى السما والفرقدين
رفع الله تعالى شأنه
فتعالى شأنه في النشأتين
كيف لا يرفعه الله عُلا
وبه قد وضعوا رأس الحسين

وفوق هذه الأبيات خُطت الآية الكريمة (في بيوت أذن... يسبح له فيها بالغدو والآصال).

يتكون مبنى المسجد من ثلاث أقسام، حيث يحتل القسم الأوسط والذي تقع فيه

المقام المطهر لرأس الإمام الحسين عليه السلام

الباب الرئيسة وهو عبارة عن فناء مسقوف بالحديد المغلون (الجملون) ويمتد على عرض المبنى.

أما القسم الثاني يسار الداخل للمسجد، ويحتوى على غرفتين أُعدت كمخزن لاحتياجات المسجد، إضافة لغرفة تطل بابها على الساحة الأمامية شُيدت للسادن وخدم المسجد. وأما الحرم فيقع على اليمين، للحرم ثلاث أبواب تتوسطها الباب الرئيسي وعليه قد كتبت أبيات للشاعر المرحوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي وهي:

هو مسجد بالصالحات مُشيّد
وعلى الهدى قد أسسوا بنيانه
هو مشهد رأس الحسين به ثوى
فسما وشيّد بالهدى أركانه
وقد انحنى متواضعاً للمرتضى
إذ مرّ فيه معظماً جثمانه
أرض الثويّة هذه أرخ (فذا
رأس الحسين بمسجد الحنانه)

وعند حسابنا للتأريخ الشعري بعد كلمة (أرخ) نجد أنها تشير لسنة (١٤٥٥) بينما يذكر الأستاذ كامل الجبوري أن تاريخ التجديد عام (١٣٦٥هـ)[٢٥] والظاهر أن البيت الأخير يحتمل أن يكون:

أرض الثويّة أرخت (ذا
رأس الحسين بمسجد الحنانه)

فيكون مجموع التأريخ (١٣٧٥هـ) وهو أقرب إلى واقع البناء اليوم، فعليه قد يكون الالتباس من الخطاط الذي كتب التأريخ أو الشخص الذي كلفه بذلك، أو

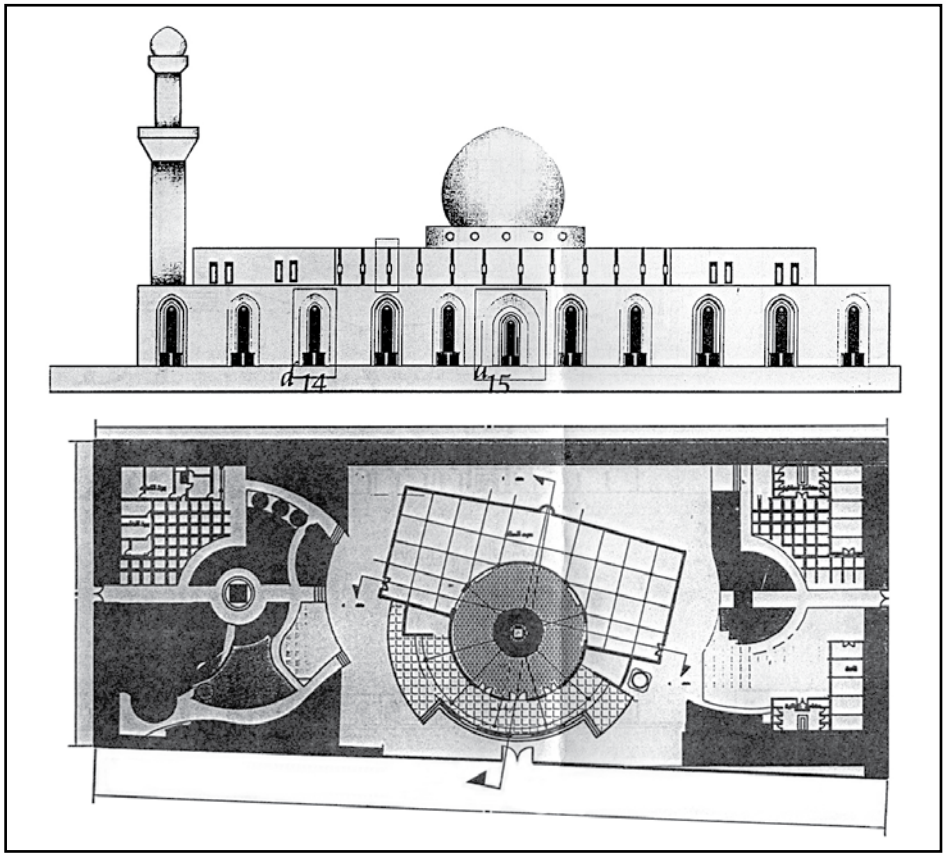

من مخططات مشروع تطوير المسجد

من الشيخ الفرطوسي والله أعلم.

وعلى الجدار توجد زيارة تحت عنوان (زيارة مسجد الحنانة) يتوسط الحرم شباك خشبي بأبعاد (٥ ،١×٢م) وعليه تظهر علامات القدم حيث بدأ لونه يتغير مما يتطلب صبغه، وبداخله دكة الموضع المغطاه بالشال الأخضر وهو أيضاً لم تطله يد التنظيف، تعلو الحرم قبة ومنارة، أما القبة فقد زخرفت بالكاشي الكربلائي والظاهر أنه كيست كما ذكرنا بالقاشاني وليس بالكاشي، يبلغ قطرها (٥ ،٢م) تقريباً وترتفع على السقف أربعة أمتار، ومن الداخل فالقبة مصبوغة باللون الأبيض وتحيط بها شبابيك لأجل الإضاءة والتهوية.

أما المنارة فقد شيدها الحاج عبد الغني مرزة عام (١٣٨٨هـ) وقد كتب عليها:

شاد لله مناره عمّر الوهّاب داره
وفّق الرحمن أرخ (لغني بمناره)

كما قسم الحرم إلى قسمين يفصلهما حاجز خشبي، قسم للرجال وآخر للنساء.

والمبنى بأكمله مبنى بالطابوق والشيلمان وتبلغ أبعاده (٣٠ × ١٥م) ويرتفع بمقدار عشرة أمتار.

وفي خلف مبنى المسجد توجد ثلاث أو أربع قبور منها قبر للمرحوم مرزة محمد علي بن مرزة موسى الخليلي المتوفى عام (١٣٦٤هـ).

كما يطل مبنى المسجد من جهة على الشارع العام مباشرة حيث توجد بداخله باب تؤدي إلى الشارع وأما أضلاعه الثلاثة الأخرى فتقع ضمن المسجد.

في الضلع الشمالي البعيد نلاحظ وجود بناء حديث يتكون من ثلاث غرف وأمام واحدة منها وهي الأقرب لسياج المسجد نلاحظ وجود بئر ماء، ليستقي منه الزائرون ويتبركون بماءه ولا ندري عن تاريخ هذا البئر شيئاً، بل وحتى من كتب عن مسجد الحنانة لم يذكر أن فيه بئراً بالرغم من علامات القدم الواضحة على جانبي البئر كما يظهر في طرف الضلع المقابل للضلع الشمالي باب رئيسية ثانية تطل على الشارع الذي يربط مرقد كميل بشارع الكوفة.

وقد أخبرنا المهندس كمال الفضلي في ديوان الوقف الشيعي أن الديوان قد أعد الخرائط الخاصة بإعادة بناء مسجد الحنانة وقد اطلعنا عليها، وهم بانتظار رصد المبالغ اللازمة لإنجاز المشروع.

أملنا أن يتحقق هذا المشروع الذي فيه يأخذ هذا المسجد المبارك شكلاً جميلاً يليق بمكانته عند المسلمين وأن تأخذ عمليات التطوير طريقها إلى عتباتنا المقدسة التي عانت هي الأخرى من تجاهل المتسلطين ■

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٧٢٢/٧.
(٢) الحموي، معجم البلدان، ٣٤٦/٢.
(٣) الأعلمي، دائرة المعارف الشيعية، ٥٠٨/٨.
(٤) الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة، ص١٤٦.
(٥) الزبيدي، الموسوعة الشيعية الكاملة، ٧٠/٧.
(٦) ابن طاووس، فرحة الغري، ص١.
(٧) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ٩٩/١، الجبوري، مساجد الكوفة، ص١٧٧، الجلالي، مزارات أهل البيت وتاريخها، ص٤٩.
(٨) الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة، ص١٤٨.
(٩) ماسينون، خطط الكوفة، ص٨.
(١٠) الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة، ص٤٦، حرز الدين، مراقد المعارف، ٢٢٠/٢.
(١١) الجلالي، مزارات أهل البيت وتاريخها، ص٤٩.
(١٢) البراقي، تاريخ البراقي، ص٨٠.
(١٣) الزبيدي، الموسوعة الشيعية الكاملة، ص٥٠.
(١٤) الجبوري، مساجد الكوفة، ص١٧٩.
(١٥) الثقفي، الغارات، ٨٦٥/٢.
(١٦) البحار، ٢٨٢/٩٧.
(١٧) فلك النجاة، ص٥٧.
(١٨) الأسدي، بحث ضمن كتاب النجف الأشرف إسهامات في الحضارة الإنسانية، ١٨٥/١.
(١٩) المصدر السابق.
(٢٠) حرز الدين، مراقد المعارف، ٢٢٢/٢.
(٢١) الحكيم، الثوية، مقبرة الكوفة الكبرى، ص١٣.
(٢٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٤٤٤/٢.
(٢٣) الكاشاني، إرشاد أهل القبلة، ص٣٠٧.
(٢٤) فرحة الغري، ص٥٧.
(٢٥) الجبوري، مساجد الكوفة ص١٨٠.

يعلن باب (في رحاب الفقه)

عن استعداده للقراء الكرام في استقبال أسئلتهم الفقهية، والإجابة عنها في ضوء فتاوى سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (دام عزه وبقاؤه)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد.. بعض الآيات والروايات التي ظاهرها أن أفعال الإنسان تابعة لإرادة الله سبحانه مثل: (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)، طبيعي إذا لم يشأ المولى لا يستطيع العبد أن يفعل.

والحديث عن أبي عبيدة الحذاء عن الباقر عليه السلام: (قال الله... ويل لمن قدرتُ له الشر).

كيف توجهون ذلك؟ وهل إذا صنع النجار مثلاً الكرسي فينسب الصنعة إلى الله عزوجل مجازاً أو حقيقة، مع العلم بأن طاقة النجار من الله تعالى، والمواد الأولية من الله عزوجل، والنجار ما عليه إلا أن يركّب هذا على هذا بتمام إرادته، فهل ينسب إلى الله تعالى حقيقة؟

الرجاء الشرح الوافي وجزاكم الله خيراً.

خادمكم

محمد مكي الساعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين مصابيح الهدى وأعلام التقى. ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يمدكم بالتأييد والتسديد لترويج الدين ونفع المؤمنين. وأن يمنّ عليكم بالعافية في الدين والدنيا والآخرة.

وبعد.. فالحديث في هذا الأمر معقد شائك، وقد تعمدنا الامتناع عن عرضه وبيانه هذه المدة الطويلة حذراً من أن يجرّ الكلام فيه لما تقصر عنه بعض الأفهام ويترتب على ذلك ما لا تحمد عقباه.

غير أن توجيه السؤال منكم عنه إلينا اضطرنا إلى الدخول فيه اضطراراً . ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا فيه بأفضل عونه، ويعصمنا من الزيغ والضلال، وأن لا يجعلنا من المتكلفين. إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين. فنقول بعد التوكل على الله تعالى:

على من يدخل في مثل هذه المواضيع أن لا يجرّه الحديث فيها إلى الخروج عن وجدانياته التي فطره الله تعالى عليها وأودعها في نفسه، فإنها أقرب الحجج التي يحتج الله عزوجل بها عليه وأوضحها وأيسرها تناولاً. ومهما كانت الحجج الأخرى من القوة وجمال العرض فإنها لا تقوى على الخروج عن تلك الوجدانيات، بل لابد إما من توجيه تلك الحجج بما يلائم الوجدانيات المذكورة. أو الإعراض عن الحجج المذكورة، لأنها حينئذٍ شبهات في مقابل البديهة. وفي الحقيقة لابد من التناسق في الواقع بين الوجدان والحجج الأخرى، وكثيراً ما يظهر ذلك للبصير المتثبت والناقل المتأمل. وإن كان قد يخفى ذلك عن كثير من الناس والله الهادي إلى سواء السبيل.

إذا عرفت هذا فالأمر الذي لا ينبغي الريب فيه أن كل ما يقع في الكون خاضع لله تعالى، ومقدر بتقديره، وهو المدبر لكل شيء، ولا يقع شيء إلا بإرادته، بما في ذلك أفعال الإنسان واختياره ومشيئته. لأن الممكن لابد له من علة، وكل علة ممكنة لابد أن تنتهي إلى العلة الواجبة، وهي إرادته جل شأنه، وتقديره وتدبيره. وقد أكدت ذلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الكثيرة جداً، كما أشير إلى بعضها في السؤال.

وبعد ذلك يقع الكلام في أمور..

الأول: في ما تضمنه السؤال من أن أفعال الإنسان هل تنسب له أو لله تعالى. وهذا بمجرده بحث لفظي بياني تابع للعرف، ولا أهمية له في نفسه. وإنما الأهمية للواقع الذي لا يتغير بصحة النسبة

ولا بعدمهـا. وعلى كل حال فالظاهر أن الفعل ينسـب عرفاً بنحـو الحقيقة لآخر مريد له يقع في سلسلة علله، فمثل المطر حيـث لا يخضع لغير إرادة الله تعالى فهو ينسب له جل شأنه.

أمـا الأحـداث المتعلقة بالإنسـان أو الحيوان أو نحوهما من ذوي الإرادة فهي وإن كانـت تخضع لإرادته تعالى ـ كما يخضع مثل المطر لإرادته جل شأنه ـ إلا أنـه إن لم تتوسـط بين إرادتـه وحصول الحـدث إرادة أخرى نسـب الفعل له جل شـأنه أيضـاً، كما لـو مرض الإنسـان نتيجة شـدة البرد، أو سـقط من شـاهق نتيجـة زلزال أو عاصفـة دفعته... إلى غير ذلك.

أمـا إذا توسـطت إرادة أخـرى بيـن الأمرين، فإن كانت واحدة نسب الفعل لصاحبهـا، سـواءً كان هـو الشـخص الـذي يتعلق بـه الفعل، كما لـو انتحر، أو شـرب الماء، أم كان غيره، كما لو رماه شـخص فقتله، أو دفعه فسـقط من شاهق.

وإن كانـت أكثر مـن إرادة واحدة نسب الفعل لصاحب آخر إرادة وقعت في سلسـلة العلل. فلو أمر زيد عمراً أن يقتل بكـراً، فقتله، فإن القتل ينسـب لعمرو حقيقـة. وتعلـق إرادة الله تعالى بالفعل لا تصحح نسبته له إلا مجازاً، كتعلق إرادة زيد به.

وأمـا مثـل نسـبة صنـع الكرسـي للنجار، فإنما تصـح بلحاظ صنع هيئته، لا مادتـه، فلا يراد مـن صنعه له إلا جعله إياه كرسياً، لا صنعه بذاته كصنع الله تعالى لمخلوقاته. وكذا الحال في جميع موارد نسـبة صنع ذوات الهيئات لصانعي هيئاتها، فإنـه لا يراد به صنع ذواتها، بل صنع هيئاتها لا غير.

الثاني: أنه لا إشـكال في أن تحمل الإنسـان لمسـؤولية الفعـل واسـتحقاقه المـدح أو الـذم، والجـزاء عليه ـــ ثواباً وعقابـاً ـــ يتوقف على تعلـق اختياره به، بحيث يكون مقدوراً له وتحت سـلطانه فعـلاً وتـركاً، سـواءً كان فعـلاً له أم فعـلاً لغيره كولي الطفـل بالإضافة إلى أفعـال الطفـل إذا كان مسـيطراً عليـه بحيـث يسـتطيع حمله علـى الفعل ومنعه منه. وأمـا ما هو خارج عـن اختياره فهو لا يكون مورداً للمسـؤولية، إما لامتناع ذلـك عقلاً، أو تفضـلاً منه تعالى على ما يأتي الكلام فيه.

نعـم هنا شـبهة جرَّت علـى الناس ما جـرَّت، حيث قد يدعـى أن خضوع فعل الإنسـان لله تعالـى ولتقديـره ـــ بحيث لايقـع إلابإرادته ـ راجـع إلى كون فعل الإنسـان فعـلاً له تعالـى، ومنتهيـاً إليه، وليس الإنسـان إلا كالآلة المقهورة. فلا يكون فعله في الحقيقة مورداً للمسؤولية المسـتتبعة للمـدح والـذم، واسـتحقاق الثواب والعقاب.

ومن ثم اضطر المجبرة ـ حفاظاً على الالتـزام بسـلطانه تعالى وعمـوم قدرته وتدبيره ـ إلـى الالتزام بأن ثوابه وعقابه

ليس باستحقاق، بل له أن يفعل ما يشاء ولا يُسأل عن ما يفعل، لأنه المالك للخلق. وأنكروا حكم العقل بقبح تكليف وعقاب المقهور المجبور.

أما المفوضة فقد اضطروا ـ حفاظاً على الالتزام بعدله جل شأنه وعدم خروجه عن الضوابط العقلية ـــ إلى الالتزام بقصور تدبيره جل شأنه عن أفعال الإنسان الاختيارية، وأن الله عزوجل خلق الخلق، ثم فوض إليهم أفعالهم يختارون ما شاؤوا، من دون أن تخضع أفعالهم لتدبيره وإرادته وقضائه وقدره.

لكن ما تقدم في تقرير الشبهة إن كان المراد به إنكار نسبة الفعل للإنسان ونسبته لله تعالى، فهو أمر يكذبه الوجدان، لأن النسبة تابعة للعرف، ولا شك في أن العرف يفرقون بين الفعل الصادر عن الإنسان بإرادته واختياره والفعل الواقع عليه من دون اختيار منه، كسقوطه من شاهق نتيجة زلزال أو زوبعة. فينسبون الأول للإنسان، والثاني لله تعالى، كما سبق في الأمر الأول. نعم سبق أن الحديث في صحة النسبة غير مهم، وإنما المهم الواقع، صحت النسبة أو لم تصح.

وإن كان المراد بذلك أن الفعل وإن كان منسوباً للإنسان عرفاً، إلا أنه مجبور عليه، لأنه مسبوق بإرادة الله تعالى وتقديره له الذي يمتنع تخلفه. فيدفعه أن الله تعالى لم تتعلق إرادته بصدور الفعل من الإنسان قسراً عليه، ولم يقدر ذلك، بل الذي قضاه وقدّره، وأراده وأمضاه، هو اختيار الإنسان للفعل وإرادته له، وصدور الفعل عن الإرادة والاختيار المذكورين. بل هو المفروض حصوله في محل الكلام، فكون الإنسان مجبوراً خلف.

وإلى ذلك يرجع ما ورد عن أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) من أنه لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين. فالله سبحانه وتعالى هو المدبر والمقدر لكل شيء ـ بما في ذلك أفعال الإنسان ـ وإن كان الإنسان مختاراً في أفعاله، و(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها).

وإن كان المراد أن مثل هذا الاختيار لا يكفي في تحمل المسؤولية، وفي استحقاق العقاب والثواب، بعد أن كان تابعاً لإرادة الله تعالى التي يمتنع تخلف المراد عنها، لأن ما ينتهي إلى ما ليس بالاختيار ليس اختيارياً حقيقة وإن كان اختيارياً صورياً. فالفعل الصادر عن الاختيار المذكور كالفعل الصادر قسراً من دون اختيار لا يكون مورداً للمسؤولية وما يستتبعها من المدح والذم واستحقاق العقاب والثواب.

ففيه:أن قضية: أن ماينتهي إلى ما ليس بالاختيار ليس اختيارياً، وإن كانت قضية عقلية مسلمة، إلا أنها ليست بهذا العموم، بل تقصر عن ما نحن فيه، وهو ما إذا توسط الاختيار في البين، فإن القضايا العقلية وجدانية،

ولا مجال للالتزام بها على عمومها حتى في مورد مخالفتها للوجدان. ولا ريب في أن الوجدان قاضٍ بما ذكرنا. وعليه يجري العقلاء بمرتكزاتهم. وليس الاختيار بنظرهم صورياً لا تترتب معه المسؤولية، بل هو حقيقي كافٍ في ترتبها عندهم. وكما يحكمون بذلك بالإضافة إلى الشارع الأقدس في أوامره ونواهيه، كذلك يجرون عليه في تعامل بعضهم مع بعض في ما يستحسنونه أو يستقبحونه، وما يأمرون به أو ينهون عنه.

إن قلت: إنما يجري العقلاء على ذلك في تعاملهم مع بعضهم غفلة عن كون أفعال الإنسان واختياراته مشمولة لتقدير الله وتدبيره، وخاضعة لإرادته القاهرة التي لا تتخلف، وكذلك الحال في الوجدان الذي تبتني عليه مرتكزاتهم. فإن البناء على خضوع الكون للإرادة الإلهية وتسييره في فلك التقدير والتدبير الإلهي يختص بأهل الأديان، وهم كما رأينا قد اختلفوا بينهم في الجبر والتفويض، وفي العدل الإلهي، وفي عموم التقدير والتدبير الإلهيين لاختيار الإنسان وأفعاله، وفي شرح نحو العلاقة بين الأمرين.

كل ذلك لعدم وضوح حل الإشكال بينهم بنحو قاطع. فلا مجال للاحتجاج بالوجدان، ولا ببناء العقلاء في المقام.

قلت: كثيراً ما تكون اختيارات بعض الناس متأثرة بغيرهم، حيث قد يملك بعض الأشخاص من قوة الاقناع ـ بالتخويف والإغراء، وغيرهما ـ ما يسيطرون به على اختيارات بعض الناس وإراداتهم، لضعف نفوسهم، فيحملونهم على ما يريدون، ويتابعونهم عن قناعة منهم، وبإرادتهم واختيارهم، لا قسراً عليهم. والعقلاء مع إدراكهم لذلك يحملون العامل مسؤولية عمله ما دام صادراً عن إرادة واختياره، ويغفلون سيطرة غيره عليه وتحكمه في إرادته واختياره، ولا يرون ذلك مانعاً من تحميله المسؤولية.

بل لو سلم أن العقلاء في غفلة عن سيطرة الله تعالى على أفعال الإنسان واختياراته وعن تسييرها في فلك تقديره وتدبيره فلا إشكال في أنهم يدركون خضوع اختيارات الإنسان في كثير من الحالات لأمور خارجة عن اختياره، كغرائزه وعواطفه وانفعالياته، ولا يرون ذلك مانعاً من تحميله مسؤولية عمله. وذلك شاهد ببنائهم ـ تبعاً لما ندركه وجداناً ـ على أنه يكفي في تحميل الإنسان مسؤولية عمله صدوره عن إرادة منه واختيار له بغضّ النظر عن منشأ الإرادة والاختيار المذكورين.

بل لاريب في أن الإرادة والاختيار لابد أن ينتهيان في سلسلة عللهما إلى اللا اختيار، وإلا لزم تسلسل الإرادة والاختيار إلى ما لا نهاية، وهو معلوم البطلان.

وخصوصية خضوعهما في سلسلة

العلل لإرادة الله تعالى وتقديره لا أثر له في الشبهة، بل منشأ الشبهة هو خروجهما عن اختيار الإنسان، إذ لا ريب في أن قبح التكليف بما لا يطاق لا يختص بما إذا كان التكليف صادراً من القاسر القاهر الرافع لاختيار المكلف، بل يعم غيره من مَن لا دخل له في رفع اختياره، فلولا كفاية الاختيار ـ بغضّ النظر عن منشئه وعلته ـ في حسن التكليف للزم قبح التكليف من الله تعالى ومن كل أحد، وعدم تحمل الإنسان لمسؤولية عمله الناشئ عن اختياره لا مع الله ولا مع الناس، كما لا يتحملها لو صدر عمله منه من دون إرادة ولا اختيار، وبطلانه أظهر من أن يخفى.

فلابد من البناء على أن الاختيار ـ بغضّ النظر عن منشئه ـ كافٍ في حسن التكليف وفي تحميل الإنسان مسؤولية عمله واستحقاقه الجزاء عليه. ومرجع ذلك إلى أن الشبهة المتقدمة مخالفة للبديهة. وأن قضية ما ينتهي إلى ما ليس بالاختيار ليس اختيارياً ليست على عمومها، كما ذكرنا.

الثالث: أن الله تعالى لِمَ قدر الخير والسعادة لأهلهما، وقدر الشر والشقاء لأهلهما؟ وهذا أمر مجهول لنا، وليس علينا، ولا لنا أن نتكلف علمه، وإنما نؤمن بوجهه وحكمته إجمالاً، تبعاً لإيماننا بحكمة الله جل شأنه وكماله. فهو لا يُسأل عن فعله لأن فعله مطابق للحكمة، ولا يقع إلا على الوجه الأكمل، لا أن من حقه أن يفعل ما يشاء وإن خرج عن مقتضى الحكمة.

وعلى كل حال فهذا أمر يتعلق بكمال الله تعالى وحكمته، من دون أن يكون له الأثر في عموم قدرته، ولا في عدله جل شأنه، بعد ما سبق من دفع الشبهة المتعلقة بذلك في الأمر السابق.

ولا ينبغي لنا الخلط بين الأمرين، حتى أنا من أجل الجهل بالحكمة المذكورة نتخبط في المقام السابق. وننسب له تعالى ـ من حيث ندري أو لا ندري ـ ما لا يليق به.

هذا ما تيسر لنا من الحديث في هذا الموضوع الهام، ونرجو أن نكون قد وفقنا فيه والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

ونسأل الله سبحانه وتعالى بمنه ولطفه أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يشرح صدورنا لتقبل الحقائق ويوفقنا لايضاحها، ويسددنا في ذلك إنه العاصم من الضلال، الهادي للرشاد المسدد للتي هي أقوم، وهو حسبنا ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم وعلى من معكم من المؤمنين ورحمة الله بركاته.

النجف الأشرف

٨ ربيع الثاني ١٤٢١هـ

شعر أبي العلاء المعري الاجتماعي

وأثره السلبي في الحياة الاجتماعية

« قراءة معاصرة جديدة »

• فضيلة الشيخ عبدالجبار الساعدي
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع لست أبغي من وراء هذه الدراسة أن أقوم بسرد السيرة الذاتية لشاعرنا الكبير أبي العلاء المعري وأن أتتبع كل مفردات حياته وسيرته وسلوكه وخاصة فيما يتعلق بمراحل دراسته وثقافته وتحصيله العلمي مروراً بذكر أساتذته الذين درس عندهم وتلقى معارفه وعلومه على أيديهم فإن هذه المطالب وأمثالها قد تكفلت بها كتب السيرة والتراجم والمعجمات الرجالية والموسوعات الذاتية وإنما أريد الوقوف عند بعض نماذجه الشعرية التي هي دعوة صريحة إلى تعطيل عجلة الحياة عن الحركة والديمومة والاستمرار وبالنتيجة تكون معولاً هداماً لهدم بنية الحياة الاجتماعية ونقضها وليس يعنيني في هذه الدراسة الوقوف عند عقيدته ومعتقده الديني فإن الدارسين ـ قديماً وحديثاً ـ اختلفوا في ذلك وتباينت آراؤهم بين من

يصفه بالكفر والزندقة والإلحاد ويخرجه عن دائرة الإسلام والمسلمين بالمرة ومن واصف له بالإيمان المطلق والنُسك والعبادة والانقطاع إلى الله وبذلك يدخله في حضيرة الإيمان ومع زمرة المؤمنين الصالحين ولعمري كلا الرأيين في اشتطاط بعيد ومبالغة وإسراف في الحكم ولقد تعرضنا إلى هذه البحوث وأمثالها ممن تتصل بعقيدته وسلوكه وإيمانه في بحث مازال مخطوطاً ينتظر النور وعنوانه (المعري بين الشك واليقين) ولدينا دراسة موجزة أخرى بعنوان (الاضطراب في شعر المعري) ولكن هذا لا يدعنا أن نحرم القراء من لمحة موجزة عن ترجمته الذاتية لكي يكونوا على شيء من الإطلاع على حياته ولادةً ونسباً ووفاةً بدون إسراف وإسهاب في ترجمته وسرد المفردات الحياتية المتعلقة به.

ولد أبو العلاء المعري يوم الجمعة (٢٨) من شهر ربيع الأول سنة (٣٦٣هـ) أي سنة (٩٧٣م) قبل مغيب الشمس بقليل في معرة النعمان من ملحقات مدينة حلب وتوفي يوم الجمعة أيضاً في العشرين من شهر أيار سنة ألف وسبعة وخمسين بعد الميلاد بعد أن مرض ثلاثة أيام قبل موته ومات في اليوم الرابع من أوائل ربيع الأول سنة (٤٤٩هـ) فيكون عمره يقع في ست وثمانين سنة.

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي، وهو المعروف بساطع الجمال، رهين المحبسين، ينتهي نسبه الأعلى إلى تيم الله ثم إلى قضاة ثم إلى قحطان إن صح الاعتماد على ما تحدث به النسابون.

سماه أبواه بهذا الاسم ولكنه كرهه حين بلا نفسه وعرف أخلاقه فرأى إن من الكذب اشتقاق اسمه من الحمد، وإنما ينبغي أن يشتق من الذم. وكذلك كنياه بهذه الكنية (أبو العلاء) فقد كان من عادة الآباء في ذلك العصر أن يكنوا أبناءهم وقت تسميتهم ولكن أبا العلاء كره هذه الكنية أيضاً، ورأى أن من الظلم أن يضاف إلى التصعيد والعلو، وإنما العدل أن يضاف إلى السقوط والهبوط:

دعيت أبا العلاء وذاك مينٌ
ولكن الصحيح أبا النزول

فأما اللفظ الذي اختاره لنفسه وكان يحب أن يدعى به فهو (رهين المحبسين). وقد سمى نفسه بهذا بعد رجوعه من بغداد واعتزاله الناس، وإنما أراد بالمحبسين منزله الذي احتجب فيه، وذهاب بصره الذي منعه من مشاهدة الأشياء المبصرة، على أنه قد ذكر لنفسه في اللزوميات سجوناً ثلاثة: أحدها منزله والآخر ذهاب بصره، والثالث: جسمه المادي الذي احتبست فيه نفسه أيام الحياة وذلك حيث يقول:

أراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقد ناظري ولزوم بيتي
وكون النفس في الجسم الخبيث

وفي نظرنا هذه هي بداية المصيبة وأوائل الطامة الكبرى حيث انطبعت نفسه بهذه التلاوين السوداوية الحزينة الكئيبة فثار أولاً على اسمه وكنيته ورأى أن الصحيح أنهما مشتقان من الذم والهبوط لا من الحمد والعلو وما مني به بعد ذلك من إيثار العزلة والانطواء على النفس وعدم مخالطة الناس ومعاشرتهم ومجاملتهم (والإنسان كائن اجتماعي بالطبع) يألف ويؤلف ولا يستطيع العيش المرفه ذا الدعة والسرور إلا بين أبناء

رهطه وجنسه يتأثر ويؤثر وبذلك تستمر الحياة الاجتماعية أثراً وحركة وديمومة وبناءً وتفاعلاً للتطلع نحو المزيد والأعمار والبقاء فيما يعود خيره ونفعه على البشرية في الدارين الدنيا والآخرة.

غير أنه قد أعرض عن السجن الثالث فلم يسم نفسه إلا (رهين المحبسين) وعلة ذلك فيما يرى بعض الباحثين ومنهم الدكتور طه حسين أمران، أحدهما: أن هذا السجن وهو الثالث مشترك بينه وبين عامة الناس والثاني: أن مذهبه في النفس لم يكن ثابتاً وقد قلت في بداية حديثي لست معنياً بشيء في هذه الدراسة سوى بيان الآثار السلبية المترتبة على شعره الاجتماعي ونقضه لبنية الحياة الاجتماعية إما تحقيق رأيه في النفس مفصلاً فيدخل ضمن الحديث عن فلسفته نشوءاً وأصولاً ومصدراً وهو ما أطلق عليه الدكتور طه حسين في كتابه المعروف (تجديد ذكرى أبي العلاء) ـ بالفلسفة العلائية ـ وينبغي لمن يريد دراسة أحد الأدباء أو الشعراء أو الفلاسفة أن يدرسه من جميع جوانبه مع ملاحظة الأسباب والمسببات والأخذ بمؤثرات البيئة والمحيط غير مقطوع الصلة بالزمان والمكان وألا يكون الحديث عن أي شخصية ضرباً من الغلو والتحكم والظلم والتجني إذا ما وصفه بشيء من الأوصاف التي تتناقض ومفهوم الشخصية المحترمة المميزة إذا ما أغفل ملاحظة كل ما مر ذكره من العوامل والمؤثرات التي تحيط بهذه الشخصية أو التي ولدت معه وعاشت وإياه جنباً إلى جنب ولدى الواقع ومن منطلق النظرة المنصفة أن الحديث عن حكيم المعرة وعملاق الشعر العربي أبي العلاء المعري لا يصح أن يكون بمعزل عن الآثار المادية والمعنوية التي أحاطت به واكتنفته من كل جانب ومكان هذا إذا ما أردنا توخي الدقة والإنصاف وتحري الواقع والحقيقة وعدم الاشتطاط والجور والحيف في إلصاق التهم بحق بعض الشخصيات المدروسة (جزافاً) وعلى كل أديب منصف صاحب فكر جليل وعقل رصين حصيف ويحمل قلماً يعتز به أن يكون متوازناً هادفاً فيما يرى دقيقاً محققاً فيما يحكم ويستدرك ويحقق. والمعري وماله وما عليه نتيجة لازمة، وثمرة ناضجة لطائفة من العلل التي اشتركت في تأليف مزاجه وتصوير نفسه من غير أن يكون له عليها سيطرة أو سلطان إذ من الخطأ كل الخطأ أن ننظر إلى الإنسان نظرنا إلى الشيء المستقل عما قبله وما بعده وإذا صح قولنا هذا فإن أبا العلاء ثمرة من ثمرات عصره قد عمل في انضاجها الزمان والمكان والحال السياسية والاجتماعية، والحال الاقتصادية ونريد بالحياة الاجتماعية ما يؤلف بين أفراد الأمة من الصلاة والأسباب فإن الحياة الاجتماعية الصالحة ليست إلا مزاجاً يتألف من سياسة مستقيمة وعدالة شاملة ونظام اقتصادي معقول، وأمن محيط بالأقوياء والضعفاء على حد سواء، فإذا فقدت هذه الخصال كلها فلابد من تدابر وتقاطع، ومن تنافر واختلاف، ومن انقباض ظل الفضيلة حتى يكاد يمّحى.

ومهما يكن فقد أثر فساد الحياة الاجتماعية والخلقية في نفس أبي العلاء آثاراً كونت له في الاجتماع والأخلاق آراءً خاصة ونحن وإن التمسنا العذر له وبيّنا ـ ولو بشيء من الإلماح والإيجاز ـ الأسباب والدوافع في ذلك ولكن هذا لا يلغي رأينا في أن تلك الآراء والنظريات والمذاهب التي يحملها شعر أبي العلاء الاجتماعي كونها معول هدم وتخريب لبنية الحياة الاجتماعية

وتعطيلاً لدورها الفاعل والمؤثر في الديمومة والحركة والاستمرارية والبناء ولا يعذر صاحبها مهما كانت الأسباب والمسوغات التي دفعته إلى ذلك لأنها تتصادم والأصول المسلّم بها في عالم العقائد والحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية ولا ينقضي العجب العجاب من بعضهم حينما يلتمسون التبريرات والمسوغات للمعري في ذلك، وهم في زحمة ثورة العواطف المتأججة تجاه من يحبون، ويريدون في دفاعاتهم ومناقشاتهم عن أحبائهم وتلمس في تلك الدفاعات اشتطاطاً بعيداً وتحكماً للحقيقة والصواب وبعيداً عن روح الواقعية والهدفية مثلما جاء في كتاب (شعراء رثوا أمهاتهم ج١) لمؤلفه السيد محمد حسن الطالقاني فقد جاء ما نصه في ص٣٣٢ ولم يأكل لحوم الحيوانات ومنتوجاتها من بيض ولبن وعسل خمساً وأربعين سنة وذكر غيره إنه كان نباتياً يشفق حتى على الحيوان فكان نباتياً بالمعنى الفلسفي والواقعي معاً، وقد امتنع عن أكل اللحوم ونفر منها واقتصر على تناول البقول وله في ذلك أشعار سنأتي عليها ونذكر ما نريد الاستشهاد به والتعليق عليه ووصلت به (النباتية) إلى الامتناع عن شرب اللبن لأنه يرى أن أطفال البهائم أحق به من الإنسان.

ونعد إلى رأي البعض من الكتاب في مسألة تبريرهم لامتناعه عن أكل الحيوان ومنتوجاته واقتصاره على النباتات حيث يقول البعض منهم وقد اتهمه بعض المترجمين له بسبب امتناعه عن أكل لحم الحيوان ومنتجاته من لبن وبيض وعسل أنه يرى رأي البراهمة والحكماء النباتيين الذين لا يرون إيلام الحيوان وإزهاق الأرواح ولم يكن لكل ما قيل نصيب من الصحة، كما لم يكن للمعري داعٍ غير الزهد في ملاذ الحياة، والرأفة والعطف على الحيوان وعدم الرضا بإزهاق روحه رغم حله وذكروا له تبريرات صرح بها في رسائله وشعره ومنها ما مؤداه أن الحيوان يحس بالألم كالإنسان وإن الأم منه يتصدع قلبها إذا أخذ منها ابنها كما هي الحال في الإنسان عيناً وهي تضن بلبنها بغية إرضاع ولدها، وإن السمك يكره مفارقة الماء فإذا أخرج منه اضطرب وظل يضرب بنفسه الأرض حتى يموت أو يعاد إلى الماء وإن الطير يرتفع في كبد السماء ويسكن أعالي الجبال والأشجار هرباً من شباك الصياد وإن الدجاجة تحرص على بيضتها فتغطيها بجناحيها، وتملأ الفضاء بالصراخ إذا قرب منها أحد خوفاً عليها وهي تنتظر أن تفقس لترى فرخها بعينها وأن النحل يدخر العسل لإطعام صغاره ولا يهون عليه أن يسلب غذائهم أحد... وقد بلغ المعري من رقة القلب وإرهاف الجسد حداً جعله يفكر في ذلك ويحسه تمام الإحساس فلم تعد نفسه تطاوعه على أن يهنأ في طعام أزهقت فيه روح ليستلذ به آكل أو عصب من ذي إدراك علقت به نفسه وليس ذلك أكثر من الرحمة (والله يحب من عباده الرحماء) - النبي ﷺ - والزهد من سنن المرسلين والأولياء والصالحين.

ولا نبذل كبير عناء في رد هذه التبريرات العلائية والتي رددها من كتب عنه من المعاصرين فإنها جلجلونيات كلامية لا تسمن ولا تغني ولا تشبع فإنها تحمل الرد وعدم القبول والرفض لها بين

طياتها لأن المؤلف الكريم أكد ذلك في بداية السطور بقوله - رغم حله - ولا ينقضي العجب أن المؤلف أورد نصوص آيات كريمة دلت على الإباحة والحلية وترغيب البارئ عز وجل إلى الاستفادة مت تلك الأنعام والثمرات والأرزاق وهي:

١- (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) سورة الأعراف/ الآية:٣٢.

٢- (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) سورة القصص/ الآية:٧٧.

٣- قوله (وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ۞... هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ۞ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ۞ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ۞ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۞... وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) سورة النحل/ الآية:٥-١٤ و٨٠.

ولا نبذل جهداً في التعليق على هذه الآيات الشريفة والنداءات السماوية الجليلة لأنها أوضح من أن تحتاج إلى تعليق وتفسير وإيضاح ولكن يطيب لي أن أذكر تعليقات المؤلف نفسه قبل إيراده لهذه الآيات وبعد الانتهاء من إيرادها حيث وصف الممتنعين عن المآكل والمشارب ورفض الملذات الحلال المشروعة في الحياة بقوله على أنهم لم يعتمدوا في ذلك نصاً شرعياً في النهي ولا حديثاً مروياً في الحرمة وكيف ذلك والله تعالى يقول... وسرد الآيات التي مرت علينا قبل قليل وعلق على الآيات بعد إيرادها بقوله:

(فالآية الأولى صريحة في الاستنكار على من يحرم على نفسه الاستمتاع بالطيبات من الرزق، والآية الثانية تأمر بتقديم العمل للدار الآخرة على العمل للدار الدنيا ولكنها في الوقت نفسه تلفت نظر كل فرد إلى أخذ نصيبه من كل ما يروق له من ملذات مشروعة. والآيات الأخيرة تعدد النعم التي تفضل الله بها على عباده للاستفادة منها في الدنيا والاستعانة بها على مهام العيش وتدل على طريق الانتفاع بها والفوائد التي يستطيع الإنسان أن يجنيها منها وتعدد ضرورات الحياة من طعام وزينة وفرش ووسائط نقل... إلى ما هناك من وسائل ومتاع وأرزاق كل ذلك لهذه الحياة الدنيا وليس فيها ما يعود إلى الآخرة فلو لم يرد لعباده الرخاء والسعادة والراحة لما هيأ لهم كل هذه الوسائل واللوازم. أقول: ما دام الأمر كذلك أيها الأخ المؤلف الجليل فلماذا هدر الوقت وإضاعته وصرف الحبر والورق في أمر وصفته بأن الله أراده رخاءً وسعادةً وراحة للعباد في الحياة وبذلك لم تستقيم الحالة الاجتماعية وتتقدم المجتمعات البشرية وتتماسك وتقوى وتعطي ثمارها في التناسل وأعمار الأرض وديمومة الحياة ومعنى

ذلك من انصرف عن هذه الأمور ساهم في هدم المجتمعات البشرية ودعا دعوة صريحة إلى تعطيل دور الحياة ونقض بنيتها وبالتالي يكون خراباً للأرض وتحطيماً للمجتمعات البشرية وإساءةً بالغة للحياة الاجتماعية لاسيما وأنت تقول إن هذه الآية صريحة في الاستنكار على هذا المسلك وهو مسلك من يحرم على نفسه الاستمتاع بالطيبات من الرزق، والآية الثانية تأمر بتقديم العمل للدار الآخرة على العمل للدار الدنيا ولكنها في الوقت نفسه تلفت نظر كل فرد إلى أخذ نصيبه من كل ما يروق له في الدنيا من ملذات مشروعة. والآيات الأخيرة تعدد النعم التي تفضل الله بها على عبادة للاستفادة منها في الدنيا والاستعانة بها على مهام العيش، وتدل على طريق الانتفاع بها، والفوائد التي يستطيع الإنسان أن يجنيها منها، وتعدد ضرورات الحياة من طعام وزينة وفرش ووسائط نقل... إلى ما هناك من وسائل ومتاع وأرزاق كل ذلك لهذه الحياة الدنيا وليس فيه ما يعود إلى الآخرة ولو لم يرد لعباده الرخاء والسعادة والراحة لما هيأ لهم كل هذه الوسائل واللوازم.

أعتقد أن سطور المؤلف هذه هي كافية في الرد على تبرير تصرف المعري في زهد بها وإعراضه عنها لأن الله ـ وهذا ما قرره المؤلف ـ أراد شيئاً من باب اللطف بعباده وتحقيقاً لجانب السعادة والراحة لهم وأراد العبد المخلوق شيئاً آخر بعيداً عن روح السعادة والراحة وإنما اتجه لضرب معاقل الحياة الاجتماعية وتدمير هيكلها ونقض بنيتها فتعارضت الإرادتان وأي خلل إذا ما بلغ العبد في تصرفاته ومعتقداته حداً يصل إلى الرد على الله والمعارضة مع الإرادة الإلهية.

والأنكى من كل ذلك ما ذهب إليه المؤلف في تبرير تصرف المعري من أنه لم يخالف قول النبي صلى الله عليه وآله وفعله وأقوال الصحابة الأبرار وآل بيته الأطهار عليهم السلام وسيرهم في تجنب اللذائذ والزهد فيما هو فوق ما تتطلبه الضرورة لا ينافي ذلك وإنما هو منهج أخلاقي لأهل السيرة والسلوك إلى الله في مخالفة النفس وكبح جماحها للتمكن من السيطرة عليها وهي رياضة روحية خاصة بأهلها وليست مطلوبة من كل الناس على تفاوت طبقاتهم. وتعليقنا معاذ الله أن يبلغ الحال بأهل البيت النبوي الشريف أن يصلوا إلى حد التعارض والتضاد مع منطلقات ودعوات الكتاب الكريم ومفردات السنة النبوية الكريمة والإسهام المتعمد في هدم كيان الحياة الاجتماعية مادام الأمر كما قال المؤلف نفسه أن بعض الآيات دعوة صريحة في الاستنكار فهل يعقل أن يكون أهل البيت النبوي الكريم عليهم السلام في معرض الرد على الله وأن يكونوا عرضة للاستنكار القرآني:

نعم لم يعرف عن أهل البيت عليهم السلام أنهم تهالكوا على حطام الدنيا الزائل ولا أخذهم الشره والنهم والجشع والطمع فيما يفنى ويزول وإنما نظرهم دائماً إلى المبدأ الأعلى والشعارات السامية الباقية وإذا ما ذكر المؤلف الكريم عن بعض أهل السلوك والعرفان أقوالاً وأفعالاً فنحن قد اتصلنا وعاشرنا البعض منهم كذلك ومن مقرراتهم أن الزهد لم يكمن في إطالة اللحى وعدم التأنق في الملبس والمأكل والعزوف التام عن الدنيا زواجاً وعلاقات اجتماعية إعراضاً عن كل المآكل والمشارب المباحة المشروعة وإنما ترويض النفس وأخذها وتدريبها على أن تهش وتستمرئ أكل خبز الشعير كما تلتذ وتستمرئ أكل الرز الطيب

الجيد إذا ما توفر ذلك وتمكن المرء من الحصول عليه من طرقه المشروعة ولا يستبد بها الحزن والرفض وعدم الرضا والقبول إذا ما حرمت من الحصول على المآكل والمشارب الطيبة الهنيئة فإذا ما روض نفسه وأخذها على الرضا والقبول بكل الحالات فهذا هو الزهد والرياضة الحقة. وثمة شيء أخير أسوقه في المقام أقول أن المعري وأمثاله من الذين يشفقون على الحيوانات الصغيرة الضعيفة من مثل فرخ الدجاج وأنواع الطيور الأخرى وحتى منتوجاتها من لبن وبيض أو عسل أقول هل هم أرأف من الله وأكثر منه حناناً ومعرفة بما يصلح للعباد في الدارين وبما يعمر البلاد وما تتكامل به الحياة الاجتماعية وتتواصل به الحركة الدنيوية الديناميكية من أجل الأعمار والبقاء والاستمرار والاستثمار فأي رد فاضح وأي اعتراض مرفوض مستنكر ممن يحرم على نفسه الطيبات من الرزق وهل بعد استنكار الكتاب الكريم استنكاراً (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) سورة الأعراف/ الآية:٧١.

وبالجملة فإن شعر أبي العلاء الاجتماعي وما تضمن من آراء اجتماعية بشأن الحياة والمرأة والزواج والعلاقات البشرية هي عناصر هدم وتدمير للحياة الاجتماعية وإذا استطعنا أن نتسامح في محاكمته وكذلك في عدم مؤاخذته والتماس التبريرات لتشاؤمه وانطوائه وعزلته لأن كل أديب ومفكر لابد له من أن يدفع الضريبة لبيئة وكذلك لمحيط تواجد فيه وعاش بين ربوعه وعصر أخذ منه وأثر فيه ولكن هذا كله وأمثاله لا يجعل خطأه صواباً ولا هدمه إصلاحاً فالغلط يظل غلطاً في أي زمان وقع وإن أبا العلاء يعجبك في كل شيء وترضيك منه كل ناحية فهو إذا فكر كان تفكيره خصباً وإذا بحث كان بحثه استقصائياً عجباً، وإذا زهد كان مثالاً للزهد لا يجارى، وإذا اعتقد عقيدة أخلص لها أشرف الإخلاص وأعظمه، وإذا شك بلغ به الشك أقصاه وإذا كفر بذّ جميع الكافرين وتفوق على كل الملحدين وإذا تهكم أزرى بكل الذين يسخرون ويتهكمون. فالرجل أعجوبة عصره ولغز زمانه وسيظل أعجوبة لكل عصر ولغزاً لكل جيل وسراً يكبو دون حلة المتشوقون إلى حل الأسرار... كل هذا وأمثاله صحيح إلا إذا رافقته مفكراً وجاريته مدققاً فهناك يصدمك أبو العلاء ويروعك ويريك الحياة على غير ما هي عليه، وعلى غير ما يجب أن تكون عليه الحياة ويسلمك من حيرة إلى حيرة، ومن ألم قاتم إلى ألم حالك نحيف إلى يأس شنيع فتقف وقد هدمت ثقتك بنفسك وبالإنسانية جمعاء ولعل هذا أشنع ما يروعك من أدب أبي العلاء ومن حكمته وآرائه - كما ذهب إليه الأديب الأردني المعروف روكس بن زائد العزيزي - وأقول أية قيمة لحياة اجتماعية تحت ظل هذه الآراء والحكميات والأشعار الاجتماعية التي يتفوه بها المعري ولعل تشاؤم أبي العلاء المعري الذي قاده إلى أسمى ما في الحياة من زهد صارم جبار يلهي الناس عما في أدبه وأفكاره من عناصر الهدم الاجتماعي والتدمير.

ولكن نظرةً مدققةً فاحصة تريك الرجل يحمل معول الهدم والتدمير جاداً مخلصاً ماضياً قدماً لا يلوي على شيء فلابد - والحالة هذه - للذي يريد الخير لهذه الأمة ولشبيبتها وللمجتمع بصورة عامة وللحياة الاجتماعية أن تستقر وأن ترسى دعائمها على أسس وطيدة ولسمة هذا الشاعر العبقري العملاق من أن ينبه على أغلاطه الفلسفية وليس يهمني بعد

هـذا أن يكون الرجـل معذوراً بالنسـبة إلى حالته النفسية وبالنسبة إلى العصر الذي عاش فيه والوسـط الذي كان يسـتوحيه وكل ما يهمني ما تتركه أفكاره في نفس من يقرأها ولنشـير بشـيء من الإيجاز والاستشـهاد إلى بعض آرائه الشـعرية الاجتماعيـة التي أخفق فيها اخفاقاً ذريعاً وحملت بين طياتها معول بل معـاول الهدم والتدمير والتخريب الاجتماعي التي لو كتب لها الأخذ والقول والبقاء لشلت حركة المجتمع وتحطمت الحياة الاجتماعية من الأسـاس ولكن والحمد لله كانت آراء المعري الاجتماعية في وقتها موضع المناقشة وعدم التسـليم بها أصلاً وقد رد عليه سـابقاً ولاحقاً من لدن من يرى الحياة الاجتماعية أن تمضي قدماً عبر حركة ديناميكية متطورة نحو الأفضل والتجدد والاستمرارية والبقاء.

الـــــزواج:

مـن الطبيعـي إذا أعـرض أبـو العلاء عن النسـل، أن يعـرض عـن الزواج لأنه سـبيله، ولأن فيه شـروراً أخرى ذكرها غير مرة في اللزوميـات يعرفها من قـرأ تائيته التي نظمها في ذم النساء ومطلعها:

ترنم في نهارك مستعيناً
بذكـر الله في المترنمـات

على أنه قد نهى عن الزواج نصاً فقال:

فإن أنت لم تملك وشيك فراقها
فعف ولا تنكح عواناً ولا بكرا

وذلك جاءه من سوء ظنه بالنساء واعتقاده أن العفـة والإحصـان فيهـن نـادرة ولعل هذا

جانب من تشييع الشيخ آغا بزرك الطهراني في الثالث عشر من ذي الحجة ١٣٨٩هـ في الصحن الحيدري الشريف، ويظهر الخطيب السيد جواد شبر مؤبناً للفقيد

الرأي هو (المزدكية) التي أشار إليها الذهبي في ترجمته لأبي العلاء ونسب شيئاً منها إلى رسالة الغفران، لاشتمال هذه الرسالة على ألوان من إباحة القرامطة يرويها رواية الساخط عليها. وفي اللزوميات ما يؤيد ميل أبي العلاء في بعض أطواره إلى الإباحية والمشاعية في النساء، فهو لا يفرق في حكم العقل بين ابن الحرة وابن الزانية فيقول:

وسيان مَن أمهُ حرة حصان ومن أمه زانية

ويقول:

وما ميّز الأطفال في أشباحها
للعين حلّ ولادة وعهار

ويذهب الدكتور طه حسين إلى أبعد من ذلك في مقالته الخامسة الموجودة في كتابه (تجديد ذكرى أبي العلاء) حيث يقول:

وسترى أن مذهب أبي العلاء في الأخلاق لا ينافي في هذا الرأي. والعجب أنه حكم المنفعة المطلقة في الزواج، فكان نصيحاً مخلصاً حين تصبح للناس في أمره فقد رأى أن الزواج شر على الرجل، لأنه يكلفه مؤناً وأثقالاً فنهاه عنه، ورأى الزواج خيراً للمرأة، لأنه يرفع عنها أثقال الحياة، فأمر والدها أن يلتمس لها الزوج، واضطره ذلك إلى تناقض يقول فيه:

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها
وخوف ابنك من نسل وتزويج

فلما فرغ لنفسه، ولم ينظر في المسألة نظراً اجتماعياً كره الزواج فعاش ولم يتزوج وأعلن إعجابه بسيرة الرهبان، فقال:

ويعجبني عيش الذين ترهبوا
سوى أكلهم كد النفوس الشحائح

الحياة:

ومن عناصر الهدم والتدمير الاجتماعي قوله:

على الولد يجني والدٌ ولو أنهم
ولاةٌ على أمصارهم خطباء

فرجل يعتقد أن الحياة جناية إنما هو رجل يحمل معول الهدم الاجتماعي وإن كان يقول ذلك مخلصاً فيه كل الإخلاص، ودليلنا على إخلاصه أنه عمل بما قال حرفاً بحرف فلم يرد أن يكون ولداً لا في الحلال ولا في الحرام. لئلا يكون جانياً على أولاده كما كان والده - في اعتقاده - جانياً عليه:

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

ولما كان الرجل فيلسوفاً أو على أقل تقدير كان مشتغلاً بالفلسفة فإن من أبسط قواعد الفلسفة لا بل من بديهياتها - إن الوجود ولو في الجحيم خير من عدم الوجود -، وإن المعرفة - إطلاقاً - خير من الجهل إطلاقاً والأحياء يعرفون ما لا يعرفه الذي حكم العدم فكيف إذن يا شيخ المعرة وفيلسوفها تقول:

وإذا أردتم بالبنين كرامة
فالحزم أجمع تركهم في الأظهر

ماذا يصيب المجتمع الإنساني من الاضطراب والفوضى لو اعتقد كل فرد من أفراده أن وجوده نكبة لا يستحق والده من أجلها سوى الحقد والكراهية والعقوق جزاءً وفاقاً لجنايته عليه بإيجاده إياه:

ضل الذي جعل ابناً للروى غرضاً
إن عُقّ فهو على جرم يكافيه

تصور مجتمعاً كل أفراده ينقمون على آبائهم لأنهم كانوا السبب في وجودهم وتصور حالة هذا المجتمع من البؤس والشقاء مع أن البارئ عز شأنه لم يخلق الناس إلا ليسعدوا فإذا كانوا لا يسعدون فما ذلك إلا لأنهم لا يريدون أن يسعدوا أو لأنهم ضلوا طريق السعادة ■

التتمة في العدد القادم

قصيـدة:

عند الحوراء زينب عليها السلام

• شعر
السيد مرتضى السندي
أستاذ في الحوزة العلمية الزينبية

يممت طرفي رَوْضَـةَ الحَوْراءِ ... وأسلتُ دمعاً من صميم ولائي
كالزائرينَ وقفتُ في جنّاتِها ... أُحيي الفؤادَ بأطيبِ الأَشـذاءِ
فَهُنا عبيرُ المصطفى والمرتضى ... قد فـاحَ من ريحانةِ الـزَهـراءِ
وَهُنا تـراءت لي وقائع كربلا ... حَيْثُ الحُسَيْنُ وجُملَة الشُهداءِ
وَتجسَّدتْ لبَصيرَتي صُورُ السبا ... وتـحـوّلَـت للشام عـاشـوراءِ
وكـأنَّ مـولاتـي عقيلةُ حَيْـدرٍ ... خـرَجَـت إلـيَّ بدَمعةٍ حمراءِ
وتقولُ يا جـدَّاهُ يا خير الورى ... لا ينقضي حتى المعادِ عزائي
طوراً أنوحُ عليك يا شمس الهُدى ... وأرى الموالي ينتحب بإزائي
وأنـوحُ طـوراً للبتولِ وضلعِها ... وأرى الشهيدَ بحملةِ الأعـداءِ
وعلى أبي المقتول في محرابه ... تنهلُّ أمـاقـي بفيض دمائي
وعلى الزكي تَسيلُ طوراً عَبرتي ... وأصيحُ واحَسناهُ من بلوائي
أما الحُسينُ وصحبُهُ فمُصابُهم ... أشجى أسـاهُ عـوالـمَ الأحياءِ
فالعرشُ والملكوتُ ضجَّ لرُزئهِ ... جـــدَّاهُ هــذا أعـظـمُ الأرزاءِ
هزَّ المصابُ ضميرَ كُل مُكوَنٍ ... وأذابَ قَلبَ الكائنات ندائي
هـذا حُسَينٌ بالدماءِ مُضرَّجٌ ... هـلا سقيت آخـي بشربة مـاءِ
ذبحوهُ عطشاناً فوا لهفي على ... أخـي الذبيحِ مـوَّزع الأشـلاءِ
جَـدّاهُ قد سيقت بناتُك حُسراً ... أسـرى وكم أوصيتَ بالأسراءِ
أثرُ السياط على متوني لم يَزل ... جَـدَّاهُ جـدَّ الـقَـوْمُ في إيذائي

..في الذاكرة

شهر ذي القعدة:

- في الحادي عشر منه ولد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام سنة ١٤٨هـ .
- وفي السادس عشر منه ولد كافي الكفاة الصاحب بن عباد سنة ٣٢٦هـ .
- وفي الثالث والعشرين منه كان خروج النبي صلى الله عليه وآله لحجة الوداع سنة ١٠هـ .
- وفي ليلة الخامس والعشرين منه ولد عيسى بن مريم عليه السلام وإبراهيم الخليل عليه السلام .
- وفي يوم الخامس والعشرين منه دحيت الأرض من تحت الكعبة وسطحت على وجه الماء، وهو أول يوم نزلت فيه الرحمة من السماء إلى الأرض.
- وفي آخره استشهد الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام سنة ٢٢٠هـ .

شهر ذي الحجة:

- في الأول منه زوّج النبي صلى الله عليه وآله سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٢هـ .
- وفي الثالث منه أمر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة بأمر جبرئيل عن رب العزة، فأخذها أمير المؤمنين عليه السلام منه وأداها سنة ٩هـ .
- وفي السابع منه استشهد الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام سنة ١١٤هـ .
- واليوم التاسع منه يوم عرفة، وفيه استشهد مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة سنة ٦٠هـ. وفي هذا اليوم أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله أن يسد جميع الأبواب والنوافذ التي كانت مفتوحة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله سوى باب أمير المؤمنين عليه السلام . وفي هذا اليوم أيضاً أنزل الزبور على النبي داود عليه السلام .
- وفي اليوم الثامن عشر منه عيد غدير خم، وهو اليوم الذي أقام فيه النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله تعالى في غدير خم ونصبه إماماً ووليّاً على الخلق أجمع سنة ١٠هـ وذلك عند رجوعه من حجة الوداع، فهو عيد الله الأكبر وعيد آل محمد الأعظم وعيد شيعتهم ومحبيهم المبارك وهو أعظم الأعياد وأفضلها وأشرفها قدراً وأكثرها بركة فمن ادعى

أنه محب لمحمد وآله الطاهرين يجب عليه أن يظهر الفرح والسرور فيه ويعرف قدر هذا العيد وفضله وشرفه، فقد روى أن يوم الغدير بين الفطر والأضحى والجمعة كالقمر بين الكواكب.

وهو اليوم الذي أنجى الله تعالى فيه إبراهيم عليه السلام من نار نمرود.

وهو اليوم الذي أقام فيه موسى بن عمران عليه السلام أخاه هارون عليه السلام خليفة من بعده.

وهو اليوم الذي أظهر عيسى عليه السلام وصيه شمعون الصفا.

وفي مثل هذا اليوم قتل عثمان بن عفان سنة أربع وثلاثين من الهجرة وكان له من العمر يوم قتل اثنان وثمانون سنة.

وفي مثل هذا اليوم بويع أمير المؤمنين عليه السلام ورجع حقه إليه.

وفي مثل هذا اليوم فلج موسى بن عمران عليه السلام على السحرة وغلبهم وأخزى الله تعالى فرعون وقومه.

وفي مثل هذا اليوم أشهد سليمان بن داود عليه السلام سائر رعيته على استخلافه آصف بن برخيا.

❁ وفي الثاني والعشرين منه استشهد ميثم التمار رضي الله عنه سنة ٦٠ هـ.

❁ وفي الرابع والعشرين منه تصدق أمير المؤمنين عليه السلام وهو راكع في الصلاة بخاتمه على المسكين سنة ١٠ هـ فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهو راكعون﴾.

وفي مثل هذا اليوم أيضاً باهل النبي صلى الله عليه وآله بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نصارى نجران.

❁ وفي ليلة الخامس والعشرين منه تصدق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام على المسكين واليتيم والأسير بقوتهم وهي ثلاثة أقراص من الشعير.

❁ وفي اليوم الخامس والعشرين منه أنزل الله تعالى فيهم سورة (هل أتى) فينبغي للمؤمنين والمحبين لهم أن يقتدوا بهم ويتصدقوا على الفقراء والمساكين بما يمكنهم في مثل هذا اليوم.

❁ وفي السادس والعشرين منه طعن عمر بن الخطاب بخنجر أبي لؤلؤة ومات في اليوم التاسع والعشرين منه سنة ٢٣ هـ.

❁ وفي السابع والعشرين منه قتل مروان الحمار فانقرضت دولة بني أمية.

أبو طالب..
مسلم بقلبه ولسانه

• طالب علي الشرقي

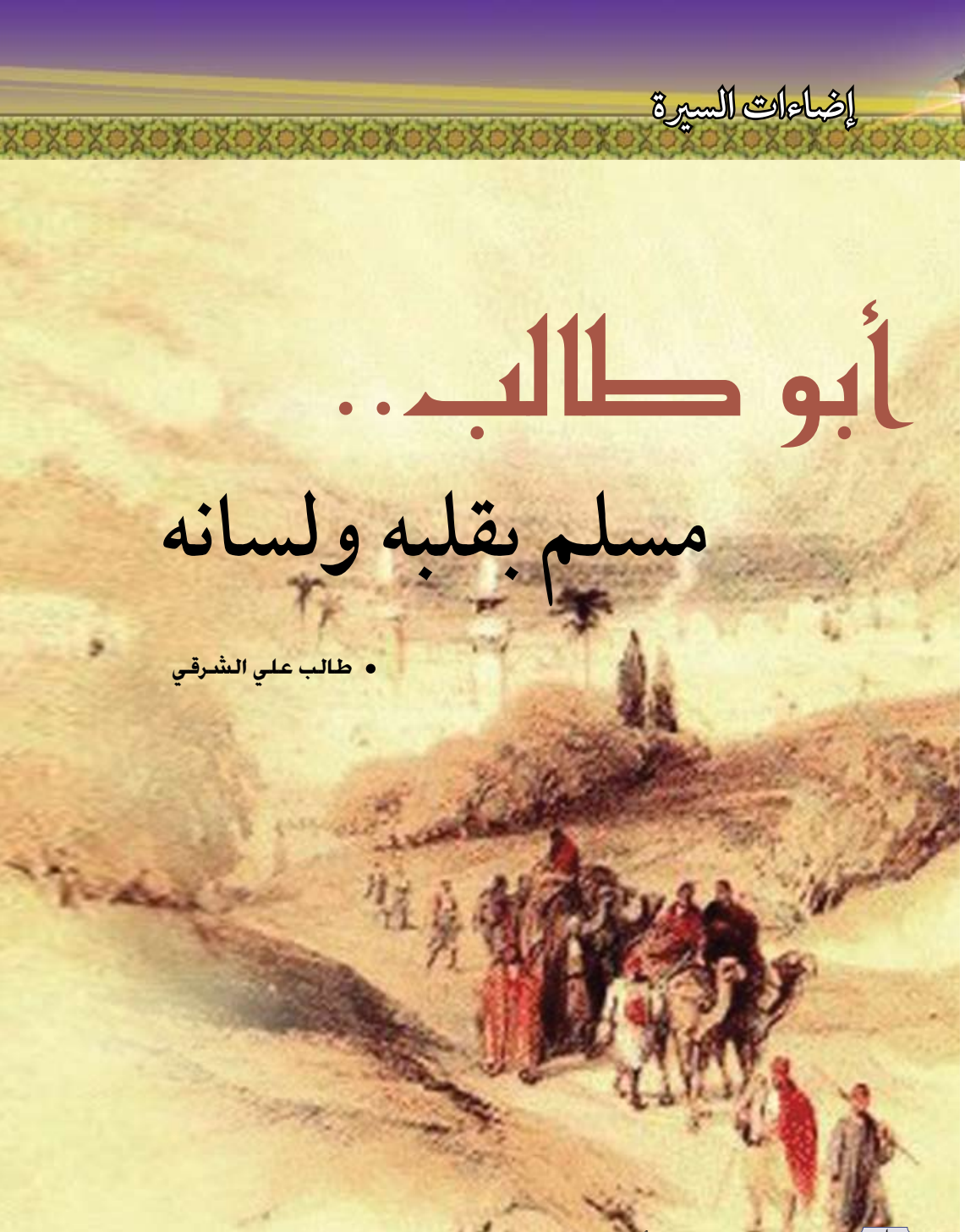

ينابيع طالما تعرض الأنبياء والمصلحون والعظماء والمبدعون على اختلاف درجاتهم لحسد الحاسدين وبغض المناوئين وحقد المتضررين عند تطبيق الشرائع والقوانين والمفاهيم الإصلاحية، كل حسب درجة تفوقه، وسمو منزلته، وتأثيره في ميزان الحياة.

ولا يظهر ذلك جلياً إلا في زمن التردي وتسلط الجبارين الذين يخشون الحق، وينفرون من الحقيقة. إنهم لا يملكون أسباب الخير والحكمة، ويسعون جادين لتشويه كل جميل لقبح سريرتهم وفراغ محتواهم من الفضيلة. ولأجل أن يقنعوا أنفسهم بأنهم شيء، لا يتركون عَلَماً أو رمزاً أو أنموذجاً عظيماً إلا وألصقوا به عيوبهم وأدرانهم، ظناً منهم أنهم هم الغالبون، وما علموا أن الله يظهر الحق ولو بعد حين.

وهكذا كان الأمر مع أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عُرف بدوره المتميز في حماية الإسلام وإرساء قواعده بقوة إيمانه وفدائيته وعلمه ونزاهته وفروسيته النادرة.

وحين يكون الدين الجديد ناسخاً لما قبله من العقائد، ومبطلاً للسيء من السنن والعادات والمعاملات فلا يسلم من الأعداء، ولذا ينبغي أن يكون للسيف دور لم يكيد للإسلام والمسلمين، فكان لذي الفقار القدح المعلى في حماية القيم والأخلاق والشرائع التي جاء بها الوحي الأمين. ومن أن يتصدى الحاقدون والمتضررون للإمام علي عليه السلام بكل ثقلهم ويحرموه من حقوق كثيرة...

وبعد استشهاده عليه السلام تولى أعداؤه مهمة طمس فضائله والكذب والوضع والطعن فيه. وكان التشهير بوالده أبي طالب عليه السلام واتهامه بعدم الإيمان بالإسلام، من جملة الوسائل التي حاربوه بها. ونسبوا أن أبا طالب كفل رسول الله صلى الله عليه وآله قبل التكليف بالنبوة، وقد رباه في بيته وأحاطه بالحنان والدعة وحسن التربية، حتى كأن الله (تبارك وتعالى) لما اختار رسوله من بني هاشم اختار لتنشئته هذا العم الكريم، وكان الله تبارك وتعالى قد هيأ لأبي طالب أن يعلم من أمر ابن أخيه ما لا يعلمه غيره[1]. فتولى حمايته عندما صدع بالدين الحق.

لقد ذهب البعض إلى أن عدم إعلان أبو طالب لإسلامه يدلّ على أن مات وهو على غير دين الإسلام، وهذا مردود مرفوض لأن عدم إعلان الشيء لا يدل على عدم حصوله. كما أن المروجين لهذه الفرية اعتمدوا مصادر معروفة بانحرافها وبمواقفها السلبية من الإمام علي عليه السلام، في حين وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام - وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً - أخبار صريحة تؤكد إسلام أبي طالب وأنه مكذوب عليه.

ولو سلمنا جدلاً بعدم إعلان أبي طالب إسلامه في تلك الظروف، ألا يعني ذلك أن العناية الإلهية قد ألهمته ذلك الموقف؟ لأن إعلان إسلامه يفقده القدرة على حماية الرسول صلى الله عليه وآله ويصبح أمام قريش كأحد أتباع محمد صلى الله عليه وآله فيسهل عليهم قهره وتجاوز حدوده. لقد سد الطريق أمام قريش، وحمى الإسلام والمسلمين بشخص الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

إن إسلام أبي طالب تؤكده المواقف الصعبة التي وقفها إبان بزوغ فجر الرسالة. وليس عسيراً الرجوع إلى الحوادث اليومية والأحداث الجسام التي كان لأبي طالب دور متميز فيها. وإن البداية تشير بوضوح إلى استقرار ضميره وثقته بنهج ابن أخيه. فعندما وجد ولده (علياً عليه السلام) قد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وآمن بدعوته لدين الإسلام قال له: (يا بني إنه لم يدعُك إلا إلى خير فالزمه)[2].

وحين شاهد أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله

يصلي والى جانبه علي عليه السلام أمر أبو طالب ابنه جعفر بقوله: صل جناح ابن عمك[٣]. فما الذي دفعه لزج ابنه الثاني في هذه المنازلة بين الإيمان والشرك، وهل في الوجود أغلى من الولد؟! إنه الإيمان الصادق. قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش[٤].

ولما اشتد الأمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وظن أن لا حامي له، وبان الحزن على محياه الشريف قال له عمه أبو طالب: (اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً)[٥].

ثم موقفه الصلب من قريش ومشاركة النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين سني العسر في شعب أبي طالب، وما عانوه من وطأة الحصار والجوع. وحين أبلغه النبي صلى الله عليه وآله بمصير (الوثيقة) توجه أبو طالب إلى قريش بثقة عالية بصدق نبوءة ابن أخيه. وقد ظهر الحق أمامه.

ولم يختلف اثنان في إصرار أبي طالب على الوقوف إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرته، وحمل السيف في سبيل نجدته حتى قال الرسول صلى الله عليه وآله: (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب).

قال ابن أبي الحديد: وجاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحي إليه عليه السلام وقيل له: اخرج منها فقد مات ناصرك[٦]. والوحي لا يأتي إلا بأمر الله جل جلاله. وهذا يعني أن أبا طالب قد نال رضا الله وتأييده بدليل التصريح بكونه ناصر النبي صلى الله عليه وآله.

فعلى أي دين كان أبو طالب إن لم يكن على دين الإسلام؟ وكيف نفسر نصرته للإسلام ذلك الدين الذي دعا إلى التوحيد وتكفير من تديّن بغيره. قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام)[٧]، وقال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)[٨].

لماذا لا ينتصر لدينه ولو بكلمة إن كان له دين آخر. فهل كان أبو طالب بلا دين؟

(... وعندما ماتت فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب وأم الإمام علي عليه السلام كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله بقميصه، وحفر لها لحدها بيده الشريفة واضطجع فيه، ودعا لها. فقيل له يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تصنه بأحد قبلها؟ قال صلى الله عليه وآله لأنها كانت من أحسن خلق الله صنعاً بعد أبي طالب)[٩] فجعلها ـ على مالها من منزلة عظيمة عنده ـ بعد أبي طالب بالمرتبة. فهل يفضل النبي صلى الله عليه وآله مشركاً على مسلمة مؤمنة؟! ثم إن فاطمة بنت أسد كانت في عصمة أبي طالب حتى وفاته[١٠].

ومن المعلوم المشهور أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحب عمه أبا طالب. فلو كان كافراً لما جاز له أن يحبه، وقد نهى القرآن المجيد عن محبة الكافر كأن من. قال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو

أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)[11].

دعنا نتوجه بالسؤال إلى غير المسلمين، إلى بولص سلامة أو جبران أو جورج جرداق وأمثالهم فنقول لهم: كيف توصلتم إلى معرفة إسلام أبي طالب؟ فجوابهم هو: إن الأطراف المحايدة لا يعنيها إلا الحقيقة، بينما نجد بعض من وقع تحت وطأة داء العناد من المسلمين كالكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد يقول: (حكي عن هشام بن السائب الكلبي عن أبيه في رواية لا نثبتها ولا ننفيها). ولم يذكر سبباً مقنعاً أو غير مقنع لهذا التردد. ثم ذكر الرواية التي تقول:

إن أبا طالب لما أحس بالموت جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش إني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصدّيق في العرب. وهو الجامع لكل ما أوصيكم به. وقد جاء بأمر قَبلَه الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدّقوا كلمته وعظّموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم عنه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها. يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلا رشد ولا يأخذ بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدّة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي[12].

ومن صنف المعاندين أو المنحرفين عن جادة الحقيقة أيضاً الكاتب المصري المعروف أحمد أمين، الذي يقول في كتابه (الأخلاق) في معرض حديثه عن الشجاعة الأدبية: (حكي عن رسول الله صلى الله

شفاعة أبي طالب

عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً في الرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنت بالمكان الذي أنزلك الله به وأبوك معذب في النار؟! فقال له علي عليه السلام:

«مه، فضّ الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟! والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن نور أبي يوم القيامة يطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد صلى الله عليه وآله ونوري ونور الحسن والحسين ونور تسعة من ولد الحسين، فإن نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام».

بحار الأنوار ٣٥/ ٦٩

عليه وسلم وقد جاء إليه عمه أبو طالب ينصحه بالعدول عن دعوة الناس. فقال له: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني...).

والحقيقة التي غابت عن أحمد (أمين): أن أبا طالب لم يكن قد جاءه ناصحاً بل جاءه عارضاً ما جاءت به قريش. فهو الأمين في نقل الدعوى وهو الأمين في رد الجواب. ولم يكن أحمد أمين أميناً في نقله وقصده. وإن أبا طالب لم يحاجج أو ينصح في أي أمر معروض على رسول اللهﷺ بل كان مؤيداً ومنافحاً، وقد حمل السيف للدفاع عن الرسولﷺ ودينه، ولم يكن مرتاباً في صحة دعوة الرسول وصدق رسالته حتى نصحوه بالعدول عنها بل هو الذي قال لولده عليعليه السلام: يا بني إنه لم يدعُك إلا إلى خير فالزمه.

كيف يكون الإيمان إذن؟ أليس غريباً أن يُعد الطلقاء الذين حاربوا الإسلام والمسلمين عشرين عاماً، مسلمين لقولهم بالشهادتين في ظروف معروفة ولا يُعد أبو طالب مسلماً برغم مواقفه التي أوصلت الإسلام إلى بر الأمان؟! علماً بأنه قالها فعلاً ـ الشهادتين ـ بشهادة الصحابة وآل البيت[13] عليهم السلام.

وعلى سبيل المقارنة نذكر ما نقله الأستاذ الدكتور شوقي ضيف[14] فقال: (... ففي أخبار سويد بن الصامت أنه قدم مكة حاجاً أو معتمراً فتصدى له رسول اللهﷺ فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، فقال له سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول اللهﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان، يعني حكمة لقمان، فقال رسول اللهﷺ: أعرضها عليَّ فعرضها عليه، فقالﷺ: إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل منه، قرآن أنزله الله عليَّ وهو هدى ونور. فتلا عليه رسول اللهﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد وقال: إن هذا القول حسن ثم انصرف. ثم وفد المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج. فكان رجال من قومه يقولون: إنا لنراه مات مسلماً. فلماذا لا يكون حامي الرسولﷺ والمدافع عنه مسلماً؟ هل وجد الحاقدون موقفاً أو كلمة أو تصرفاً لأبي طالب يتعارض مع الدين الجديد أو يختلف مع نهج الرسولﷺ ودعوته؟! كلا، لم يجدوا إلا التأييد والدفاع إلى آخر يوم من حياتهرضي الله عنه بيدَ أنه والد علي ليس غير.

وحين ينحدر الوجدان إلى مستنقع التعصب، يذهب بعض المفسرين لكتاب الله المجيد إلى أن أبا طالب هو المقصود بما جاء في سورة الأنعام: (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون). يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: فقد وهم أولئك المفسرون فلم يكن أبو طالب ممن يلقون النبيﷺ ليجادلوه فيصدق عليه ذلك التفسير. واضح من خطأ هؤلاء المفسرين هنا ظنهم أن أبا طالب مقصود بعد وفاته بقوله تعالى في

سورة القصص: (إنك لا تهدي من أحببت) فإن سورة الأنعام قد نزلت بعد سورة القصص كما جاء في كتاب الإتقان، فلا هداية ولا جدال ولا نهي عن أذى النبي بعد الوفاة[١٥].

وذكر الطبرسي في تفسيره للآية (٢٦) من سورة الأنعام: قد ثبت إجماع في تفسيره للآية (٢٦) من سورة الأنعام: قد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجة...

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه ابن عمر: أن أبا بكر جاء بأبيه أبي قحافة يوم الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم. فقال صلى الله عليه وآله: ألا تركت الشيخ فآتيه، وكان أعمى، فقال أبو بكر: أردت أن يأجره الله تعالى. والذي بعثك بالحق لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحاً مني بإسلام أبي)[١٦].

على أن صاحب الغدير لا يأخذ بهذه الرواية وله بحث مطوّل غاية في الدقة والوثاقة، قد أحاط بالعشرات من الأخبار والأحاديث المسندة والشعر الموثق والتحليلات العلمية والمنطقية. وقد انتهى بيقين وبرهان مبين أن أبا طالب كان مسلماً بقلبه ولسانه[١٧] ■

(١) جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ص٣٤.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢: ٥٨.
(٣) عبد الحسين الأميني، الغدير ٧: ٣٥٦.
(٤) عبد الحسين الأميني، الغدير ٧: ٣٨٨.
(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢: ٦٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية:١٩.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٥٨.
(٨) علي بن محمد المغربي ابن الصبّاغ، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، ط٣ ص١٤ باختصار.
(٩) عبد الحسين الأميني، الغدير ٧: ٣٨٩.
(١٠) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(١١) عباس محمود العقاد، مطلع النور ص١٧٨. وانظر: ابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف في كل شيء مستظرف ج٢ ص١٤.
(١٢) عبد الحسين الأميني، الغدير ٧: ٣٦٩.
(١٣) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ص٨٦.
(١٤) مطلع النور ص١٧٨، منشورات دار الهلال بمصر.
(١٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢: ٢٨٧.
(١٦) عبد الحسين الأميني، الغدير ٧: ٣٢١.
(١٧) المصدر السابق ٧: ٣٣٠ وما بعدها.

مثلك كمثل سورة التوحيد

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي أمير المؤمنين عليه السلام: إنما مثلك مثل (قل هو الله أحد) فإنه من قرأها مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن، وكذلك من أحبك بقلبه كان له مثل ثلث ثواب العباد، ومن أحبك بقلبه ونصرك بلسانه كان له مثل ثلثي أعمال العباد، ومن أحبك بقلبه ونصرك بلسانه ويده كان له مثل ثواب أعمال العباد.

المحاسن ١/ ٢٥١

من أعلام العلم والتربية

محمد كاظم الملكي

• حيدر المالكي

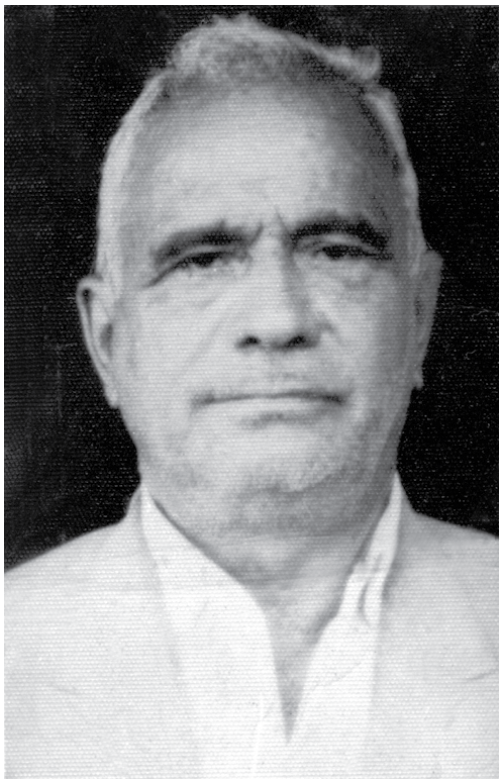

ينابيع لقد عانت الثقافة العراقية أزمة حقيقية خلال العهود المنصرمة وخاصة في عهد السلطة الدموية التي تمكنت من زمام الحكم بعد انقلاب (١٩٦٨م)، فكان المثقف الأصيل يعاني من القيود التي فرضت على كتاباته، والويل كل الويل لمن يذكر سيرته بعد وفاته، خصوصاً لو كانت مؤلفاته عليها مسحة دينية.

وهكذا فقد غيبت أعمال كاملة وذهب تاريخ رجال أدراج الرياح اللهم إلا ما حفظته لنا اليد الأمينة أو ما تبقى من كتب تمجد إنجازاتهم، والتي ركنت على رفوف المكتبات.

ومن بين هؤلاء برز الأستاذ محمد كاظم الملكي، الرجل الموسوعي الذي امتلك خزيناً هائلاً من العلوم وراح يقلب كتب الماضين، فأخرج لجمهور القراء تراثاً ضخماً تنوع بين

علوم الجبر واللغة والمثلثات والحيوان وهكذا دواليك... وقد قضى جُل عمره في التأليف والتحقيق والتدقيق مثله كالنحلة الدؤوب التي تنتقل بجد من زهرة إلى أخرى في بستان العلوم فتجمع من رحيق هذه وتلك وتقدمه عسلاً صافياً فيه لذة للشاربين، ولذا فقد ظلت آثاره شاهداً حياً على ما قدمه للمكتبة العربية والإسلامية من إنجازات راقية.

ومما يؤسف له أن الرجل لم يُنصف بالرغم من شهادة العلماء ولغير واحد منهم له بالألمعية والعبقرية، ولم يأخذ حقه في الدراسات الأكاديمية العليا سواء أكانت الدراسة في سيرته الذاتية أو في منهجيته، ولعل المستقبل وحده الكفيل في تسليط الضوء على مثل هذه الشخصية ومن الجدير بالإشارة فإن الباحث الأستاذ كاظم عبود الفتلاوي قد ترجم له في كتابه (المنتخب من أعلام الفكر والأدب)[1] وإن كانت الترجمة مختصرة.

حياته العامة:

لابد لنا من إطلالة على حياته العامة، والتي سوف تمكننا من معرفته بصورة أعمق[2].

ولد محمد كاظم بن العلامة الشيخ محمد صادق بن الشيخ رضا بن صاحب الملكي القزويني في إحدى قرى الشامية عام (١٣١٨هـ) الموافق لعام (١٨٩٨م)، حيث كان والده الشيخ الجليل محمد صادق الملكي مرجعاً دينياً، يشار له بالبنان ومعروف بالفضل في تلك المنطقة، وقد نشأ محمد كاظم في كنف والده الذي لم يألُ جهداً في تنشئة ولده تنشئة صالحة، هذا وقد أحاطه بهالة الحنان وأغدق عليه شآبيب الرعاية، وتمر السنين والوالد يرى في ولده ولعاً في العلوم فيدخله الكتاتيب ويهيأ له أرضية علمية خصبة تمكنه من التزود بالمعارف ومع هذا فقد لجأ محمد كاظم إلى الاكتساب في بيع المواد العطارية حفظاً لنفسه من السؤال ولكي يحصل على المال الكافي لشراء الكتب العلمية التي كانت ملاذه ومسكنه وكأن يطبق حرفياً قول شوقي (وخير جليس في الزمان كتاب) وما أن بلغ مبالغ الرجال حتى رُشح أن يكون مديراً لإحدى مدارس الديوانية، كما عرضت عليه وظيفتين، وحينما تعرض لظروف اقتصادية قاسية، لجأ إلى قبوله بإحدى الوظيفتين وهي مدير المالية في مدينة الشطرة (قلعة سكر) ومع ذلك لم ينقطع صاحبنا عن التكسب والدراسة العلمية، وفي تلك المرحلة شد الرحال إلى حاضرة العلم ومدرسة العلوم الكبرى، النجف الأشرف، والتي سرعان انخرط في نواديها الثقافية ومنتدياتها العلمية والأدبية، اتصل بالشيخ محمد هادي الأميني فتتلمذ على يده ونشأت بينهما علاقة متينة، فكان صاحبنا يختلف إلى الأميني بين آونة وأخرى هذا وقد بلغ مرتبة علمية مرموقة أهلته كي يحمل اسم (صاحب الفضيلة) فكان يدرس ويُدرس وعندها شاعت نباهته بين الناس، الأمر الذي حدا بمديرية المعارف أن تعرض عليه وظيفة التعليم في مدارس مدينة النجف، فكانت المحطة الأولى له مدرسة غازي ثم تنقل بعدها من مدرسة إلى أخرى حتى استقر به المقام وفي سني عمره الأخيرة في مدرسة التهذيب، وعندما أحيل على التقاعد لم يترك دراسته الخاصة

والحضور عند العلماء الأعلام وخصوصاً آية الله السيد عبد الهادي الشيرازي(قده).

وكان أيضاً كثير التردد على المهندسين الأجانب الذين غالباً ما يأتون لتولي شؤون إصلاح ونصب مكائن الماء والكهرباء والقائمين على نصب وترميم الجسور لذا فقد استفاد منهم في تعلم لغاتهم، فقد تعلم الإنكليزية والفرنسية وألم بمفردات هاتين اللغتين حتى أصبح قادراً على وضعهما في معجم منسق ومبوب، علاوة على إتقانه التام للعربية لغته الأم والفارسية.

وفي الثالث من شهر محرم الحرام عام (١٣٩١هـ) الموافق لعام (١٩٧٠م)، التحق الأستاذ محمد كاظم الملكي بالرفيق الأعلى بعد عمر ناهز الاثنين والسبعين سنة، عمر دأب فيه على المطالعة والتأليف والتصنيف، تاركاً مؤلفات منها المطبوع والمخطوط.

وقفة مع آثاره:

١ـ المعجم الزوولوجي الحديث، ستة أجزاء (وسنلقي الضوء عليه).

٢ـ الأصول الحديثة في مباحث الألفاظ، وفيه مباحث ومطالب للألفاظ في كتاب المعالم، وهي تقريرات أستاذه محمد هادي الأميني، أتمها عام (١٩٥٨م) وطبعت بالمطبعة العلمية، ويقع الكتاب في (٢٢٠) صفحة.

٣ـ الآراء الراقية الحديثة في تيسير قواعد اللغة العربية، وبيان أسرارها وقد صدرها بقوله (... وقد لاحظت القواعد في اللغة العربية لمعظمها شذوذ وانتقاض، حتى الكتب المؤلفة أخيراً، حيث ينظر الناظر إليها وبه مس من الحزن على جهد أضاعه مؤلفوها... ثم يضيف ... قمت في تحرير مسائلها وقواعدها) يبدأ الكتاب بموضوع النطق ومزاياه ثم يمر على القواعد موضوع تلو موضوع ويختم كتابه الذي يقع في (٢٥٦) صفحة بموضوع حقيقة الإضافة وأنواعها، طبع عام (١٩٥٨م) أيضاً.

٤ـ حلول التمارين الجبرية (لتلاميذ مدارس الثانوية) بجزأين، وفي مقدمته يقول (لما رأيت من أجمل الهدايا التي يستطيع الإنسان أن يقدمها لأمته في الكتب، فطفقت بتأليف بعضها التي توافق مدارسنا الحاضرة ومنها حلول التمارين الجبرية لتلاميذ المدارس الثانوية راعياً بتقديم واضحاتها على مشكلاتها وسهلها على صعبها، ثم يضيف: والغرض الوحيد من وضع هذا الكتاب أن يحصل فيه مذلل لكل صعوبة تعتري الطلبة أثناء حلهم المسائل) يقع الجزء الأول في (١٦٤) صفحة، يبدأ بحل المسائل ذات المعادلات الرياضية البسيطة وينتهي بالمسائل الجبرية ذات المجهولين، والظاهر أن هذا الكتاب هو باكورة أعماله إذ طبع عام ١٩٢٩م بمطبعة النجاح ببغداد.

أما آثاره المخطوطة فهي:

١ـ قاموس اللغات الأجنبية، بأربعة مجلدات لم يكتمل طبعها.

٢ـ قاموس اللغة الفارسية، ويبحث في أصل الكلمات الفارسية وتمييزها عن الغريب الوارد فيها، مصور في مجدين لم يكتمل طبعه.

٣ـ سمير الجوابين في اللغات الستة.

٤ـ حلول تمارين حساب المثلثات.

٥- أصل البراءة والاستصحاب، تعليقاً على كتاب محجة العلماء.

منهجية كتابه المعجم الزوولوجي:

هو موسوعة شاملة في علم الحيوان، والزوولوجي (Zoology) تعني: علم الحيوان، وهي لفظة انكليزية دخلت ضمن اللغة العربية إضافة لغيرها مثل البايلوجي والجيولوجي، ونجد مثل هذه المصطلحات تعج بها كتبنا، ولا نعلم السبب الذي حدا بالمؤلف أن يستعمل لفظة الزوولوجي بدلاً من الحيواني.

كما قلنا يقع الكتاب في ستة أجزاء تتوزع فيها (٣٥٠٠) صفحة مزودة بالصور، ويصدر المؤلف الجزء الأول من الكتاب بمقدمته حيث يقول فيها: (أما بعد فيقول العبد المفتاق إلى عفو ربه محمد كاظم بن محمد صادق الملكي القزويني: لما رأيت أن اللغة العربية مفتقرة إلى معجم زوولوجي علمي يجمع شمل أسماء الحيوانات بكافة فصائلها ورتبها وأنواعها، قمت بوضع معجم من أوفى المعاجم في علم الحيوان وأولاها بالتعميم، ثم يضيف قائلاً: ذلك مجهود عشرين سنة قضيناها بين قراءة وكتابة وتحقيق وتنسيق وترجمة وتعريب وكنا كلما فرغنا من موضوع من المواضيع وظننا أننا وفقنا للغاية التي نتوخاها بان لنا وجه الاستزادة والإصلاح، حتى لقد كتبنا معظم مواضيعه بأيدينا خمس مرات).

يبدأ الجزء الأول بحرف الألف وينتهي الجزء الخامس بحرف الياء، أما طريقة العرض فتتم كالتالي:

١- ذكر اسم الحيوان وبالخط العريض الواضح باللغة العربية، ويقابله الاسم العلمي والانكليزي والفرنسي للحيوان.

٢- ضبط الكلمة ووجه التسمية ويتم ضبط الكلمة وفق كتب اللغة، كما يعرض المؤلف أسماء أخرى تدل على نفس الحيوان إن وجدت.

٣- فصيلته وطباعه، وتحت هذا العنوان تندرج الفصيلة التي ينتمي إليها، ثم يشرع المؤلف في ذكر الخواص الجسدية والوظيفية مروراً بطريقة تناسله وتكاثره وختاماً بطريقة معيشته. أما طباعه فتحوي صفاته ورغبته في التواجد بمواقع معينة، ويمكن القول عموماً إن دورة حياة الحيوان يتم ذكرها تحت هذا العنوان.

٤- أدب المقال، وهذه التفاتة رائعة من المؤلف إذ يذكر فيها من المواضيع ما له علاقة بالحيوان في أدب المقال كأن يكون مثل من أمثال العرب أو ما له قصة أو قصيدة تتصل بالأدب.

اكتمل المعجم وطبع عام ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٧م وقد نال استحسان العلماء والباحثين ولاقى نجاحاً منقطع النظير في ذلك الحين.

وبهذا العرض الموجز لمنهجية الملكي نكون قد سلطنا شعاعاً بسيطاً على سيرته ومؤلفاته القيمة، وكلنا أمل في إخراج المخطوط من أعماله إلى الواقع كي تعم الفائدة المرجوة خصوصاً في بلدنا بلد العلم والعلماء ■

---

(١) الفتلاوي، المنتخب من أعلام الفكر والأدب ص٥٩١.

(٢) المعلومات زودني بها ولده الحاج أرشد الملكي.

التربية والتعليم

ومعالمهما في العراق الجديد

• بهاء حمزة عباس
مدير المركز الثقافي/ الزبير

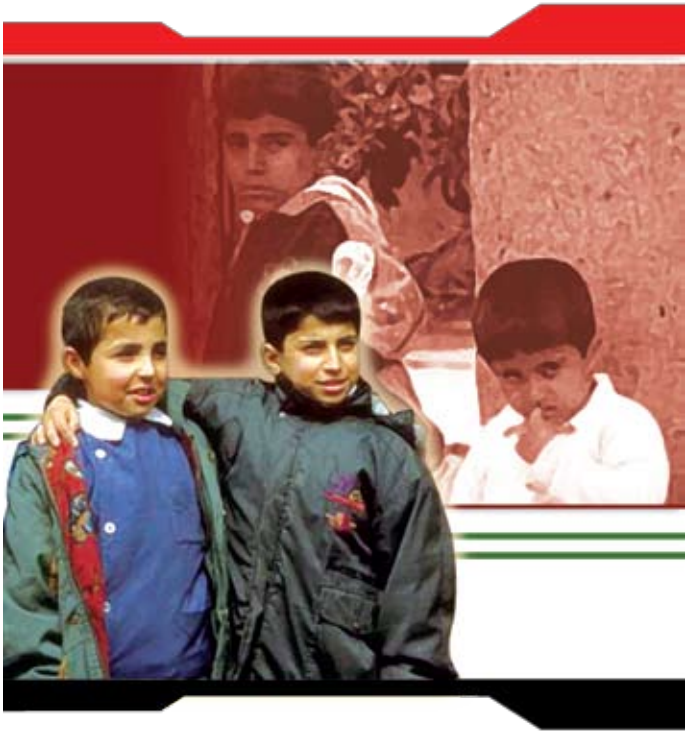

ينابيع من اللازم لكل دارس للعلوم الاجتماعية والتربوية ملاحظة الارتباط بين الدراسات الإنسانية، بوصفها علوماً سلوكية ذات صلة وثيقة بمختلف الميادين الحياتية في المجتمع، لا من منظور كونها دراسات نظرية صرفة تعتمد على الفرض والاستنتاج والاستقراء والتجربة وإنما باعتبارها علوماً تقرأ السلوك وتتبع الجذور القريبة منها والبعيدة والتي تستمد منها الظاهرة التربوية والاجتماعية خصائصها وأبعادها العامة والخاصة.

فالتربية بمعناها العام إنما هي نقل النتاج والثمار الحضارية للأمم والأجيال اللاحقة مع إنمائها وتطويرها بشتى الوسائل والطرق في حلقات ثقافية متصلة لإطار ثقافي عام وسياق متجدد، وأما التربية بمفهومها الإصلاحي فهي الجهد المقصود المقنن الذي يسعى فيه المربون (أفراد المجتمع) من خلال الوسائل المختلفة إلى إيجاد سلوك إيجابي بناء جديد لدى الأفراد أو تقويم سلوك قائم يقتضي الإصلاح والتعديل.

ومن أجلى معالم التربية الإسلامية والعربية نجد سمة الثبات فهي تبرز خصائص التواصل والديمومة والاستقرار، فنجد أن التربية اليونانية والصينية ونحوهما من الأصول الحضارية القديمة قد ذابت وتلاشت مع مرور الأيام وتلاحق الدهور، فلم يعد وجود لتصورات أفلاطون التربوية المثالية أو غيرها من المدارس والمذاهب القديمة، بينما نرى سمات الثبات في نمطية وبنية العقل العربي الإسلامي عموماً، فالتربية لديه مازالت في إطارها العام تؤدي وظيفتها نفسها عبر العصور والأزمان، فمنذ عصر الإسلام وما قبله يستجيب الفرد لحركة التاريخ المتجدد ويتفاعل مع جميع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الداخلية بنفس معطيات التفكير وآلياته.

وفي العراق نشهد أن التربية قد فقدت أهم خصائصها ومقوماتها خلال العقود الأخيرة، وتم تسييس التربية والتعليم ليخدم بقاء وهيمنة الحزب الواحد ويمثل تطلعاته، ويضمن المستقبل المشرق للبعث ونظامه، حتى لو كان ذلك على حساب الأطر الموضوعية والحقائق الثابتة. ومنها نجد سمة إجبار وإغراء التربويين بالانتماء لحزب البعث، وإقصاء وتهميش كل رافض للبعث ونظامه في تلك الأيام البائدة.

وبعد زوال نظام صدام وتنفس العراقيين نسائم الحرية شهدنا توجهات مقننة لتنفيذ وتحقيق المشروع الغربي، فأمريكا منذ بداية ما أسمته بالحرب على الإرهاب اتخذت استراتيجيات معلنة بخطاباتها السياسية إلى الدول الإسلامية والعربية بدعوتها إلى تغيير مناهجها بما يخدم هذا الهدف، أي مطالبة الساسة الأمريكان من دول الخليج خاصة وعلى رأسها العربية السعودية أن تسعى في تبديل مناهجها الدينية والتي يرى قادة أمريكا أنها تسهم في نشر الإرهاب وإعطاء خلفية دينية رجعية تساعد على نمو الفكر الأصولي المتعصب الهادف إلى محاربة الآخرين والدعوة إلى العداء وعدم الانفتاح، هذا وتلك البلدان ليست تحت سيطرة أمريكا المعلنة (وإن كانت سياسات قادتها تابعة للإدارة الغربية منذ أجيال) فكيف ببلدنا الذي يعاني من محنة الاحتلال الرسمي والذي تبتغي أمريكا ـ كما أعلنت أكثر من مرة على لسان سياسييها ـ أنها تريد أن تجعل العراق نموذجاً رائداً فاعلاً لتطلعاتها السياسية والاقتصادية

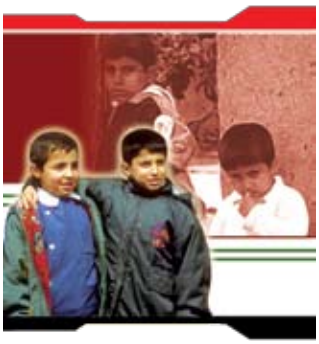

والفكرية لرسم خارطة السياسة للمنطقة، فماذا نرجو بعد ذلك...؟

وقد بدت بوادر هذا الخطر واضحة حيث حدثني أحد المشرفين التربويين من الذين حضروا أول دورة للإشراف التربوي في بغداد بعد سقوط صدام، أنه قد درس في المناهج المعدة من جهة مجهولة ما فهمه بأنها عملية (غسل دماغ) لإعطاء صورة ضد التوجهات والتيارات الإسلامية على أنها تسهم في رفد الإرهاب والعنف والعداء، ومؤكداً أنه قد تأثر من بعض المحاضرين (المغتربين) الذي ينظرون للدين بأنه مصدر الرجعية والتخلف والتقهقر في أمتنا وتاريخنا. وكان ختام أول دورة للتربويين حفلة موسيقية راقصة أقيمت في أحد قصور صدام، حيث ضم بعض الحضاريين من الرجال والنساء (كبار السن طبعاً) بعضهم إلى بعض بشكل لا تقبله الأعراف والتقاليد والعادات العراقية تحت ضحك واستخفاف ومزاح فاسد ضم (نخبة المشرفين التربويين في عراق الغد المشرق). فما نأمله من هذا بدايات إلا كما قال الشاعر:

إذا كان رب البيت بالدف مولعاً

فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وقد تنبهت المرجعيات الدينية الرشيدة إلى عمق هذه المحنة التي يمر بها بلدنا فكتبوا رسائل توجيهية للتربويين من أهمها رسالة المرجع الديني الكبير سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله) للتربويين العراقيين، وقد حاول فيها السيد الحكيم رسم خارطة لعملية الإصلاح المنشود، على مستوى إصلاح المناهج الدراسية وتحسين وتطوير العمل التربوي برمته. وكذلك وجه سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض (دام ظله) رسالة إلى التربويين حدد فيها أهم المخاطر التي يمر بها العمل التربوي في العراق، وما يجب على التربويين العمل به من أجل إنجاح العمل التربوي وتطويره حتى يرقى إلى مستوى التحديات المعاصرة.

إن من الواجب الاهتمام بالتربية والتعليم، فالتعليم (والإلزامي منه خاصة) يعد محوراً أساسياً في تطور وتنمية البلدان، خاصة إذا نظر إلى كونه حقاً للجماهير قد يغفل عن تشخيص أولويتها أولياء الأمور، فيزجوا بأبنائهم في متاهات الأعمال وصراعات الحياة قبل أن يبلغوا الحلم.

فالتعليم قضية فاعلة من قضايا العصر كانت ومازالت طموحاً مشروعاً من أجل بناء وصناعة الإنسان المؤثر والتي تلعب دوراً مهماً في تشكيل قدرات ذلك الإنسان وتسهم في تأهيل طاقاته، بما يؤدي بالتالي إلى ازدهار حضارة البلد باتجاهاتها البنائية والوظيفية.

وعراقنا من البلدان التي عانت كثيراً من الفقر والفاقة والفساد الإداري لجهاز الدولة مما أسفر عن تهميش ظاهرة التعليم واتسامها بسمات مشبوهة مما أنتج وأرهص لامتلاء شوارعنا وأسواقنا من الصبية

العاملين، وبتشجيع من أولياء أمورهم الذين لم يروا جدوى من التعليم لضعف في أفق تفكيرهم أو لضغوط الحاجة والفاقة مما سهل عليهم إهمال مستقبل أبنائهم مكتفين بتوظيفهم في مهن بسيطة أو أعمال حرة أو التسول في الشوارع.

إن الدور الذي يجب أن تقوم به وتفعله جميع الجهات الدينية والوطنية هو توجيه وإرشاد الآباء إلى أهمية التعليم وإيضاح ثماره العملية حتى تتبلور هذه الإطروحات في عقول أولياء الأمور فيسارعوا إلى تسجيل أبنائهم في المدارس والاهتمام والرعاية لشؤونهم العلمية.

أما المسؤولون والتربويون فعليهم وحدهم يقع الكاهل الأعظم من هذه الاطروحة فبتظافر جهودهم من أجل تشويق الطلاب إلى التعلم وحثهم الشديد لهم بالانضباط في الدوام ومحاولة الترفيه عنهم حتى لا يكتسب الدرس والمدرسة ثقلاً على الطلاب ويكون مقيتاً لديهم، فيسارعوا إلى إهمالها والغياب عنها متى سنحت لهم الفرصة. بل لابد أن ينتبه أولئك التربيون إلى أن مرحلة البناء أكثر صعوبة وتعقيداً من العمليات الأخرى التي تليها، ولا ينسوا أنهم مربون قبل أن يكونوا معلمين وأن التعليم ليس مجرد إيصال العلوم والمعارف إلى الطلاب وليس كبحاً للرغبات والميول، إنما هو أعقد وأشمل من ذلك فهو إرشاد وتوجيه للطلبة لبذل أقصى الجهد في عملية التعلم وهذا لا يتم عن طريق القسر والجبر وإنما عن طريق خلق مواقف تؤدي بصورة تلقائية وطبيعية إلى الترغيب بالفعاليات المفيدة، فالتدريس الصحيح هو الذي يفتح الأفق الجديد للبحث والترقي والإبداع من خلال الاهتمام بالمواد والموضوعات الجديرة بالدراسة وخلق ظروف ومناخ ملؤه الحب والعطف وأن يكون معتمداً على الإيحاء كأساس في ممارسة التعليم بدل الاعتماد على الإملاء والإكراه.

فعلى المعلمين الفضلاء أن لا ينسوا أن الأطفال أمانة الله والوطن في أعناقهم فهم مستقبل البلد وعليهم يقع الاعتماد وبهم تتحقق الأماني والأحلام فبالتعليم الجيد وحده نسرع في تحقيق ثمرات التحول كما ونحسن من صفاتها كيفاً من أجل رفعة بلدنا وازدهاره ■

عبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير هو الذي حمل أباه الزبير على الحرب مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي زيّن لعائشة مسيرها إلى البصرة وكان سبّاباً فاحشاً يبغض بني هاشم ويلعن ويسب علي بن أبي طالب عليه السلام. وكان ينال من عرضه وينتقصه. حتى أنه بلغ أيام ادعائه للخلافة أربعين جمعة لا يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لا يمنعني من ذكراه إلا أن تشمخ رجال بآنافها.

شيء..
من المران والتربية

• باسل حسن لايذ

ينابيع في حوار مع الأستاذ المفكر برهان غليون حول القضايا العربية أجراها هشام القروي (باريس) ونشر على موقع بوابة العرب وهو موقع مستقل يقول الأستاذ برهان: (إن الديمقراطية ينبغي أن تنبع من تحولات عميقة داخل التوازنات المجتمعية الداخلية تنحو نحو تأكيد السيادة الشعبية وتحويل الشعب بالفعل إلى مصدر السلطات. والحال أن ليبرالية حقبة الاحتلال والوصاية كانت تشير إلى الوضع المعاكس).

تعليق:

أرى أنه في ظل المران الذي أصبح مألوفاً وتحت قسوة الاستبداد لا يمكن للتوازنات هذه أن تؤكد سيادة شعبية، لأن من الوقائع في السلوكين (الاستبداد ـ الواقع المألوف) وكذلك متراكم الخوف لدى مطلق الشعب (حتى أدوات الاستبداد) من منتفعي السلطة المستبدة أن يحدث تحولاً عميقاً، بل يحتاج إلى ما أحدثه سقوط تلك الأنظمة المستبدة على أيدي قوات خارجية يستعان بها للخلاص، وإن إطلاق الحريات بما فيها التي تطالب بخروج هذه القوات والقضاء على الخوف الذي جعل الإنسانية تقبل الاستمرار بالحياة والتضحية بما دون ذلك وتعتبره ضريبة للبقاء. فالبعض من أبناء الدول التي كانت تعاني شعوبها من وطأة بناء تلك الدول الدكتاتورية والاستبداد هؤلاء الأبناء طلقوا علاقتهم بواقع غادروه وعاشوا في بلدان أزالت عن كواهلهم الخوف وكل معاناة أهليهم وعندما استعان الأهل بقوات تلك البلدان لتزيح عنهم كل مآسي الخوف ودمار الآدمية يبقى هذا البعض عند نقطة بدايته عندما انهزم ولم يعد قادراً على مواصلة تحمل مر العيش في ظل الاستبداد ويؤثر الاعتراف أن تلك البلدان أحاطته بالطمأنينة ولم يعد خائفاً من قول أن الوضع الجيوسياسي للمستعمر الذي يحلو له أن يسميه لا يمكن قيام ديمقراطية وفي خلاف هذا هي ليست دعوة لقبول احتلال البلدان وفي نفس الوقت علينا نبذ الإزدواجية في القراءة والتحليل (الشيزوفرينيا) للواقع الذي نعيشه ولما يحيط بنا، ففي القريب فكرة التبشير والذهاب إلى بلدان لم تألف التعامل مع جيوشنا في أغلب أعمالها تلك الجيوش كانت قسرية تقع على تلك الشعوب. فلا يمكن الاعتماد في النهوض لخلق واقع يتماشى مع الفطرة الآدمية في الحصول على رغد الحياة بالأمنيات والتعكر على (لو كان، ولو أن) إذاً لابد من إعادة تقييم للبنى الفكرية لمجتمعنا تعتمد العلمية والمعرفة والشفافية في وضع اليد على الخلل وبكل جرأة في ظل معالجات نظيفة بعيدة عن المؤثرات الجانبية ومنها المتراكم العقلي الذي ساد في العقود السابقة حيث أن المختص عندما يحاول في مداخلات يعتقد أن ما يقوله هو يصلح للنخب وقد يمر الكلام وحركة المجتمع العامة تغرق في جنح الظلام خائفة مرتابة إذ أن بعض تساؤلاتها تمثل تباكياً مما تعاني ويعرضها هذا لأساليب تبعدها عن فكرها وتغزوها من جديد الخشية والخوف فيتسرب إلى نفوسها نفس ما تعرفه عن الماضي والأمل لا يبارح مخيلتها هذه في رؤيتها النهار، وينتهز من تسرب خلسة ليكون في المقعد الأمامي ويطالب براتب تقاعدياً مثلاً بدلاً عمن استرقت خياراته في لحظة (خوف) وبحماسة شديدة تمتلئ الأجواء بحالات الغثيان و(التقيؤ) التي تطفو على وجوه لم تشعر بالمسؤولية ولا حتى

الحيـاء. أبهذا أمتي يطوح بالحلول ولا يخفى أن من أعقد ما يمكن وعه لتعطيل الصبح أن يأتي استمرار الخوف حتى من الخلاص من نفسه، فالخوف يقطع عرى الاتصال ويؤدي إلى الظلم[١]. يتبيـن أن ذلك يحتاج إلى تربية (أن ترفـع أرقـى الطباع النفسـية إلى منزلة تفكر في عمل خير شيء في الوجود)[٢].

فتكسـير حواجـز الخـوف مسـؤولية والنتائـج تفتـح الذهنيـة العامـة بمحيـط الأحداث فالموقف السـلبي ليـس بمصلحة وهـو هـدر للكرامـات وتعطيـل للنهوض الاجتماعي، فبإيجاز يمكن القول أن صورة الخـوف والعمـل علـى اهمالها تترسـخ في أذهان الناس وفـي مجمل الحياة الاجتماعية ومـن البدايات الأولـى للتربية تخلق أسـرة بغيضة قد يجرفها الذهول إرادتها غير حرة تنقصها أصول البناء السـليم لن تكن قادرة علـى تقديم الرعايـة والهـدي. وهناك قول مهم للمفكر الشيخ باقر القريشي(أمد الله بعمـره): (أن الأصل في التربيـة الاجتماعية الحقـة أن تعد الفرد للحيـاة في مجتمعه بما لـه، وما فيه من قواعـد ونظم وتقاليد، وأن تمكنه من أن يتكيف مع مجتمعه في إطار هـذه القواعـد حتـى يعمل معهـم، ويكون عضـواً منتجاً في الهيئـة الاجتماعية، وهذا ما ينشـده الإسـلام في تربيته الاجتماعية، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن التربية الوطنية والاجتماعية)[٣].

فعند سـماحة الشـيخ المفكـر (الهيئة الاجتماعية) مجموعـة أعضاء منتجين وهذا يحتـاج إلى ألفـة وبالتالي عدم خوف، وعند نهايـة المقطوعـة يذكـر التربيـة الوطنية ويتضـح عنـد سـماحته أن المواطنـة أصل وعود على بدء التربية والمران وهذا يتطلب التخلص مـن الخوف والقلـق والاضطراب وبالتالـي يؤديان إلى أن تظهر على الإنسـان علامات المعتوهين، (ففـي التربية أو حتى فـي العمـل الحاجـة إلـى مـران أو تدريب واضحة لغرض تحقيق نتائج جيدة أو متقدمة ويعتمد هذا على:

(١ ـ الزمـن. ٢ ـ الوضـع القبلي. ٣ ـ حجم الصعاب والعقبات الاستثنائية.

٤ ـ الهدف. ٥ ـ نسبة النتائج)[٤].

كذلك نذكـر نصاً يعين على الوصول إلى نفـس المعنى وهـو (أن تعاقـب المحن الكبـرى بكثير مـن المشـاكل الرهيبة طغت على العقول عناصر الهلع والخوف)[٥]. فلا يمكـن للمران والتربيـة أن يجتمعا مع الخـوف فتكون بينهمـا ١٨٠ درجـة فبدلاً مـن أن ينتفع من التربيـة والمران في تطور الإنسان وارتقائه فكرياً وتزدهر شخصيته، لذا يكون الخوف سـبباً لنزعات الإنحراف والرغبـات والغرائـز وقـدر هـذا القـرآن الكريـم في قوله تعالـى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شـيئاً، وجعل لكـم السـمع والأبصـار والأفئـدة لعلكم تشكرون)[٦].

فالتربية التي تبتعد بالإنسان عن الخوف والمبنيـة على قواعـد علميـة، القصد منها النهـوض الفكـري والتـي تحتـرم حقوق

الفرد وتنظم علاقته مع العامة وبالدولة وعلى حد سواء الرجل والمرأة عند ذاك يتم إقصاء ما يتخوف منه الأفراد ليتمكنوا من العيش بفعالية ويكون أسمى غايتهم إنسانيتهم والآخرين في من هم من أقرانهم في الخلق وأجمل ما قيل في هذا المجال لسيد المتكلمين أمير المؤمنين عليه السلام: (إن لم يكن أخ لك في الدين فهو قرينك في الخلق) ويكون المشترك هذا عاملاً ذا أهمية بالغة في الود والأمل والعادات الطيبة والمثل العليا عندها تطمئن النفوس عند الأفراد ويستطيعون أن يكسبوا النشء تلك الطمأنينة مبتعدين بالصغار بعيداً عن الخوف تاركين هذا الإرهاب خلف ظهورهم حتى لا يعود مرة ثانية الوهم من عدم القدرة على الاستمرار مستفيدين من عبر التجارب المحيطة بهم والتي قد تكون أسست من داخل المحيط الثر مما يحاول المنتفعون بالابتعاد عن رؤية الصورة الحقيقية الماثلة أمام الجميع والتي تحتاج فقط إلى عناية في الدراسة. عذراً لم أكن أقصد أن أدعي علماً بل هي محاولة في قراءة لبعض رؤيتي ■

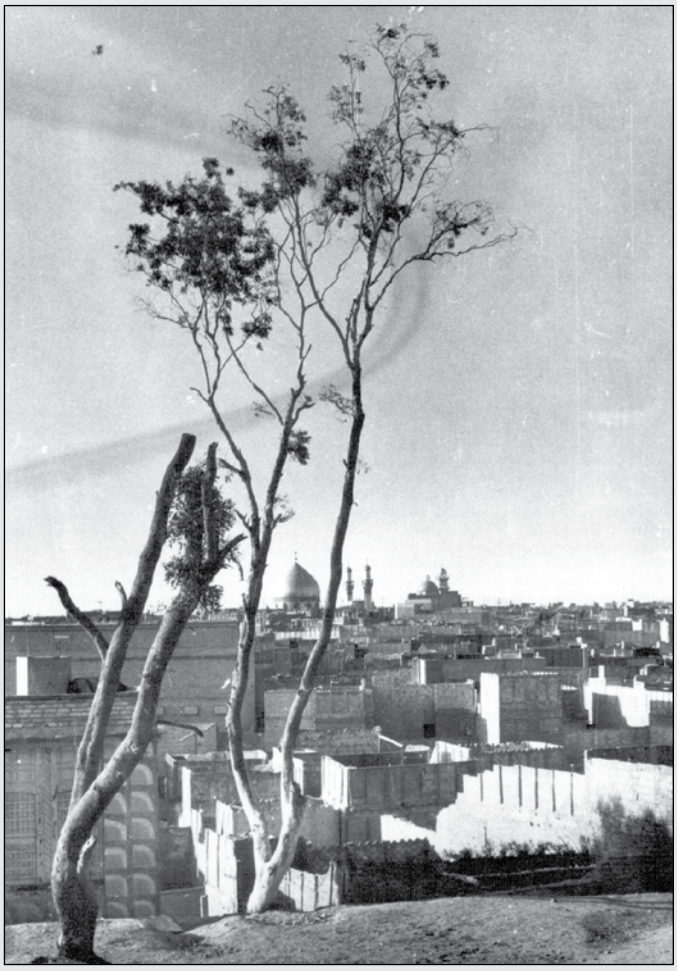

صورة للنجف الأشرف أخذت سنة ١٩٧٨م من فوق جبل الحويش

(١)، (٣)، (٥) النظام التربوي في الإسلام، الشيخ باقر القريشي.
(٢) الجمهورية، أفلاطون.
(٤) تاريخ الشيعة الإمامية وأسلافهم، المفكر الكبير السيد محمد باقر الصدر قدس سره من مقدمة للدكتور عبد الله فياض.

الوهابية تقتل المستبصرين

وقفة مع الشهيد المستبصر الدكتور صباح عبد الوهاب الذي قتلته الوهابية بتهمة الارتداد

• محمود محمد حسين الموصلي

﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ صدق الله العلي العظيم

ينابيع ولد الشهيد الدكتور صباح عبد الوهاب عام (١٩٥٧م) وتخرج من كلية الطب على نفقة وزارة الدفاع ولم يكن (رحمه الله) راغباً دخولها بهذه الطريقة لكن شاءت الأمور أن تجري عكس ما يريد، وتمتد معرفتي بالشهيد إلى عام (١٩٨٨م) وحتى يوم رحيله، كان (رحمه الله) مصداقاً لقول الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً
بقيت في مرادها الأجسام

كانت همته عالية لا يقنع دون ركوب الصعاب ولم يكن ممن يقبل بالأمور على ظاهرها من دون برهان، وكان مشهوداً له بالذكاء والقدرة على خوض المعارك الكلامية مع أولئك المعاندين لخط الإمامة هذا الخط الذي شكل نقطة تحول جوهرية في حياته وألبت عليه أقرب الناس إليه، غير أنه كان مؤمناً بما يعتقده فمضى قدماً غير هيّاب وهو لم يتجاوز العقد الثالث من عمره وهذا يدل على روح وثابة وحياة عريضة على قصرها حافلة بألوان من المفارقات لونت مسيرة حياته الجهادية التي أوقفها في خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام فقد كان مكافحاً ومدافعاً من الطراز الأول والذي أثار عليه

الشهيد الدكتور صباح عبد الوهاب

حقد الحاقدين الذي رأوا في تحوله طعنة نجلاء أصابت منهم مقتلاً فحاولوا بشتى الوسائل ثنيه عن السبيل القويم ولكن دون جدوى ذلك خرط القتاد ـ كما يقال ـ وبلغ بأهله والمحيطين به من أقاربه أنهم حاولوا التفريق بينه وبين زوجته غير أنه لم يبال وارتد كيدهم إلى نحورهم.

إن مسيرة التحول في حياة الشهيد رحمه الله جعلت منه نموذجاً معروفاً في محافظة نينوى إلى جانب شخصيته المهنية كطبيب

عمل على مساعدة الفقراء والمحتاجين ومعالجتهم دون مقابل وكان طبيباً ناجحاً جلب له شهرة في ميدان ممارسته لمهنة الطب غير أن ذلك لم يكن بالذي يغريه أو يشغله عن اهتماماته الخاصة بالقضية الأساس ألا وهي توعية الناس وتعريفهم بمذهب أهل البيت عليهم السلام وساعده في ذلك ثقافته الواسعة في مجال العقيدة والتاريخ والفقه عند كلا الطرفين فهو قبل تحوله كان شافعي المذهب إلا أنه ـ وكما كان يذكر لي رحمه الله ـ لم يكن في بادئ الأمر من وعيه بأمور الدين ليهتم بالبحث عن العقائد إذ شأنه شأن الآخرين من أترابه لا ينظر إلى الشيعة إلا بالازدراء والسخرية من أفكارهم وعقائدهم، ومن الجدير بالذكر أن أنقل هنا ذلك الموقف الذي شكل انعطافاً مهماً في حياته الفكرية حيث تداركته رحمة الله وعنايته ولولا ذلك لما كان لشخص عنيد مثله تربى على نهج متوارث منذ الصغر ليقبل بما آل إليه بعد ذلك، كان يومها آمراً لوحدة ميدان طبية في الجنوب إبان الصراع الدائر بين العراق وإيران.

يقول (رحمه الله): (لقد استوقفني الحديث النبوي الشريف عن الفرقة الناجية وكيف أن الأمة تنقسم إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) وبقيت أفكر في أي من هذه الفرقة أنا، وأنى لي أن أعرف أن جميع أعمالي وأفعالي هي على النحو الذي يجعلني من الفرقة الناجية وهل أنا منها أو لا؟ كل ذلك شغل بالي وقتاً طويلاً مما كاد يدفعني إلى حافة اليأس ودعوت ربي غير مرة أن يخرجني من حيرتي إلى أن جاء ذلك اليوم فلجأت بعد الظهيرة إلى القيلولة لآخذ قسطاً من الراحة وأنا أدعو الله أن ينير بصيرتي لأقف على حقيقة ما أنا عليه واستغرقت في نوم عميق ورأيت فيما يرى النائم وكأني واقف في حرم الإمام علي عليه السلام أقرأ دعاء الاستئذان ودخلت وأنا أستقبل الضريح داعياً، وفي لحظة يرتفع بيني وبين صورة الإمام علي عليه السلام إبليس (عليه اللعنة) وإذا بي أفيق من نومي وقد ارتطم رأسي بحافة السرير فأحسست بضيق شديد لأني كنت أحاول اقتناص هذه اللحظة فقلت في نفسي ـ والله لن تقلبني يا ملعون ـ وباشرت بالدعاء ثانية وجهدت في الدعاء أن أجد نفسي حيث كنت ثانية وفعلاً ما أن استغرقت في النوم حتى وجدت نفسي ثانية أمام الضريح وقد أطل الإمام بوجهه واستقبلني بصوته قائلاً ماذا تريد يا بني صباح؟ فقلت متوسلاً: يا سيدي الحديث الذي يُذكر فيه الفرقة الناجية ـ ثم ذكره بنصه ـ وأنا حائر لا أدري هل أنا من الفرقة الناجية أم لا؟ فقال الإمام مخاطباً: يا صباح إن شيعتي هي الفرقة الناجية ثم دار بيننا حديث طويل ولم أشعر إلا وقد أخذ بيدي وسرنا في الرواق جيئة وذهاباً وهو يحدثني وقد أمسك بيدي وفي الأخير قلت له سيدي إن جميع ما حدثتني به قد نسيته فقال لي ستتذكر كل شيء في حينه ولكن أكتم تشيعك الآن لأنك إن فعلت فإن أهلك سيؤذونك فقلت لا أبالي).

ويستمر الشهيد رحمه الله قائلاً، فلما صحوت من نومي نظرت حولي وأنا مندهش هل حقاً ما رأيت؟ ولكي أتحقق في الأمر أرسلت في طلب جنود كانوا من أهل النجف وهم لا يعلمون قصدي وقلت لهم: أريد منكم أن تخبروني الحقيقة وإلا عاقبتكم وسأذكر لكم ما رأيت فإن كان حقاً فقولوا نعم وإن كان غير ذلك فقولوا كلا، وأصدقوني الجواب ولم أكن في حياتي كلها قد زرت النجف إذ لم أكن ممن يعترف بذلك أصلاً فرويت لهم تفاصيل دخولي الحرم وقراءتي للدعاء المعلق على

جانب الباب للاستئذان وهكذا وكنت قد استحلفتهم فأقروا لي بجميع ما ذكرت وإني لم أخالف بين واقع الأمر وما رأيت وكأني كنت حاضراً هناك عياناً فلما تبين لي صدق ما رأيت وشهادتهم بعد الأيمان على صدق الرؤيا أسرعت فوراً إلى الصلاة ووضعت التربة وصليت إرسالاً، لقد وضح السبيل ولا رجوع وفي أول فرصة سنحت لي توجهت إلى حرم الإمام وتشرفت بزيارته وقد قدمت بين يدي زيارتي بقربان ذبحته هناك لأجعل هذه الزيارة بداية العهد بيني وبينهم عليهم السلام).

هكذا بدأت رحلة التحول التي تبدو لضعاف النفوس غير قابلة للتصديق ولكنها الحقيقة ولا شيء سواها فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وهكذا ربح الشيعة في الموصل إنساناً قل نظيره بينهم حتى طبقت شهرته الآفاق - كما يقولون - وتهافت الكثيرون إلى التعرف عليه وقد استطاع رحمه الله أن يصنع عدداً غير قليل بالتحول وكان إلى جانب ذلك شجاعاً غير هياب إذا حزم أمره وعزم عليه فإنه لا يحيد عنه مما جلب عليه سخط الآخرين ممن لم يجدوا وسيلة غير الكيد له وقعدوا له على الصراط يريدون حرفه ولم يفلحوا.

وهكذا سقط الشهيد مضرجاً بدمه وقد اخترقت عشرون رصاصة جسده الشريف غير أنها لم تصب من روحه مقتلاً بل هو الذي قتلتهم بعلمه وحلمه وصبره وكان قبل استشهاده رحمه الله رأى الإمام الحسين عليه السلام في رؤيا أخبر بها أحد أصدقائنا قائلاً له: يبدو أن أيامي قصيرة وأنا راحل عنكم لا محالة فهذه نهايتي وفعلاً رحل بعد ذلك بأيام صابراً محتسباً وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وسلام عليه يوم استشهد ويوم يبعث حياً.

شلت يمينك أيها القدر
حتام لا تبقي ولا تذر
من عهد آدم لم نزل كلفاً
بالصيد إذ هم صيدك الوفر
تلهو بهم فكأنهم غرض
لا ينقضي من دونهم وطر
فالكل عندك مذنب أبداً
هيهات منه الذنب يفتقر
كلٌّ وإن طال المدى
فله شرب من الأيام محتضر
وكم على يديك قد سفحت
من أدمع كالسيل تنحدر
وأنت أنت غير منزجر
لا تنثني إذ طُبِعك الحجر
تمشي على هام الورى مرحاً
تختال من عجب وتفتخر
وإذا ظمئت فمن دموعهم
ما شئت طيب الشرب تعتصر
هذا جناك اليوم تقطفه
فاهنأ بذاك أيها القدر
من كان نسراً في الذرى طلقاً
في خافقيه المجد يزدهر
فتى تحدى الموت مقتحماً
لم يثنه عن عزمه خطر
مضى نقي الثوب يشفعه
من أنزلت في ذكرهم سور
قد خط في سفر الخلود له
تاريخ عز ذكره عطر
ءأبا صهيب والهوى قدر
يسري بأضلعنا ويستعر
يسري وفي الفؤاد منه لظى
كالداء يستشري وينتشر
ويجيء وجهك مسفراً ألقاً
روحي به كالجمر تنصهر
ءأبا صهيب إن بي ظمأ
إليك يقتلني ويعتذر
لكنه ظمأ الشهيد بكر
بلاء إذ لم يروه مطر

مـازال مـن ألـف بـه ظمـأ
يـكاد منـه القلـب ينفطـر
مـازال مـن ألـف يجاهرنـا
يشـمر بسـيف الحقـد يبتدر
فـي قتلنـا ديـن يديـن بـه
فكأننـا فـي شـرعه بقـر
مـن معشـر بدمائنا اغتسـلوا
وعلـى شـهي لحومنـا فطروا
يـا مثقـلاً بالعشـق يحملـه
همـاً وقـد أعيـا بـه السـفر
هذي حروفـي في رثـاك غدت
تشـكوا إلى الرحمن مـا وزروا
يـا مثقـلاً بالعشـق أوحشـه
درب طويـل مجهـد عسـر
مـا للقوافـي كلهـا عقمـت
واصفـر منهـا ينعهـا الخضر
زمـت رواحلهـا فـلا نبـأ
ترويـه بعـد اليـوم أو خبـر
إذ غـاب عنهـا اليوم سـامرها
وانفـض مجلسـها فلا سـمر
وابيـض عيـن القلب مـن كمد
مـا قد مضـى هيهـات ينتظر
ولقـد يضيـق الصبر عـن ألم
يـزري بـه مُسـتهتر أشـر
لكنـه المسـرى إلـى أفـق
يضـيء فـي ليلائـه القمـر

وهذه قصة الرؤية التي على أثرها استبصر الدكتور الشـهيد صباح عبد الوهاب (سـيد حسين الموصلي):

بعدما شاع في أوساط الشيعة في الموصل نبأ استبصار الدكتور صباح كنت من أشد المتشـوقين للقائه ولما علمت أن إحدى أهم أسباب اسـتبصاره الرؤيا المباركة فأول ما التقيـت بـه طلبت منـه بإلحـاح أن يقص لي الرؤيا، وقلـت: بأني أحب أن أسـمعها منك لا من غيرك.

فقـال كنت دائمـاً أتناقش مـع إخواني وأصدقائي وعلماء أهل السنة حول التناقضات الكبيرة الموجودة بين المسـلمين فقلت إنه واحـد على حـق والآخرين باطلـة ذلك لابد منه... ولمـا كنت آمراً لوحـدة طبية فكان لـي غرفـة خاصة بي فقط، ففـي ليلة الرؤيا طلبت من الله بإلحاح وبكاء شديدين الهداية لدين الحق ومذهب الحق وكنت أناجي ربي بقـول نبي الله إبراهيـم عليه السلام: (لئن لم تهدني لأكونن مـن الضالين) وكنـت أتجرأ على ربـي وأقول: إني أطلب منـك الهداية فإذا لم تهدني وأدخلتني النـار فإنني أحاججك بأني طلبت الهداية منك ولم تهدني.

وقـال: إني بقيت أناجـي الله حتى الفجر فهومـت عينـاي ورأيـت نفسـي كأني في صحـراء مظلم ظلام دامسـاً ورأيت من بعيد بيتاً منيراً يشـع منه النور فذهبت نحو النور فدخلت البـاب الأول والثاني والثالث إلى أن وصلت إلى مرقد مولاي أمير المؤمنين عليه السلام فخـرج عليه السلام من المرقد فقلـت له: من أنت؟ قال: أنا علي بـن أبي طالب عليه السلام ولما كنت قد اسـتحضرت جميـع الإشـكالات حول الشيعة فتبادر إلى ذهني السؤال الأول فقلت له سـيدي من هـو المهدي المنتظـر قال هو ولـدي محمـد بن الحسـن (عجـل الله تعالى فرجه) فقلت له أي المذاهب هو مذهب الحق فقال عليه السلام شـيعتي شـيعتي... ثم قـال أخذت أسـأل الإمام والإمام عليه السلام يجيبنـي بالأجوبة المقنعـة الواضحة فقلت له سـيدي سـأخبر أهلـي بهـذه الحقائق فقال عليه السلام على رسـلك فإنهـم سـيحاربونك ثـم أخذ بيدي وتمشـى معي وهو يعلمني فقلت له: سيدي إني نسيت ما علمتنـي به فقال: سـتجدني حاضراً حين الحاجـة ثـم تركني ومـا أن خرجـت حتى هجـم عليّ الشـيطان ولكنـي تخلصت منه واستيقظت من النوم.

وسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً ■

كتاب

المهدي المنتظر(ع) عند الشيعة الإثني عشرية

للدكتور جواد علي

• نصير عبدالحسين الكعبي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

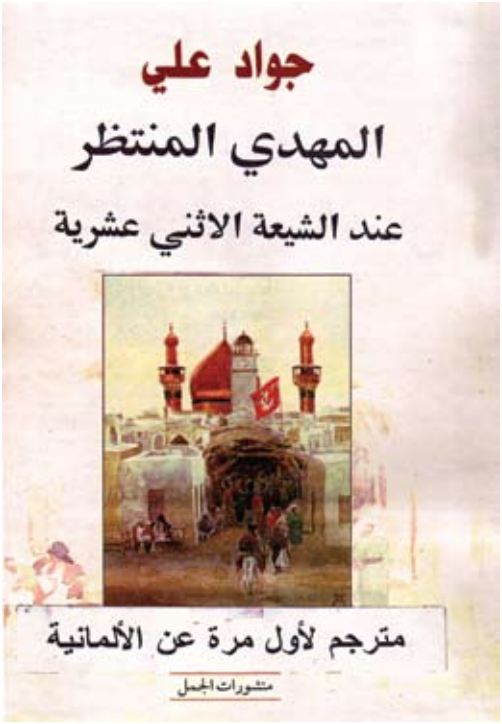

ينابيع أصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه نال فيها جواد علي (١٩٠٧-١٩٨٧م) درجته العلمية من جامعة هامبورغ الألمانية في العام (١٩٣٩م)، بإشراف المستشرق الألماني المتخصص في الدراسات الشيعية (شتروتمان) وغدت هذه الدراسة منذ إجازتها مرجعاً مهماً للدراسات الإسلامية في اللغة الألمانية بعد طباعتها ككتاب.

وعرف الدكتور جواد علي في الأوساط العلمية والأكاديمية بتخصصه في تاريخ العرب قبل الإسلام، إذ أنجز أضخم موسوعة علمية باللغة العربية والموسومة بـ(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) (١٠ أجزاء) معتمداً في تأليفها على مجموعة كبيرة من المصادر المدونة باللغات الألمانية والإنكليزية،

واللغات الميتة كالمسند، متبعاً فيها منهجية تاريخية رصينة.

بيد أنه لم يعرف لليوم دواعي احجامه في نقل هذه الدراسة إلى لغته الأم، بالرغم من جدتها والموضوعية المرتسمة فيها.

والكتاب في نسخته العربية المترجمة في العام (٢٠٠٥م) متكون من (٣١٨) صفحة من القطع المتوسط، إذ أوكلت منشورات الجمل نقله عن الألمانية للدكتور أبو العيد دودو، وكما يظهر من سيرته العلمية أن له تمرساً مشهوداً في النقل عن الألمانية لأكثر من دراسة، لكن مما يؤاخذ عليه تصرفه في العنوان الأصلي للكتاب وهو (المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية) وهناك فارق ما بين العنوانين فالأول يتحدد بنهاية عهد الغيبة الصغرى، فيما يحمل الثاني صفة الإطلاق بمعالجة فكرة المهدي في مختلف مراحل تاريخ الشيعة. وقد تكمن وراء ذلك التحوير دوافع تجارية للناشر تجعل من عنوان الكتاب صفة ذات عمومية أكثر منها خصوصية.

وجاءت هذه الدراسة يوم ذاك لتسد نقصاً ملحاً ليس في الدراسات العربية فحسب، وإنما في الأوساط الإسلامية المعروفة بسابقتها في هكذا موضوعات، هذا ما حاول المؤلف أن يؤكد عليه في مقدمته، عند تضمينه لمجموعة من استشهادات المستشرقين المختصين، منها نص (يراون) الذي جاء فيه: (إننا لا نملك عرضاً مفهوماً موثوقاً به عن مبادئ الشيعة في أية لغة أوربية)[١].

وأعطى المؤلف في بحثه تقييماً موضوعياً للدراسات الاستشراقية التي مست بعض جوانب الموضوع، فصنفها على قسمين، القسم الأول دراسات نمطية قديمة ابتعدت عن الموضوعية والدقة لاستمرار اعتمادها في الحديث عن الشيعة على مصادر مناوئيهم ومخالفيهم، ومنها دراسة المستشرق (نيبرغ) الصادرة سنة (١٩٢٥م)، وقسم آخر اتبع منهجاً جديداً أقرب للعلمية لاتكائه في موارد معلوماته بالدرجة الأولى على المصادر الشيعية، على غرار ما فعله مشرفه المستشرق (شتروتمان) في بحثه عن الاثني عشرية[٢].

وقدم الدكتور جواد علي في مستهل دراسته تحليلاً داخلياً لبعض المصادر السنية، الكيفية التي تناولت بها فكرة المهدي وغيبته، وحذر من الافتراء والافتعال المنتاب سطورها، فيشير لذلك بقوله: (مثل هذه النوايا لم يحمل المقريزي بأن العقيدة الأصلية للشيعة قد جاءت من اليهودية فابن حزم الظاهري والشهرستاني وغيرهما من أصحاب الطوائف ليسوا ببريئين من مثل هذه الآراء الخاطئة... مثل ابن خلدون الذي روى أن المهدي كان قد دخل سرداب ببيت متطرف من بيوت الشيعة بالحلة وغاب فيه)[٣].

بنى المؤلف دراسته على فصل أول تناول فيه أبرز علماء الشيعة ومصنفاتهم، منذ عهد الأئمة عليهم السلام حتى وقته، ورأى في ذلك ضرورة من أجل تتبع التطورات التي مرت فيها فكرة المهدي أو السفراء الأربعة، فأحصى (٨٧) عالماً شيعياً متبعاً في ذلك الترتيب الزمني فابتدأ بترجمة (أبو الحسن بن علي بن خصال) وانتهى بـ(السيد حسن صدر الدين) المعاصر له، ويشار أن نواة هذا الفصل

ولبه عبارة عن رسالتين قد تبادلهما مع السيد هبة الدين الشهرستاني الأولى بتاريخ (١٩٣٦م) يوم كان الشهرستاني رئيس محكمة التمييز الجعفرية والأخرى في العام (١٩٣٧م) وهي عبارة عن إجابة لعدد من الأسئلة[٤].

ويلاحظ على الفصول المتبقية من الكتاب أنها قد انشطرت في معالجتها إلى شطرين، الأول تناول فيه فكرة المهدي وتطوراتها في عهد الأئمة عليهم السلام وخصها بفصلين، ففي الفصل الثاني حاول البحث عن المسببات الفعلية في التجاء الأئمة عليهم السلام بعد الإمامين علي بن أبي طالب وولده الحسين عليهما السلام إلى العلم وترك السياسة وشؤونها وعزى ذلك لمبدئية الأئمة عليهم السلام وأخلاقهم التي لم تبح انتهاج أساليب وأدوات معارضيهم في الوصول إلى الحكم ورئاسته، لذا فضلوا الانكباب على العلم وعدم الاستجابة لدعوات كثيرة كانت الظروف للوهلة الأولى تبدو فيها مهيأة إليه.

وبرز الكاتب أن الضغوط السياسية من قبل السلطة اتجاه الأئمة عليهم السلام ومحاولاتهم المتكررة في اخضاعهم ووضعهم تحت أعين المراقبة. ونقل إقامتهم من المدينة إلى بغداد ومن ثم إلى سامراء واستعمال القتل في أحايين عديدة والاغتيال، أسهم في فكرة الاختفاء حفاظاً على الأئمة عليهم السلام ونسبهم وبلغ ذلك ذروته في عهد الإمام الحادي عشر عليه السلام.

وتعرض الكاتب للروايات الخاصة بمولد الإمام المهدي (عجل الله فرجه) والكيفية التي كانت فيها الولادة، وهي روايات متباينة ومتضاربة في بعض تفاصيلها، بيد أنه رجح رواية (حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام) المشابه فحواها لولادة عيسى بن مريم عليه السلام، لقرب روايتها من زمانية الحوادث ومكانيتها[٥].

وعنون الفصل الثالث بـ(الغيبة والرجعة) وقد تمحورت الأفكار الرئيسة فيه حول معالجة إشكالية السرداب وطبيعة شخصية (عبد الله بن سبأ)، وحاول المؤلف في هذا أن يعارض الآراء المستقرة في حينه بشأن تلك الأفكار سواء في المصادر القديمة أو المراجع والدراسات الحديثة، وأن يدلل إن لكفرة الغيبة إرهاصات وممهدات سبقت عهد الإمام عليه السلام وإن كان بعضها منحرفاً عند عدد من الفرق، لكنها تؤشر أن الذهنية كانت تعي تلك الأفكار وتمارسها بطرائق متباينة.

وينتهي القسم الأول للكتاب، وإن لم يقسمه على هذه الشاكلة مع عهد الغيبة الصغرى، إذ خص كل سفير من السفراء الأربعة بفصل خاص به، تابع في ثناياه التطورات السياسية للدولة العباسية وأثرها على حركة السفراء، وركز على جهود علماء التشيع البارزين في هذه الحقبة كـ(آل نوبخت) و(آل يقطين) وغيرهم في تنشيط علم التوحيد.

وخلصت هذه الدراسة إلى نتائج رئيسة كان أبرزها أنه من غير الممكن دراسة تاريخ الشيعة بعمق من دون تتبع سير علمائهم وما حوته مصنفاتهم. كما كشفت عن هشاشة بعض الآراء الاستشراقية المعتمدة حين ذاك. كذلك نبه البحث بضرورة الاعتداد بالمصادر الشيعية المتأخرة لاحتوائها على مرويات مصنفات متقدمة فقدت أصولها ■

ما هو مرض أنفلونزا الطيور؟

• م. م. نبيل سليم تويج
كلية العلوم/ جامعة الكوفة

ينابيع هواجس يتحدث عنها العالم من آونة إلى أخرى فسمعنا عن جنون البقر والجمرة الخبيثة والسارس أو الالتهاب الرئوي اللانمطي، وحمى الوادي المتصدع ثم أخيراً أنفلونزا الطيور.

فيروس الأنفلونزا عموماً يمكن أن يصيب أنواعاً كثيرة ومتعددة من الحيوانات مثل الطيور والخنازير والخيول وحتى عجول البحر والحيتان. أما الأنفلونزا التي تصيب الطيور حديثاً فيطلق عليها (فيروس أنفلونزا الطيور) (H_5N_1) أو فيروس أنفلونزا الدجاج كما اشتهرت به تسميته. واكتسب فيروس أفيان هذه التسمية لأن الدجاج هو أكثر أنواع الطيور الحاضنة لهذا الفيروس والناقلة له. إن أنفلونزا الطيور هو مرض

يصيب الدواجن ويسببه فيروس أنفلونزا شديد العدوى وغالباً ما يصيب هذا المرض الدجاج والبط والإوز والحمام وغيرها من الدواجن.

ما هي أكثر أنواع فيروس أنفلونزا الطيور التي تصيب الإنسان؟

استطاع العلماء حتى الآن حصر ١٥ نوعاً من فيروس أنفلونزا الدجاج وتأكدوا من أن بعضها هي التي تصيب الإنسان، وهذه الأنواع هي (HA1، HA2، HA3، NA1، NA2) وأكثرها خطورة وإمراضية للإنسان النوعين المعروفين (H5N1، H7N7).

كيف ينتقل فيروس أنفلونزا الطيور للإنسان؟

كان يعتقد أن أنفلونزا الطيور تصيب الطيور فقط إلى أن ظهرت أول حالة إصابة بين البشر في هونج كونج في عام (١٩٧٧م). ويلتقط الإنسان العدوى عن طريق الاحتكاك المباشر بالطيور المصابة بالمرض. ويخرج الفيروس من جسم الطيور مع فضلاتها التي تتحول إلى مسحوق ينقله الهواء أو الغبار.

يفضل فيروس أفيان الكمون في دماء الطيور ولعابها وأمعائها وفي أنوفها، ويخرج جمع (ذراقها) برازها وهنا مكمن الخطورة حيث يجف هذا الذراق ويتحول إلى ذرات للغبار يستنشقها الدجاج السليم وكذلك يستنشقها الإنسان. وأكثر طرق انتقال العدوى تتمثل في الرذاذ المتطاير من أنوف الدجاج، لكن الطريقة الأكثر انتشاراً للفيروس هي طريق البراز.

ما سبب قلق الخبراء؟

هناك مخاوف من أن الفيروس قد يندمج مع نوع آخر من فيروسات الأنفلونزا التي تصيب الإنسان ليشكلا معاً نوعاً جديد من الفيروسات يمكن أن ينتقل من شخص لآخر.

ويمكن أن يحدث هذا الاندماج في حالة إصابة شخص مريض أساساً بنوع من أنواع أنفلونزا الطيور. وكلما زادت حالات الإصابة المزدوجة هذه كلما زادت احتمالات تطور صورة الفيروس.

هل يمكن أن أستمر في تناول اللحوم المجمدة أو أكل الدجاج المصاب؟

يمكن أن تستمر في أكل الدجاج دون قلق لأن الخبراء يؤكدون أن فيروس أنفلونزا الطيور لا ينتقل

عبر الأكل، لذا فإن تناول الدجاج لا يمثل أي خطورة حذر من لحوم الدواجن المجمدة والمبردة بقولهم أن الفيروس الفتاك المسبب لمرض أنفلونزا الطيور يمكنه أن يعيش سنوات عدة في درجات منخفضة حتى (٧٠) درجة مئوية تحت الصفر لكنهم قالوا مجدداً أنه يمكن (قتل الفيروس إذا طهيت اللحوم بطريقة صحيحة). إلى الآن لم تثبت بالدليل العلمي القاطع إمكانية إصابة الإنسان بالفيروس عن طريق أكل لحم الطيور المصابة.

هل هناك إمكانية لانتقال العدوى بالفيروس من مريض إلى شخص آخر سليم؟

لم تسجل حتى الآن وقائع تثبت حدوث ذلك. ولتجنب الإصابة بالمرض يجب الابتعاد عن الأماكن التي توجد بها الدواجن الحية حيث يمكن أن يتفشى الفيروس بشدة.

ما هي أعراض وعلامات الإصابة بهذا المرض؟

فور إصابة الإنسان بالفيروس تظهر عليه أعراضاً مشابهة لأعراض إصابته بفيروس الأنفلونزا العادية مثل ارتفاع درجة الحرارة والشعور بالتعب والسعال ووجع في العضلات، ثم تتطور هذه الأعراض إلى تورمات في جفون العينين والتهابات رئوية قد تنتهي بأزمة في التنفس ثم بالوفاة. وللتأكد من أن المرض في الطيور يتم إجراء التشريح لمعرفة التغيرات الجهازية والتي تظهر من أنفلونزا الطيور كالتالي:

١- التهاب في (القصبة الهوائية، الجيوب التنفسية، الأكياس الهوائية، الجفون واحتقان العيون).

٢- قد تتصلب الرئة بالالتهاب.

٣-وجود النخر البؤري في الكبد والكلى والطحال.

٤- النزف يكون منتشر في الجسم.

٥- وجود تكهفات في المخ، فضلاً عن وجود النخر في الكبد والكلى.

ما هي أهم طرق الوقاية من هذا المرض؟

إن القضاء نهائياً على الطيور البرية لا يمثل الإجراء المناسب لمكافحة انتشار فيروس أنفلونزا الطيور، ثم أن إعدام الطيور لن يساعد على الحيلولة دون وقوع موجات من أنفلونزا الطيور في المستقبل. فالوقاية يجب أن تستند إلى نظام مراقبة ومكافحة يضمن عدم حصول أو تفادي أي تماس ما بين الطيور البرية والدواجن أو على الأقل متابعتها ومراقبتها. وعلى سبيل المثال، يتعين على أصحاب المصالح التجارية في قطاع الدواجن أن يضمنوا عدم تلوث إمدادات المياه الخاصة بالدواجن عن طريق الطيور المهاجرة، وإذا تعذر عليهم ذلك فإنه من الضروري معالجة مياه الشرب بطرق مناسبة. فقد أثبتت التجربة أن تلك هي استراتيجية جيدة، وأن القضاء نهائياً على الطيور البرية أمر غير ضروري. ثم إتباع أمن بيولوجي مشدد خلال سلسلة عمليات إنتاج الدواجن بدءاً من الحقول وصغار المنتجين وصولاً إلى منافذ التوزيع، والأسواق، وباعة المفرد. كما ينبغي أيضاً رفع مستوى الوعي العام بأخطار المرض.

أما أصحاب المصالح التجارية من منتجي الدواجن فإنه يتعين عليهم تطبيق

إجراءات أمنية بيولوجية، بما في ذلك:

١ـ المحافظة على درجة عالية من الأمن في ما يتعلق بحركة التنقل من وإلى حقول الدواجن واعتماد أعلى المعايير الصحية للتقليل إلى أدنى مستوى من احتمالات انتشار المرض.

٢ـ إقامة حظائر الدواجن بحيث تحول دون تماس الدواجن في أماكن تواجدها، مع الطيور البرية، ولاسيما الطيور البرية المائية، والدواجن.

٣ـ الاحتفاظ بسجلات لتوثيق حالات التضاؤل المفاجئة في الإنتاج.

٤ـ ضمان ضبط كافة الطيور المريضة أو التي نفقت، من قبل طبيب بيطري متمرس.

هل يوجد مصل لهذا المرض؟

يعكف الباحثون في الوقت الراهن على تطوير مصل مضاد للمرض ويحتاج لستة أشهر على الأقل لإنتاجه.

ما هي فرصة العلاج؟

يمكن الشفاء من هذا الفيروس باستخدام مضادات معينة للفيروسات التي تستخدم أيضاً للوقاية منه للبالغين والأطفال ولكنها مضادات غالية الثمن فضلاً عن إنتاجها المحدود ■

تربة كربلاء

عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي بن أبي طالب عليه السلام غزوة صفين، فلما نزلنا كربلاء صلّى بنا صلاة، فلما سلّم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته وهي جرداء بنت سمير وكانت من شيعة علي فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجّبك من صديقك أبي الحسن؟ لما نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمها وقال: واهاً لك يا تربة ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. فقالت: دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً.

فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه قال: كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم فلما انتهيت إلى القوم وحسين وأصحابه عرفت المنزل الذي نزل بنا علي عليه السلام فيه، والبقعة التي رفع إليه من ترابها والقول الذي قاله، فكرهت مسيري فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين فسلّمت عليه وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل.

فقال الحسين: معنا أنت أو علينا؟

فقلت: يا ابن رسول الله لا معك ولا عليك تركت أهلي وولدي أخاف عليهم من ابن زياد.

فقال الحسين: فول هارباً حتى لا ترى لنا مقتلاً فوالذي نفس محمد بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يغيثنا إلا أدخله الله النار.

وقعة صفين ص١٤٠

حصار النجف في مذكرات

المصلح المجاهد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره

• محمد جواد فخر الدين

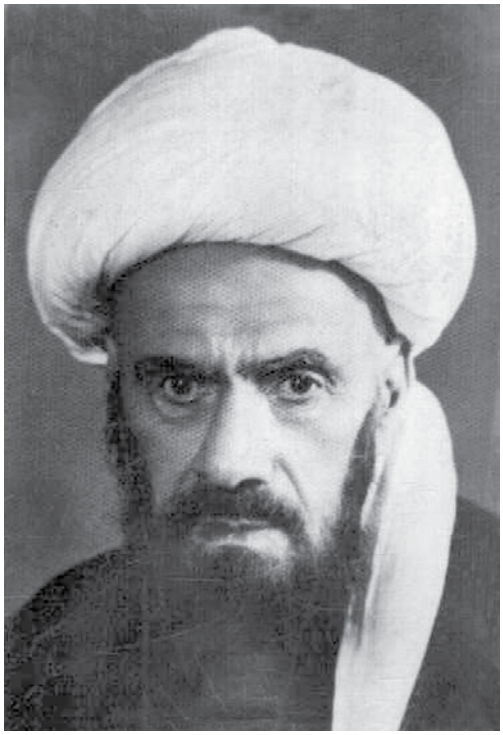

ينابيع مما لا جدل فيه يعد الإمام المجاهد محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره أحد أقطاب الحركة الوطنية في مدينة النجف الأشرف، فضلا عن كونه أحد المراجع الكبار في هذه المدينة، الذين أسهموا إسهاماً كبيراً في رفد الحركة الفكرية بشتى صنوف المعرفة.

ومن خلال تتبعي لحياة الإمام الراحل وجدت أن هناك كثيراً من صفحات حياته لم يتعرف عليها القارئ، وأخص بالذكر مذكراته التي لم تنشر، بل وأصبحت في طي النسيان، على الرغم من أنها ضمت معلومات مهمة لا يستغني عنها الباحثون ليس فقط عن حياته فحسب، وإنما هي أيضاً عن الأوضاع السياسية خلال الاستعمار البريطاني للعراق، وما رافق ذلك من تغيرات

اجتماعية واقتصادية، فضلاً عن الدور الريادي الذي لعبته مدينة النجف الأشرف أبان تلك المرحلة.

في الوقت نفسه لم يكن حصولي على تلك المذكرات بالسهولة التي يتصورها القارئ، ولكن كان للسعي الدؤوب والمستمر للحصول عليها والإلحاح المستمر على نجله الشيخ شريف كاشف الغطاء الذي كان يخشى من ضياعها وتلفها، تمكنت في نهاية المطاف من الإطلاع عليها ونقلت منها ما استطعت، حتى قال لي: (لقد مصصت عظامها)!.

لذا ارتأيت أن أنشر بعض تلك الصفحات التي نقلتها وأضعها بين يدي القارئ الكريم، وخصوصاً بالنسبة لحصار النجف لأنها كانت متكاملة الأحداث.

والشيء الذي لابد أن يسجل هنا وبكل أمانة، أنه قد يجد القارئ هناك بعض الأفكار والطروحات التي لا تتفق مع تصوراته وأفكاره عن (ثورة النجف)، إلا أنها في مجملها وتفصيلها تعبر عن وجهة نظر كاتبها، لأنه قد عايشها وواكب جميع الظروف التي أحيطت بها.

ويمكن القول أنها تمثل تأريخ مرحلة مهمة من مراحل الحركة الوطنية التي ناهض خلالها النجفيون الاستعمار البريطاني في ذلك الوقت.

على الرغم من وجهات النظر المختلفة في هذا الموضوع، ووأن لكل رأيه وتصوراته.

ونقلنا المذكرات كما هي، وكما نطق بها كاتبها دون إضافة أو تغيير. وهي:

(... وكأن الإنكليز بعد أن طرد الأتراك من بغداد، وتملك العراق، أخذته نشوة الفتح والظفر، وبقي في دار السلام هو وفلول جيشه ينفض عنه وعثاء السفر والحرب، ويأخذ نصيباً من الراحة، ثم بعد قليل وجه فكرته إلى الأنظمة السياسية بعد أن كان الحكم عسكرياً محضاً، فعين الحكام السياسيين للمدن كالحلة والديوانية وغيرها سوى كربلاء والنجف، فقد استعمل فيهما عادته من الأناة والتمهل، على قاعدة إنما يعجل من يخاف الفوت، ولكن أجلاف...).

عند انعزال أشرافها بالحكم الإنكليزي بلا قيد ولا شرط، ثم بأسرع وقت انقلبوا وثاروا عليه، وعقدوا جمعية سرية فيها بعض المعممين، وجماعة من (...) (يقصد بذلك جمعية النهضة الإسلامية التي كان من أعضائها الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد محمد سعيد كمال الدين، وغيرهم)، ولم يبرموا الأمر على ما يقتضيه الحزم والحصافة، وهجموا على الحاكم الإنكليزي (وليم أم. مارشال) فقتلوه وكان بطل رواية هذا الهجوم والفتك نجم أحد البقالين في النجف.

وفي ذلك اليوم حاصرت الجنود الإنكليزية، وعملوا حولها الأسلاك الشائكة، ومنعوا عن الأهليين حتى دخول الماء، فحاربهم من وراء السور رؤساء الأطراف الأربعة، ورؤوس هذه المقاومة كان الحاج سعد وأولاده، وكاظم صبي، وعباس علي الرماحي، وجماعة آخرون.

أما السيد (...)[1] رئيس الزكرت فكان قد اعتز بهم، ويتظاهر بالحياد، ويراود السلطة سراً، واستمر الحصار أربعين يوماً، وصار شرب أكثر أهالي النجف من ماء الآبار

المالحة، وشحت الأطعمة حتى بلغت حصة النجف من عشر روبيات، وبهذا المقياس ساير الضروريات من اللحوم والأدهان.

وبعد أسبوعين تقريباً من بدء الحصار، زحف الجنود إلى قرب سور البلد لضعف الحامية ونفاذ ذخيرتها، ثم احتلوا جبل الحويش المطل على النجف ونصبوا المدافع عليه، وأنذروا المحاربين بالتسليم أو الضرب، وانتظروا مدة عشرين يوماً يحاذرون من ضرب النجف، واتساع لهيب الثورة، وهياج العشائر سيما وفي النجف المرجع العام لكافة الأقطار، وهو سيدنا الأستاذ محمد كاظم (اليزدي) السابق الذكر، وكانت البرقيات تنهال على قائد تلك الحملة من الهند وإيران والأفغان.

وكانت سياسة بريطانيا تحتم عليهم مداراته وجلب مراضيه، فكانوا كل يوم صباحاً مساءً يرسلون إليه بشتى الوسائل، أن يخرج معززاً إلى شريعة الكوفة، إلى أن تنتهي القضية، والتمسوا منا ذلك أيضاً فأبينا، وقلنا نحن مع أبناء وطننا إن عاشوا عشنا معهم، وإن هلكوا هلكنا معهم، وكان الإنكليز يلتمسون أن يقبل ما يرسلون من الماء والأطعمة واللحوم وغيرها، فيأبى أشد الإباء، وبعد أن ضاق الخناق، واشتد الغلاء، وشحت الأقوات على الأهليين، تدخل السيد (...) القضية، وفتح باب البلد من ناحية جبل الحويش، وبقي الحصار مستمراً، إلاّ من هذا الباب يدخل منه الماء وبعض ضروريات العيش، وأصر الإنكليز على أن يسلم أهالي البلد المحاربين وقاتلي (مارشال)، وكانوا قد لاذوا بالفرار والتخفي في سراديب البلد ومخابيها، حيث لم يجدوا وسيلة إلى الفرار إلى خارج البلد لشدة الحصار، وفرّ السيد (...) مع جماعة من الزكرت والشمرت الذين لم يشتركوا في تلك الأعمال الطايشة، وصاروا مع جماعة من العساكر البريطانية يفتشون البيوت ويقبضون على واحد بعد واحد، وساقوهم إلى الديوان العرفي الذين عقدوه في الجسر، وكل أعضائه من قواد الإنكليز، فحكموا على بضعة عشر نفر بالشنق، وعلى جماعة التسفير إلى هجنام وسمربور.

وانتهى الحصار، ولكن صاروا يفتشون كل من يخرج من النجف، سيما من المعممين خوفاً أن يكون معه كتب هي مدعاة لتحريض العشائر على الثورة والانتقام للنجفيين من الدولة المحتلة، فكانوا ممن وجدوا معه شيئاً من هذا القبيل الشيخ أحمد أحد أولاد المرحوم الأستاذ محمد كاظم الخرساني، فأخذوه إلى الجسر وحاكموه في جلسة أو جلستين، وأوشكوا أن يحكموا عليه بالإعدام، فتوسطنا إلى قائد الحملة بلفور وبلغناه أيضاً بشفاعة السيد فيه، فلم يجد بداً من إطلاقه، ولولا ذلك لكان من المشنوقين.

وكذلك شفعنا في أشخاص كثيرين فأطلقوا، ونظراً لما ذكرناه من أن سياسة تلك الدولة الغاشمة تقضي عليهم بمجاملة الروحانيين، وعدم إثارة غضبهم تمكناً من وقاية نفوس كثيرة من الإعدام وحفظ أموال غزيرة من المصادرة ■

(١) تصرفنا في النص لعدم المس ببعض الشخصيات.

تدريس التطور العضوي..

مرفوض إسلامياً وعلمياً

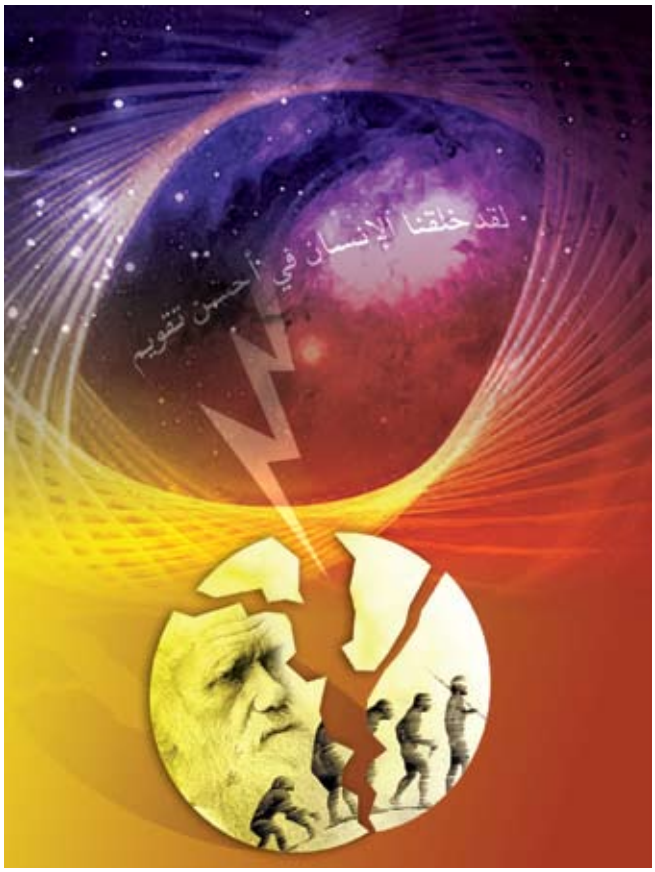

• سعد حاتم مرزه

ينابيع مبدأ التطور العضوي ظهر منذ القرن الثامن عشر وانتشر وشاع وكثر مؤيدوه بعدما نشر تشارلز دارون كتابه (أصل الأنواع) خلال بدايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث اعتمد مجموعة من شواهد عالم الأحياء مستدلاً منها أدلة لإثبات نظريته ومنها ما يتعلق بمراحل تطور الجنين والفرد في الكائنات الحية والتشريح المقارن لأعضاء الجسم المتماثلة من الأحياء المختلفة، والتوزيع الجغرافي للأحياء وتجارب عالم الوراثة، وعد

علم المتحجرات ركيزة أساسية معتبراً إياها الدليل القاطع لإثبات نظرية التطور العضوي.

ومن الغريب أن يتجاهل أنصار التطور العضوي أدلة أنصار الخلق المستقل الذين نشروا أدلتهم في مختلف المطبوعات، مهملين آراء الآخرين، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب علم الأحياء المقرر في الصفوف السادسة العلمية بان التفسير الوحيد لتشابه المراحل الجنينية لأنواع الحيوان، وبخاصة أفراد شعبة واحدة، هو أن للأنواع التي تظهر أجنتها سببها فيما بينها انحداراً مشتركاً.

فهذا القول يتعمد إهمال الآراء (التفاسير الأخرى) التي تؤكد أن تشابه المراحل الجنينية (والتشريح المقارن لأعضاء الجسم المتماثلة) دليل وهو كالتصميم فوحدة المصمم والخالق المبدع الذي أبدع في صنع كل ما في الكون من المجرات حتى أصغر الكائنات الحية، فأنصار التطور العضوي يحاولون خداع الآخرين بذلك.

نبدأ مع الإمام علي عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووارث علمه، ففي (نهج البلاغة) وصف الإمام علي عليه السلام بعض الحيوانات والنباتات مؤكداً قدرة الله عز وجل التي لا تحدها حدود في خلق الكائنات الحية بأنواعها، ففي الخطبة (١٥٥) وصف عليه السلام خلقة الخفاش قائلاً: (ومن لطائف صنعته وعجائب خلقه ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء، ويبسطها الظلام القابض لكل حي.... إلى أن قال عليه السلام: فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً، وجعل النهار كأنها شظايا الاذان، وغير ذوات ريش وقصب...الخ).

وقال الإمام الصادق عليه السلام ضمن إملائه على المفضل بن عمر الجعفي: (خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع، هو إلى ذوات الأربع أقرب، وذلك إنه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر، وهو يلد ولادة ويرضع ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع، وكل هذا خلاف صفة الطير، ثم هو أيضاً مما يخرج بالليل..... الخ.

فالخفاش رغم طيرانه، إلا إنه اتصف بصفات اللبائن ولا يشترك مع الطيور إلا بالطيران، لذا صنفه علما الأحياء ضمن اللبائن، كما أكد ذلك النصان أعلاه. لذا عجز أنصار التطور العضوي عن تفسير آلية امتلاك الخفاش لجناحين من لحم، وليس من ريش، دون بقية اللبائن.

كما امتاز الخفاش عن كل الكائنات الأخرى بأنه ضعيف البصر ولكن الله تعالى عوضه عن ذلك بأن جعله يحس بارتداد صوته، فيسمع صداه فاهتدى به، فهو يخرج أصواتاً ذات ذبذبات عالية لا تسمعها الآذان البشرية، فتتمدد أمامه ثم تنعكس على ما يعيقه وترتد أصداء تحسها أذنه فتهديه إلى الطريق أو تكشف له موضع الطعام. وعن ذلك قال الدكتور أحمد زكي ضمن العدد (١٠٣) من مجلة (العربي) بأن في ذلك: رداً قاطعاً على من زعم أن الخلق نشأ هكذا طبعاً، فما عرفنا أن الطبع يدخل في الأشياء كل هذا العمق بكل هذا العلم، بكل هذا الفن وبكل هذا التعقد والتركب.

وقد كتب في ذلك إلى عضو الهيئة الاستشارية لمجلة (علوم) الصادرة في بغداد ضمن اعتراضات

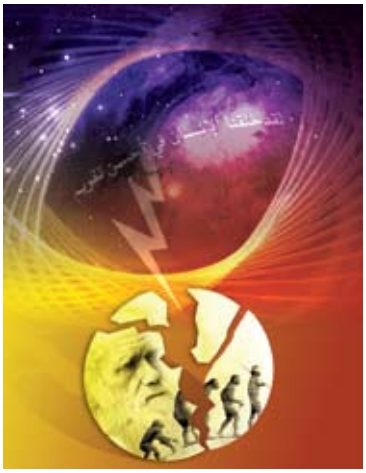

تسعة، ولكن في رده ضمن العدد (١٠٢) لسنة ١٩٩٩م أهمل الإجابة عن عدة تساؤلات واعتراضات من ضمنها ما ذكر أعلاه.

ضمن الخطبة (١٦٥) في نهج البلاغة وصف الإمام علي عليه السلام الطاووس قائلاً: ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في احكم تعديل ونضد ألوانه في أحسن تنضيد بجناح أشرج قصبة وذنب أطال مسحبة، وبعد وصف دقيق لألوانه وصفاته وحركاته قال عليه السلام: فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن أو تبلغه قرائح العقول أو هي تستنظم وصفة أقوال الواصفين؟!!! وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنه أن تصفه أفسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة إلى ما فوقها من خلق الحيتان والأفيلة...الخ.

وفي السياق نفسه رد الإمام الصادق عليه السلام على مزاعم القائلين أن اختلاف ألوان وأشكال الطيور إنما ثم بالإهمال قائلاً للمفضل بن عمر: (هذا الوشي الذي تراه من الطواويس والدراج والتدارج على استواء ومقابلة، كنحو ما يخط بالأقلام، كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف، ولو كان بالإهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً. تأمل ريش الطير كيف هو...؟ فإنك تراه منسوجاً كنسيج الثوب من سلوك دقائق، قد ألف بعضه على بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة. ثم ترى ذلك النسيج إذا مددته يتضح قليلاً ولا ينشق لتداخله الريح، فيقل الطائر إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته... الخ.

فأنصار التطور لم يجيبوا عن ذلك فيما إذا كانت الطيور قد امتلكت علماً وخبرة وقدرة وتقنية كالإنسان عندما تمكن من صناعة الطائرات.

يقول عالم الوراثة الدكتور (جون وليام كلوتس): إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال عقلاً أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة. إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر.

وقال الإمام علي عليه السلام ضمن الخطبة (١٨٥): (ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة والأبصار مدخولةً؛ ألا تنظرون إلى صغير خلق الله، كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشرا، ثم وصف عليه السلام النملة وختم ذلك بالطلب بالتفكير في ذلك وقال: لقضيت من خلقها عجباً ولقيت من وصفها تعباً، وبعد ذلك حث على التفكير والإمعان قائلًا: ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو

فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي، ومال الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء.

وبعد الاستشهاد بظواهر الكون والحياة قال عليه السلام: فالويل لمن بعد المقدر وأنكر المدبر، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما أوعوا، وهل يكون بناء من غير بان أو جناية من غير جان؟!!

ثم وصف عليه السلام الجرادة وقال في آخره بأن الزراع لا يستطيعون دبها، ولو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزواتها وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون إصبعاً مستدقة.

فإذا كان الإنسان قد تطور عن الأدنى منه، فينبغي أن يجمع خلقته وصفاته ما لدى الأدنى من قدرات فيتفوق عليها، لا أن تأكل الجرادة زرعه، وتأكل الجراثيم نسيج جسمه وهو عاجز عن حماية زرعه وحماية نفسه.

وصف الإمام الصادق عليه السلام في إملائه على المفضل بن عمر، الزرافة مؤكداً بالدليل على أنها: خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء، وليعلم إنه خالق أصناف الحيوان كلها.... الخ.

وقد وصف عليه السلام الخلق في بداية المجلس الثاني ضمن إملائه على المفضل بن عمر بأنهم: حيارى عامهون سكارى في طغيانهم يترددون، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون، بصراء عمي لا يبصرون، نطقاء بُكْم لا يعقلون، سمعاء صم لا يسمعون، رضوا بالدون وحسبوا أنهم مهتدون، حادوا عن مدرجة الاكياس..... الخ.

ضمن كتاب (محيط العلوم) لنخبة من العلماء العرب، رد الدكتور محمد طلعت على أنصار التطور العضوي ضمن بحثه (الإنسان في الصحة والوعي) قائلاً بأن الشيطان الرجيم لابد أن يستغل اكتشاف الفيروس ليوسوس: بأفئدة نفر من العلماء، استغفر الله، بل نفر من أدعياء العلم، فإنما (يخشى الله من عباده العلماء) وسوس لهم أن ظهور الحياة لا يحتم وجود الخالق، إنما نشأت نتيجة لتفاعل عناصر الكون وتطورها إلى جزيئات من شتى أنواع البروتين، وأما ما صلح منها قد تطور إلى كائنات حية.

ثم أكد بأن العلماء قد كذبوا هذه الفرية، ثم ختم ذلك بأنه لو تم ذلك صدفة لأستغرق زمناً: يزيد عن عمر الأرض ملايين السنين. ثم أكد إن المصادفة في التخليق التلقائي للبروتينات ضرب من ضروب الخيال.

استعرض الإمام الصادق عليه السلام كما في (توحيد المفضل) بعض الصفات والغرائز (التي سماها بالفطن) التي انفردت بها بعض الحيوانات دون الأخرى ليستدل منها على ضرورة وجود الخالق العليم الخبير من أجل أن يوفر لكل كائن ما يستوفي به بلوغ حاجته، فالفيل عدم العنق لأن رأسه ثقيل فيحتاج إلى عنق عظيم، فجعل رأسه ملصقاً بجسمه، وخلق له الخرطوم ليتناول به غذاءه والماء.

جعل الله تعالى البهائم خلق عجيبة، فإنها تواري أنفسها إذا ماتت، كما يواري الناس موتاهم. وقال عليه السلام بأن الأيل تأكل الحيات فتعطش عطشاً شديداً فيمتنع عن

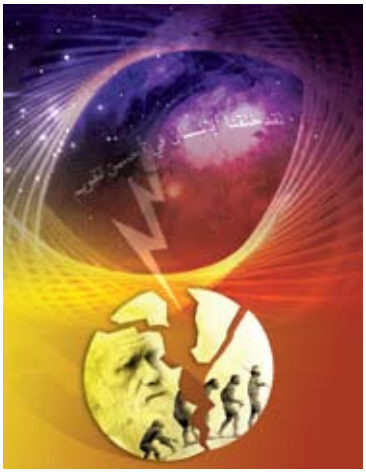

شرب الماء خوفاً من أن يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشاناً فيصبح عجيباً عالياً ولا يشرب منه. والثعلب إذا أعوزه الطعام تماوت ونفخ بطنه، حتى يحسبه الطير ميتاً، فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها. والنمل يقطع الحب، فإذا أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف، والعنكبوت ينسج ذلك النسيج فيتخذه شركاً ومصيدة للذباب.

إن كل طائر طويل الساقين نجده طويل العنق ليتمكن من تناول طعامه من الأرض. كما انفرد النحل في صنع العسل وتهيئة البيوت المسدسة، فذلك من دقائق الفطنة. والسمك بصره ضعيف فأعين بفضل حس في الشم فصار يشم الطعام من البعد البعيد فينتجوه ويتبعه، ونسله كثير فالبيض في جوفه لا يحصى كثرة لأن أكثر أصناف الحيوان تتغذى على السمك وبعض السباع كذلك، وكذلك الإنسان، فكان التدبير أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

فمثل هذه الصفات والغرائز تعجز كل آليات التطور العضوي عن وضع تفسير مقبولاً لوجودها في مفردات من الحيوانات دون جميع الأنواع ضمن الصنف الواحد.

استعرض الأستاذ ورخان محمد علي في (تهافت نظرية دارون في التطور أمام العلم الحديث) الأدلة المستمدة من المتحجرات وعالم الأحياء على دحض كل الأدلة التي قدمها أنصار التطور العضوي ومنها المذكورة في منهج علم الأحياء للصفوف السادسة العلمية، وقال في ختام كتابه بأنه على استعداد كامل لمناقشة ذلك في وسائل الإعلام المختلفة وفي الكتب من أجل تهديم نظرية التطور العضوي ودحضها بكل بساطة والتأكيد بأن أدلتها غير علمية مطلقاً.

دحض الدكتور (ايرفنج وليام نوبلوتش) أمكانية حدوث الطفرات العشوائية والتجمعات والهجائن وقال بأن هذه النظرية لا تقوم على أساس المنطق والإقناع.

وقال عالم الوراثة الدكتور (وولتر ادوارد لاميرتس): إن علم الوراثة لم يقدم لنا دليلاً على صحة الفرضين الأساسيين اللذين أقام عليهما دارون نظريته من نشأة الأنواع، ثم أكد بأن هناك أمثلة عديدة لإثبات إن نظريته التطور العضوي لا تستطيع تفسير الاختلافات العديدة التي نراها في عالم الأحياء.

وأكد الأستاذ الطبيعي (ميلين ادوارد) بأن القول بالصدفة في تكوين هذه العجائب الكونية من الفروض الباطلة والأضاليل العلمية التي يسترونها باسم العلم الحسي وقد دحضها العلم الصحيح دحضاً، وأكد العالم الذري الأستاذ (اوبريان) بأنه لا يوجد دليل واحد من ألف على إن الإنسان من سلالة القرد.

ومن حقائق عالم الأحياء إن بعض الحيوانات تولد ضوءاً بارداً لا يحمل أية طاقة حرارية، وتنتمي لمجاميع

مختلفة تعيش على اليابسة وفي البحار، بدءاً من بعض أنواع البكتريا وبعض الحيوانات البدائية وحيدة الخلية من الشعاعيات والسوطيات وبعض الإسفنجيات والمرجان وجوفية المعي والديدان البحرية وحاملات الأمشاط والمحار والقواقع والمفصليات والحشرات والحبار والأسماك. إن ظاهرة الإضاءة الحيوية شائعة في البعض دون الآخر، وإن أسس آلية (ميكانيكية) توليد الضوء في جميعها واحدة ولكن أهدافها أو فوائدها مختلفة. فكيف اتفقت الصدفة في توحيد آلية توليد الضوء في جميع الحيوانات المولدة للضوء؟ هل هناك اتصال بين هذه الحيوانات فاتفقت على ذلك؟ هل اجتمعت فيما بينها ودرست الموضوع فوضعت خطة موحدة لها؟

هناك شواهد كثيرة جداً، وهناك أدلة كثيرة جداً قدمها علماء الطبيعة ومنهم علماء مختصون في الأحياء والوراثة، وهناك حقائق كثيرة جداً... كلها تؤكد فشل ودحض التطور العضوي ومبدأ النشوء والارتقاء، لكن أنصار التطور العضوي امتلكوا كل الإمكانات الإعلامية فخدعوا الآخرين ولم يسمحوا بنشر الآراء الأخرى وتعميمها فإلى الله المشتكى من مناهج علم الأحياء في مدارسنا وجامعاتنا، فالدولة إسلامية والمناهج إلحادية، فهل يتعظ واضعوا علم الأحياء أم يجبرهم الموحدون على ذلك؟!■

وادي السلام

عن حبّه العرني: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتى أعييت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة! ثم طرحت الرداء ليجلس عليه.

فقال لي: يا حبّه إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لذلك.

قال: نعم، ولو كشف لك لرأيتهم خلقاً خلقاً محتبين يتحادثون.

فقلت: أجسام أم أرواح؟

فقال: أرواح وما من مؤمن يحدث في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة من الجنة.

فن التجليد

ومراحل تطوره عند المسلمين

• علي جهاد ظاهر الحساني
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي

ينابيع إن فن التجليد عند المسلمين ما كان إلا حصيلة الإبداع الفني لشعوب سبقت المسلمين في تغليف كتبها المقدسة مثل الأقباط في مصر والصينيين في آسيا وفي بيزنطة، وكانت تلك الأغلفة تصنع من الخشب عليها بعض النقوش اليسيرة ومطعمة أحياناً بالعاج والعظم والأحجار الكريمة.والحقيقة أنه مع اتساع الإسلام وانتشار رقعته واتصاله مع الحضارات العديدة التي كانت قائمة في البلاد التي فتحها حصل تبادل للمعارف والعلوم والفنون ومنها مفهوم التجليد الذي أخذ يتسع ويتطور ويتغير من عصر إلى عصر إلى أن أصبح فناً قائماً بذاته، له من الأسس العلمية والفنية ما يجعله مهنة عالمية، ولقد تميز كل الزخرفة وطرق التذهيب وغيرها من الأمور

المتعلقة بهذا العلم. وفيما يأتي نستعرض خصائص هذا الفن من خلال العصور الإسلامية المتعاقبة بدءاً من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الحادي عشر. وقد قسمت هذه الفترة حسب تطور هذا الفن وهي كالآتي:

من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري

عرف العرب فكرة التجليد مع بداية عصر الإسلام وأيام الخلافة، وكان المصحف هو أول كتاب يجلد كإجراء وقائي للصفحات المكتوبة خوفاً عليه من التناثر والضياع، ولم يكن هذا الإجراء إلا عبارة عن لوحتين من الخشب مثبتين من الخلف بخيط رفيع من ليف النخيل، تحفظ بينهما الصفحات المخطوطة للقرآن الكريم.

أما في العصر الأموي فقد طرأ على فن التجليد بعض التطورات على الرغم من أنه لم تصل إلينا أية نماذج في هذه الأغلفة. وأغلب الظن أن المصاحف والمخطوطات التي أنتجت خلال هذا العصر كانت مغلفة بلوحات من الخشب قد طعمت بقطع من العظم والعاج أو غلفت بالقماش والجلد.

وفي العصر العباسي الأول استمر فن التجليد في العالم الإسلامي على ما كان عليه في العصر الأموي بعد أن لحقت به تطورات في الصناعة وفي الزخرفة على حد سواء حين خطى المجلد المسلم خطوة إلى أمام حين غلفت ألواح الخشب بشرائح من الجلد حيث تعد هذه المرحلة بداية لفن التجليد عند المسلمين، ثم جاءت الخطوة الثانية عندما استبدلت صفائح البردي بألواح الخشب إذ استخدمت لتغليف الكتب الصغيرة بينما ظل الخشب للكتب الكبيرة وأخذ الكتاب الشكل الأفقي.

أما من ناحية التصميم الزخرفي فقد قسَّم الفنان المسلم سطح الجلدة إلى متن وإطار وازدانت أرضيتها بزخارف هندسية ونباتية فضلاً عن استخدام الخط العربي بوصفه عنصراً زخرفياً في زخرفة جلود الكتب التي أنتجت خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة. وقد استخدم الفنان المسلم في تنفيذ هذه الزخارف طريقة الضغط للأختام والتذهيب في تجميل هذه الزخارف.

التجليد بين القرنين الرابع والخامس والهجريين

أدخل المجلد المسلم الورق في صناعة الأغلفة إلى جانب ألواح الخشب وصحائف البردي واستخدم كعادته سابقاً الجلد في تغليف هذه المواد، وفيما يتعلق بشكل الكتاب فقد تغير في هذه المدة إذ أصبح شكله عمودياً على جانب الشكل المربع، كما طرأ تطور في شكل الغلاف حيث أدخل المجلد المسلم اللسان عليه.

أما الزخرفة فقد طرأ عليها تطور في التصميم إذ يتوسط المتن سره، وفي أركان المتن الأربعة أجزاء من السُّرة، واستخدمت في الزخارف الأشكال الهندسية والنباتية إلى جانب الأشرطة المتشابكة، وظهرت أول مرة الحلزونات المنتهية بأوراق البالميت وطرائق تنفيذ هذه الزخارف فهي شبيهة بالطرق التي كانت تستخدم سابقاً مع إحداث بعض التطورات عليها مثل طريقة التثقيب التي تعني

تجاور الثقوب على هيئة ما تؤدي إلى عنصر زخرفي جديد، كما لحق بطريقة الضغط تطور كبير، فأصبحت الزخارف الناتجة عنها بارزة بروزاً عظيماً، كما ظهر في هذه المدة استخدام الألوان في تجميل زخارف الأغلفة، وهذا يعني تطوراً آخر لهذا الفن في العالم الإسلامي.

التجليد بين القرنين السادس والسابع الهجريين

شاع في هذه المدة استخدام الورق المغلف بالجلد في تجليد الكتب ولم يعد يستخدم البردي أو الخشب لهذا الغرض، والى جانب ذلك نجد ظاهرة جديدة لم نلمسها من قبل ألا وهي استخدام صفائح الذهب المرصع بعضها بالأحجار الكريمة في تغليف المصاحف ولاسيما تلك المصاحف العائدة إلى الملوك والأمراء. وفيما يتعلق بشكل الكتاب فقد ساد استخدام الكتاب العمودي المزود باللسان عوضاً عن الشكل الأفقي.

وفي الزخرفة نجد أن السرة التي تتوسط المتن وعناصر زخرفية قائمة في الأركان الأربعة للمتن كانت من المواضيع الزخرفية السائدة في زخرفة جلود الكتب جنباً إلى جنب مع الزخارف الهندسية والنباتية التي تملأ أرضية المتن مع جعل شكل الإطار المحيط بالمتن بارزاً، كما أننا نجد أن الزخارف الهندسية من المواضيع السائدة في زخرفة جلود المخطوطات مع تراجع الزخارف النباتية، كما أدخلت في زخرفة الجلود عناصر جديدة مثل استخدام صفائح رقيقة من الذهب والفضة على هيئة عناصر زخرفية تلصق على الجلد بآلة ساخنة.

التجليد بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين

بلغ فن التجليد في القرن الثامن الهجري في أقطار العالم الإسلامي بصور عامة درجة عظيمة من التقدم والازدهار، وقد فاقت القاهرة العالم الإسلامي بهذا الفن، كما يعد القرن التاسع الهجري العصر الذهبي لفن التجليد في مصر لكل ما بلغه من مهارة ودقة وإتقان، وربما يعود ذلك إلى ما كانت عليه مصر في هذا القرن من رخاء والى سخاء المماليك وحبهم وتشجيعهم للفن والعلوم. ولدراسة فن التجليد في هذه الفترة سوف نقسم الدراسة على وفق الأقاليم لأهميتها:

في بلاد الشام ومصر

بلغ هذا الفن في هذه المنطقة قمة نضجه خلال القرن التاسع الهجري، وقد امتازت أغلفة هذه المدة بالزخارف ذات الأشكال المختلفة، منها الزخارف الهندسية التي كان لها أثر واضح في عصر المماليك فضلاً عن الزخارف النباتية التي كانت تغطي سطح جلدة الكتاب كلها، وفي بعض الأحيان يتوسط متن الجلدة سرة أجزاؤها قائمة في أركان المتن، كما استخدمت مع السرة الدلالية التي تتدلى من الجانبين العلوي والسفلي للسرة، وفي القرن التاسع عشر طغت الزخارف النباتية، وقل استعمال الزخارف الهندسية، وكثر استخدام السرة مع أجزائها القائمة في الأركان، وتنوعت أشكال السرة والدلاية،

اللسان: ومهمته حماية المخطوطة

إلا أن السرة اللوزية كانت مميزات الأغلفة المملوكية التي أنتجت في القرن التاسع الهجري.

وقد نفذت هذه الزخارف بطريقة الضغط إلى جانب استخدام أختام صغيرة الحجم تنتظم في صفوف متتالية بغية الحصول على تصميم متصل. ومما زاد جمال الزخارف المضغوطة استخدام التذهيب في ملئ المناطق المنخفضة، والى جانب الطرق الثلاث (الضغط، الختم، التذهيب) استخدمت طريقة قطع الجلد، وتتلخص هذه الطريقة في رسم الزخارف المطلوبة على الجلد، ثم يجري بعد ذلك قطع الرسوم عليها بآلة حادة حيث يبدو الشكل بعد الانتهاء مثل الدانتيل.

ويمكننا القول: إن فن التجليد في كل من مصر والشام كانا يسيران على نهج واحد سواء كان في الطراز الزخرفي أم في التكنيك، ولكن لم يستطع فن التجليد في الشام أن يرقى إلى مثيله في مصر، وربما يعود سبب ذلك إلى ما كانت تتلقاه الصناعة والفنون في مصر من اهتمام ورعاية من قبل السلطات الحاكمة يفوق كثيراً ما كانت تتلقاه في الأقاليم التابعة لها.

في بلاد فارس

إن فن التجليد الإيراني لم يبلغ أوج عظمته، ولم يصبح إيرانياً حقاً إلا في القرن التاسع الهجري على أيدي المجلدين من مدرسة هراة، ففي هذا القرن أنتجت إيران أفخر المخطوطات ذات الزخارف المذهبة والخط الجميل والجلود الثمينة، وكل ذلك كان بفض مدارس الفنون التي أنشأها خلفاء تيمور وشاه رخ وبايسنقر، فقد أسس بايسنقر في عاصمته هراة مدرسة لفنون الكتاب جلب إليها الخطاطين والمصورين والمزوقين والمجلدين في أقطار شتى، وكان هؤلاء الفنانون يلقون العناية والرعاية من قبل هذه الملك الشغوف بفن الكتاب.

وقد اعتمد التجليد فيه هذه المدرسة في البداية على فن التجليد المصري والشامي نتيجة لاستخدام المجلدين من الشام ومصر في عصر تيمور في أوائل القرن الثامن الهجري إلا أن هذا لم يدم طويلاً، إذ لم يلبث التجليد الفارسي أن استقل آخذاً بأساليب وطرز زخرفية لم تكن معروفة لدى المماليك.

وتعد الأغلفة التي أنجزت في القرن التاسع الهجري من أروع ما أنجزته بلاد فارس في فن التجليد على الإطلاق إذ امتازت بجمال زخارفها ودقة صناعتها، وليس لهذه الأغلفة ما يشابهها في أي

قطر من الأقطار الإسلامية وفي أي وقت من الأوقات سواء من جهة التكنيك أم جهة الزخرفة.

ونستطيع القول: إن فن التجليد في بلاد فارس في القرن الثامن الهجري سار على النهج الذي كان عليه في مصر والشام من جهة التكنيك والرسوم على حد سواء. أما في القرن التاسع الهجري فقد نهض هذا الفن نهضة هائلة كانت حصيلتها انتاجات رائعة. فقد احتلت الزخارف النباتية والحيوانية مكان الصدارة في حين انزوت الزخارف الهندسية. وقل استخدامها وابتكر الفنان التيموري نماذج زخرفية لم يسبق مشاهدتها من قبل وهي رسم طبيعية ذات حيوانات وطيور مختلفة بعضها حقيقي، وبعضها خرافي تصور في أوضاع مختلفة وعلى أرضية نباتية، كما برز في هذه المدة استخدام السرة وأجزائها في الأركان، وكان هذا الطراز مألوفاً في مصر والشام والعراق والمغرب إلا أنه طرأ تطور عليه هنا حيث انفصلت الدلايتان المرتبطتان بالسرة مناظر طبيعية تمثل حيوانات وطيوراً مختلفة على أرضية نباتية، كما استخدمت في أغلفة هذه الفترة باقات الأزهار المتنوعة. والتطور الفريد الذي أحدثه الفنان الإيراني لطريقة الختم والضغط استعمال القالب الذي هو عبارة عن صفيحة من المعدن تزخرف بالزخارف المطلوبة، وتسخن بالحرارة ثم تكب على الجلدة، فتحدث زخارف بارزة، وكانت القوالب تصنع من المعدن والجلد والحجر. كما استخدم الفنان الإيراني طريقة الجلد المقطوع المفرغ كالدانتيل في إحداث الزخارف كما في مصر وتركستان، وقد توج الفنان الإيراني عمله باستعمال طريقة جديدة في التجليد وهي استعمال (الُلك) وقد ظهر هذا الاستعمال في أواخر القرن التاسع الهجري ولقي رواجاً كبيراً في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة في تبريز وأصفهان في أيام الصفويين.

أما التذهيب فقد استخدم الفنان الإيراني طريقتين: الأولى استخدام ماء الذهب ووضعه على الجلدة بواسطة الفرشاة، وأما الثانية، استعمال صحائف رقيقة من الذهب على هيئة عناصر زخرفية تلصق على الجلدة بواسطة آلة ساخنة.

في بلاد العثمانين (الأتراك)

ظهر فن التجليد التركي العثماني ما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين عندما قامت دولة العثمانيين في الأناضول، واتسعت رقعتها بالشرق والغرب حيث دانت لها البلاد الإسلامية كلها من آسيا الصغرى إلى مصر والشام وبلاد الحجاز وشمال أفريقية. ومنذ الأيام الأولى لتأسيس هذه الإمبراطورية عمل السلاطين على الاهتمام بالعلوم والفنون والصناعات ولاسيما فن الكتاب بما فيه من خط وتصوير وتذهيب وتجليد. وقد ساهم في قيام هذا الفن الكثير من الصناع والفنانين الذي جئ بهم من مصر والشام وإيران. وكان أبرزهم الإيرانيين الذي تجلى تأثيرهم واضحاً فيما وصل إلينا أغلفة إذ هؤلاء الصناع عملوا في مدن تركية رئيسة، وقد تتلمذ على أيديهم الأتراك العثمانيون في هذا الفن، ونتيجة لذلك كان فن التجليد في بلاد الأناضول

قريب الشبه بما أنجزه الفنان الفارسي في إيران حيث يمكن عده استمراراً لفن التجليد الفارسي، فطرق صناعته لا تختلف عن الطرق التي كانت تستخدم في إيران، وهي طريقة الختم والضغط والقالب والمقطع.

وقد أنتجت في هذه المدة أغلفة عثمانية غاية في الروعة والدقة إذ أدخل الصانع على الغلاف عناصر الجمال كلها من زخارف متنوعة وألوان زاهية وتذهيبات أنيقة، وقد احتلت الزخارف النباتية مكان الصادرة في الأغلفة العثمانية آخذةً شكل السرة مع الدلايتين وفي الأركان الأربعة أجزاء من السرة.

التجليد ما بين القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين

استمر الإبداع الفني في إنتاج أغلفة الكتب في إيران خلال هذه الفترة حيث نرى أن السرة وأجزاءها القائمة في الأركان كانت من المواضيع الشائعة والمحببة لدى الفنان الصفوي إذ كانت تطبع على الجلدة بواسطة قالب معدني واختلفت أشكال هذه السرات فمنها الدائرية والمفصصة واللوزية تحصر بداخلها زخارف نباتية. واستمرت في هذا العصر التاثيرات الصينية كما استمر استعمال الكتابات في زخرفة الأغلفة، وكانت هذه الكتابات تتضمن أسماء أصحاب المخطوط. كما امتازت أغلفة الكتب المدهونة بالك بجمال الألوان التي يغلب عليها اللون الأسود والذهبي بشكل واسع إذ بلغ استعمال الك درجة عظيمة من الإتقان في هذا العصر، كما استخدمت الرسوم الآدمية والحيوانية بشكل واسع.

وفي مصر استمر المجلدون يستخدمون الأساليب التي كانت معروفة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين نفسها مع إحداث بعض التغيرات في طراز الزخرفة حيث تم استخدام الخط النسخي المملوكي في زخرفة الأغلفة إلى جانب الزخارف النباتية والأشكال الهندسية، وقد أجادوا في هذه الأشكال

نموذج من التجليد في القرن العاشر

إجادة تامة ولا تختلف الطريقة التي تم بها إحداث هذه الزخارف عن تلك التي استخدمت خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ولكن باستيلاء العثمانيين على مصر وإرسال صناعها وفنانيها إلى استانبول ثم القضاء على النشاط الفني والصناعي إلى حد كبير حيث أدى إلى حدوث تغير كبير على زخارف أغلفة الكتب وطريقة إحداثها، فقد ترك الفنان الزخارف العربية الدقيقة مستعيضاً عنها بزخارف فارسية كما استبدل القالب المعدني بالأختام الصغيرة، وينطبق هذا الحال تماماً على بلاد الشام في أثناء هذه المدة.

أما الأغلفة التركية العثمانية فكانت تتشابه مع الأغلفة الفارسية وإن كانت أكثر تطوراً، فقد استخدم المجلد التركي جلوداً مختلفة الألوان، منها الأسود والأحمر القاني والحمصي، ولم يقتصر على الجلود البنية الغامقة كما فعل باقي المجلدين المسلمين. وكذلك استخدم إلى جانب الجلد صفائح رقيقة من الذهب والفضة مرصعة بالأحجار الكريمة وذات زخارف مخرمة، فظهرت من تحتها أرضية من الحرير الأخضر والأزرق، ونجد إلى جانب ذلك ظاهرة غريبة لم يسبق مشاهدتها من قبل ألا وهي استخدام القامش المطرز بخيوط من الحرير والذهب فضلاً عن ابتعاد الفنان العثماني عن أي رسوم حيوانية وآدمية مكتفياً بالزخارف النباتية المختلفة الأشكال.

أما الطرق التي اتبعها المجلد العثماني في تنفيذ زخارفه فهي لا تختلف عن تلك التي كانت مستخدمة في سائر أقطار العالم الإسلامي (الضغط، الختم الذهبي) واستخدام القوالب المعدنية والجلدية بشكلها التقليدي: السرة الوسط وأجزاء من السرة في أركان المتن الأربعة.

أما بالنسبة لفن التجليد في المغرب العربي وبلاد الأندلس فلم نتمكن من الحصول على أي مراجع أو أبحاث تفيد في هذا المجال، ولذلك لم نتطرق إلى هذا الفن في تلك البلدان.

نموذج من التجليد في القرن الثاني عشر

الشكل العام لغلاف المخطوط

١- الوجه الأمامي.

٢- الوجه الخلفي: يؤخذ قياس هذين الوجهين بنفس قياس طول وعرض المخطوط مع نقصان العرض (٥ملم) من ناحية الكعب.

٣- الكعب: وهي قطعة

الجلد الواصلة بين الوجهين الأمامي والخلفي.

٤- اللسان: ويوصل مع الطرف الأيسر الوجه الخلفي ومهمته حماية المخطوطات من الناحية الأمامية واستعمال القارئ له ليستدل به على المكان الذي وصل إليه بالقراءة.

عملية التجليد

تبدأ عملية تجليد المخطوط بتحديد العصر الذي نسخ به اعتماداً على تاريخ نسخه المسجل بداخله أو تقديراً من قبل المختص. ونختار بعدها الزخرفة التابعة لذلك العصر ومعرفة طريقة ترتيبها على وجهي الغلاف واللسان.

ونبدأ في المرحلة التالية بتفصل الكارتون المتناسب مع قياسات المخطوط من حيث الطول والعرض والارتفاع وحجم اللسان، ثم توزع الزخارف وفاقاً لما كانت مرتبة فيه على الوجهين وعلى اللسان، ونقوم برسم شكل هذه الزخرفة على الكارتون بقلم الرصاص. ونحدد بعدها بوساطة (السنبك) مكان هذه الزخرفة ونقوم بتفريغ مقدار (١ملم) من سماكة الكارتون بغية إبراز الزخرفة المحددة ثم نقوم بقص الجلد المناسب الذي سيغلف الكارتون بزيادة (٢سم) على محيط الغلاف، ويفضل أن يكون من جلد الماعز الجيد لكن يكون مقاوماً لعوامل التلف، ونلصق هذا الجلد على الكارتون بصمغ خاص، ونلف حوافه الزائدة للداخل بواسطة عظمة التجليد، ثم نقوم بمسحه وترطيبه بقطعة قماش مبللة بالدهن الطبيعي مع زيادة المسح والضغط فوق الجلد في مكان التفريغ، ونوزع بعدها الزخارف على أماكنها فوق المكان المحفور، ونكب بواسطة مكب يدوي مدة (١٠دقائق) وبانتهاء الكب يكون الغلاف قد أصبح جاهزاً للعمليات الفنية اللاحقة، إذ يمكن أن نقوم بتذهيب هذه الزخارف أو تلوينها بألوان جميلة تلفت انتباه الناظر إليها، أو بإنشاء أطر محيطة بالمتن أو إنشاء أشكال هندسية على كامل الغلاف وذلك برسمها، ثم حزها بواسطة العظمة حتى ينتج في النهاية غلاف يمكن عده لوحة فنية متكاملة. أما الجهة الداخلية للغلاف فيمكن تبطينها، إما بورقة من الورق المخطوط نفسه أو بقطعة من الرق المرسوم أو القماش أو الورق الرخامي.

ونستدل من هذا العرض على أهمية فن التجليد عند المسلمين ومكانته العالية مما يحفزنا إلى متابعة هذا النهج للحفاظ على هذه الحرفة من الاندثار والتلاشي.

ومن هذا الحرص أيضاً بدأ الاهتمام بدراسة فن التجليد في التراث الإسلامي، وكان لابد من دراسة هذا الفن في العصور كافة حتى نتمكن من الدخول إلى خفايا هذه الحرفة وإعطائها حقها من الاهتمام والتقدير. وقد واجهتنا صعوبات كثيرة في البحث والدراسة، وذلك لقلة المراجع التاريخية والفنية وصعوبة الحصول على بعض المصادر الحية، فما كان إلا أن سعينا وراء كل غلاف قديم في خزانة مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة وباقي مكتباتنا في النجف الأشرف وبعض الدول العربية والإسلامية. إذ قمنا بدراستها دراسة فنية عميقة حتى تكونت لدينا الأسس السليمة والصحيحة لهذه الحرفة جمعنا فيها كل ما استطعنا ■

الحلقة الثانية:

الدعاء..
في شهر الدعاء
حقيقته وفلسفته

• أ. د. الشيخ صاحب محمدحسين نصّار
عميد كلية القانون/ جامعة الكوفة

آيات وأحاديث
عن الدعاء
وآدابه وآثاره في
مسيرة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

البقرة:١٨٦

آداب وشروط الدعاء

ينابيع أدرج في أدناه ابرز واهم الآداب والموضوعات المعنوية التي على الداعي مراعاتها في الدعاء لتحقيق الاستجابة إن شاء الله.

أولاً: أن يكون مؤمناً معتقداً بمعرفة الله حق معرفته.

من الشروط الأساسية والضوابط الرئيسية للدعاء معرفة الله، والإيمان بقدرته وهيمنته المطلقة على تحقيق ما يطلبه عبده منه، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (ان الله عز وجل قال من سألني وهو يعلم اني أضر وأنفع استجبت له)[١]، وروي أن الإمام الصادق عليه السلام قرأ: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)[٢] فسئل: (ما لنا ندعوا ولا يستجاب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفون، وتسألون ما لا تفهمون)[٣]. وفي الحديث تأكيد على أهمية ودور السؤال والمسؤول عنه في أمر الاستجابة في الدعاء حتى يكون العبد المؤمن على بينة من أمره ويعي ممن يطلب.

ثانياً: أن يحسن العبد الظن بالله والإخلاص له.

إن هذه الآداب والشرط يدخل ضمن مداخل معرفة الله وأنه فرع منه ولكن ليعلم العبد بان الله تعالى يعطي عباده بقدر ظنهم ويقينهم بسعة رحمته وكرمه بعد إيمانهم واعتقادهم المطلق بربوبيته فقد ورد في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي، فلا يظن بي إلا خيراً)[٤] وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة)[٥] وعن الإمام الصادق عليه السلام: (إذا دعوت، فاقبل بقلبك، وظن حاجتك بالباب)[٦].

ثالثاً: أن يكون طلب الحاجة والاضطرار إلى الله جلت قدرته.

فعلى العبد الداعي أن يلجأ إلى الله العزيز القدير لجوء المضطر الذي لا يجد غير الله من يرجوه وتكون ثقته ورجاءه فيه وان يكون الانقطاع والتوجه له وحده حتى يكون الإيمان الحقيقي وهو شرط أساس في استجابة الدعاء، وعن الإمام علي عليه السلام لوصيته لمحمد بن الحنفية: (وبالإخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع)[٧] وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: (إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا عند الله عز وجل، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله

شيئاً إلا أعطاه)[٨].

رابعاً: ولوج الطرق التي أمر الله أن يسلكها العبد في الدعاء.

إن الدعاء هو إقبال على الله تعالى فلابد أن يكون هذا الإقبال من الطرق التي أمر الله تعالى بها والوسائل التي يرضى الله تعالى بها كذكر الأنبياء والرسل وخاتمهم الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام الأئمة عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس لقوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[٩] وقال عز من قائل: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا لله وابتغوا إليه الوسيلة...)[١٠] وكذلك الأولياء الصالحين وأشياعهم المبرزين، (روي أن رجلاً من بني إسرائيل عبد الله تعالى أربعين ليلة ثم دعا الله تعالى فلم يستجب له فشكا ذلك إلى عيسى بن مريم عليه السلام فسأل عيسى بن مريم الله تعالى عن ذلك فقال الله: (يا عيسى إنه دعاني وفي قلبه شك منك)[١١] ان الذات المقدسة والصانع الحكيم علم الإنسان الدعاء لقوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)[١٢] فقد روي: (أن الكلمات هي توسله بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فتاب عليه[١٣].

خامساً: خشوع القلب وإقباله على الله.

في حالة الدعاء بالمأثور ينبغي أن يستحضر القلب وأن لا يفصله عن لسانه بشواغل الدنيا وأنه من الشروط المهمة للاستجابة، لأن حقيقة الدعاء تكمن في إقبال القلب على الله ولا يكون مشغولاً بغير الله تعالى من شواغل الدنيا حتى يكون العبد متوجهاً بقلبه وروحه خالصاً لوجهه الكريم، روي في الحديث: (فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة[١٤] وكذلك (لا يقبل الله دعاء قلب ساه)[١٥] وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ورد (أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلبٍ قاسٍ)[١٦].

سادساً: الخضوع والرقة وإظهار الذل للدعاء أسلوب خاص لأنه في الأساس سؤال وطلب فكيف إذا كان الطلب والسؤال من الخالق المبدع المهيمن، ففيه التذلل ورقة القلب، فإن القلب إذا رق شف وزالت الحجب بينه وبين الله تعالى وكان قريباً من الرحمة الإلهية فقد جاء في الحديث عن الحبيب المصطفى عليه السلام: (اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة)[١٧] وورد عن الإمام الصادق عليه السلام (إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك، فدونك دونك وقد قصد قصدك)[١٨] أي نلت مرادك فإن هذه الحالات تهيء العبد المؤمن للإقبال على الله واستقبال رحمته فعليه أن يستغل ويكتسب هذه الرقة.

سابعاً: ديمومة واستمرارية الدعاء في كل الأوقات شدة ورخاء.

إن هذه المداومة على الدعاء في الشدة والرخاء وتقدم الدعاء في الرخاء على الدعاء في الشدة، وهذا ما ورد التأكيد عليه في النصوص الشرعية، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)[١٩] وعن الإمام الصادق عليه السلام (إن الدعاء في الرخاء يستخرج الحوائج في البلاء)[٢٠].

ثامناً: الوفاء بعهد الله حتى يكون مثالاً للعبد الشاكر.

ينبغي للعبد المؤمن أن يفي بعهده لله

وان يكون عبداً شاكراً له ملتزماً مؤمناً معتقداً بما منحه الله، فقد ورد في الحديث بهذه النصوص: (ان الله تعالى يقول: ادعوني استجب لكم، وإنا ندعوه فلا يستجاب لنا، فقال: لأنكم لا توفون بعهد الله، وان الله يقول في محكم كتابه العزيز: (أوفوا بعهدي أوف بعهدكم) والله لو وفيتم لله لوفى لكم)[٢١].

تاسعاً: أن يكون الدعاء مقروناً بالعمل والسلوك.

من الآداب المهمة والشروط الأساسية لاستجابة الدعاء ان يقرن العبد المؤمن دعاءه بالعمل، فلا ينفع الدعاء من غير عمل ولا يغني العمل عن الدعاء، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)[٢٢] وكذلك (ثلاثة ترد عليهم دعوتهم رجل جلس في بيته وقال: (يا رب ارزقني فيقال له: ألم أجعل لك سبيلاً إلى طلب الرزق... الخ)[٢٣].

عاشراً: أن يكون الدعاء ضمن السنن الإلهية.

وان يكون العبد المؤمن في دعاءه لا يخالف سنن الله تعالى في الطبيعة والكون أو يخالف أحكام الشريعة لان سنن الله لا تتحول ولا تتبدل (ولن تجد لسنة الله تبديلا)[٢٤] وقد سئل إمام المتقين عليه السلام: (أي دعوة أضل؟ قال: الداعي بما لا يكون)[٢٥].

حادي عشر: ترك واجتناب الذنوب والمعاصي.

من الشروط الأساسية لاستجاب الدعاء ترك الذنوب والتوبة عنها والإنابة إلى الله، واجتناب الآثام، وكيف للعبد

ردّ الشمس

نقل سبط ابن الجوزي في كتاب التذكرة عن جماعة من مشايخه بالعراق قالوا: شهدنا أبا منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجية (مدرسة بباب برز ـ محلة ببغداد) وكان بعد العصر، وذكر حديث ردّ الشمس لعلي عليه السلام، فنشأت سحابة غطّت الشمس حتى ظنّ الناس أنها قد غابت، فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومأ إلى الشمس وأنشد:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي
مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك إن أردت ثناءه
أنسيت إن كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن
هذا الوقوف لخيره ولرجله

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت.

الغدير للأميني ٣/ ١٧٥

أن يمارس الذنوب والآثام والمعاصي ويقبل على الله ويعرض أمره وحاجته عليه؟ فهذا يتنافى ويتناقض مع حقيقة الدعاء، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (ان العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى اجل قريب، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تعالى للملك لا تقض حاجته واحرمه إياها فانه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني)[٢٦].

ثاني عشر: التهيؤ والاجتماع للدعاء في الحالات العامة وطلب التأمين منهم.

إن اجتماع المؤمنين بين يدي الله تعالى دوماً من منازل رحمة الله تعالى، ولم يجتمع جمع من المؤمنين ولله تعالى في اجتماعهم رضى إلا كان اجتماعهم قريباً من رحمة الله تعالى، ومن منازل رحمته وفضله. لذا وردت روايات عديدة بخصوص الدعاء الجمعي والتأمين بعد ذلك منها عن الإمام الصادق عليه السلام (ما من رهط أربعين رجلا اجتمعوا ودعوا الله عز وجل في أمر إلا استجاب لهم، فإن لم يكون أربعين فأربعة يدعون الله عز وجل عشر مرات إلا استجاب لهم فان لم يكونوا أربعة فواحد يدعوا الله أربعين مرة فيستجيب العزيز الجبار لهم)[٢٧] وكذلك ورد عنه أيضا (كان أبي إذا حزبه أمر دعا النساء والصبيان، ثم دعا وأمّنوا)[٢٨].

ثالث عشر: عدم التكلف في الدعاء بل الترسل والاسترسال.

إن من أروع حالات الدعاء هو الترسل في الطلب من الله، لان روح الدعاء هو الإقبال على الله بالسؤال وعدم التكلف في التوجه إلى الله بل الاسترسال والتأني فقد ورد في الحديث (إن أفضل الدعاء ما جرى على لسانك)[٢٩]، ويحتفظ الداعي في نفسه بـ(حالة الدعاء) بما في هذه الحالة من الترسل والبساطة والتضرع والرقة بما يخطر على باله.

رابع عشر: تهيؤ النفس وتوجهها وتحضيرها بالحمد والاستغفار.

الدعاء هو إقبال على الله ولابد لهذا الإقبال من تحضير للنفس كالحمد لله، والشكر له، والاستغفار بين يديه من الآثام والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والإكثار منها، فقد ورد عن آل البيت عليهم السلام (كل الدعاء يدعى لله عز وجل به محجوب عن السماء حتى يصلي على محمد وآل محمد)[٣٠].

اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم انك سميع مجيب.

خامس عشر: أن يسأل الله بأسمائه الحسنى.

إن الله يحب أن يدعوه عباده بأسمائه الحسنى، لان كل واحد منها مفتاح لباب من أبواب رحمة الله وفضله فقد وردت نصوص شرعية بهذه الخصوص، قال تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى)[٣١] وورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (إذا قال العبد وهو ساجد: يا الله، يا رباه، يا سيداه، ثلاث مرات، أجابه الله تبارك وتعالى: لبيك عبدي سل حاجتك)[٣٢].

سادس عشر: ذكر الحاجات بين يدي الله.

نحن نؤمن بان الله جلت قدرته يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويعلم ما نريد ونحتاج ونطلب ويغنيه علمه عن

سؤالنا، فقد ورد: (يا من علمه بحالي يغني عن سؤالي)[٣٣] ولكن يجب أن نبث إليه حاجاتنا ونسأله حتى نتقرب منه ونتعلق به ونأنس إليه لكي يشعر العبد بعبوديته الحقة وبفقره وحاجته لله تعالى العلي القدير فقد ورد (ان الله تعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، ولكن يحب ان يبث إليه الحوائج، فإذا دعوت فسم حاجتك)[٣٤].

سابع عشر: تكرار الدعاء والإلحاح به.

إن تكرار الدعاء والإلحاح حبه يكشف عن عمق ثقة العبد ورجائه بربه وتعلقه به، وبخلاف ذلك إذا كانت علاقة العبد بربه وثقته به ضعيفة فإنه ينقطع عن الدعاء ويأس إذا لم يجد لدعائه استجابة، فقد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (إن الله يحب الملحين في الدعاء)[٣٥] وعن الإمام الباقر عليه السلام ما نصه: (لا والله لا يلح عبد على الله عز وجل إلا استجاب له)[٣٦].

ثامن عشر: إيثار الآخرين في الدعاء وطلبه منهم.

ينبغي للعبد المؤمن أن يدعو لإخوانه بين يدي الله سبحانه وتعالى فإنه انفتاح دليل تراجم المؤمنين فيما بينهم وعميق التحابب والتعاطف والمودة ويزول ما بينهم من ضغن ونفور وحقد. يقول رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله (من دعا لمؤمن بظهر الغيب قال الملك فلك بمثل ذلك)[٣٧]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب يدر الرزق، ويدفع المكروه)[٣٨].

تاسع عشر: الدعاء في أوقاته وعند نزول رحمته (كشهر رمضان المبارك مثلاً أو يوم عرفة).

إن أفضل أوقات الدعاء هي التي تنزل فيها الرحمة فيكون الإنسان قريباً منها، كما هو الحال عند قراءة القران وأوقات الأذان وساعة نزول المطر وغيرها كثير.

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: (اغتنموا الدعاء عند خمسة مواطن، عند قراءة القران، وعند الأذان، وعند نزول الغيث، وعند التقاء الصفين للشهادة، وعند دعوة المظلوم فإنها ليس لها حجاب دون العرش)[٣٩] هذه أوقات للدعاء، كما أن للدعاء أوقاته فله أماكنه وبقاعه أشرفها المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد الكوفة وتحت قبة الحسين عليه السلام والعتبات المقدسة للائمة عليهم السلام وأشياعهم المبرزين كمسلم بن عقيل وميثم التمار وأضرابهم.

ومن الأزمنة يوم الجمعة وفي صلاة الليل وشهر رمضان المبارك.

عشرين: الدعاء في جوف الليل (وقت السحر).

إن لخلوة الليل تأثيراً عظيماً في إقبال النفس على الله واستقبال رحمة الله تعالى لأن في النهار شواغل الدنيا الكثيرة تشتت الفكر والبصر والسمع والتوجه الروحي، بينما جوف الليل يمثل الهدوء والاستقرار والتوجه وهي تحول الأبصار من الخارج إلى الداخل وتركزه وتجمعه في الليل بعد تشتته في النهار. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إذا كان آخر الليل يقول الله عز وجل: هل من داعٍ فاجيبه؟ وهل من سائلٍ فاعطيه سؤله؟ وهل من مستغفرٍ فأغفر له؟ وهل من تائبٍ فأتوب عليه؟)[٤٠] يقول الحق تبارك وتعالى: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)[٤١].

الحادي والعشرون: المسح على الوجه والرأس بعد الدعاء.

على العبد المؤمن بعد فراغه من الدعاء والتوجه لله جلت قدرته أن يمسح وجهه ورأسه بيده، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما ابرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحيا الله عز وجل أن يردها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتى يمسح بيديه على وجهه ورأسه)[٤٢].

ومن الجدير بالذكر والبيان أن لكل واحد من نصوص الأدعية المعروفة المأثورة عن أهل البيت أفكارا محددة ومنهجية معينة لتنظيم هذه الأفكار، وأن لكل دعاء فكرة أساسية رئيسية ومجموعة أفكار تضم هذه الفكرة، ومطلباً أساسيا ومجموعة مطالب أخرى تختص المطلب الأساس ومنهجاً وأسلوبا في السؤال.

بعد هذا العرض الموجز لأهم الآداب والشروط والضوابط للدعاء، نود أن نبين العوائق والعقبات والمواقع التي تحبس الدعاء عن الوصول إلى الله تعالى فإنها واضحة ومتميزة فهي عدم التطبيق والالتزام بالآداب والشروط، لأن الإخلال بأحدها هو الابتعاد والاحتجاب عن رحمة الله وكرمه في إجابة دعوة الداعي. وأن لا تكون في نفس المؤمن ودواخله حجب بينه وبين حب الله، وأبرز هذه الحجب هي الذنوب والمعاصي وحب الدنيا والتعلق بها كما ورد في دعاء أبي حمزة: (اللهم أخرج حب الدنيا من قلبي...).

وإن الإنسان ليذنب الذنب فيكون الذنب نقطة سوداء في قلبه فإذا واصل المعصية ولم يقلع ولم يتب عن الذنب اتسعت هذه النقطة السوداء حتى تشمل القلب كله.

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (كما أن الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان)[٤٣] وإن الذنوب لتفقد الإنسان حلاوة ذكر الله لان القلوب المؤمنة فيها حلاوة ليس فوقها حلاوة، فإذا انتكس القلب فقد هذه الحلاوة ولم يعد يتذوق حلاوة الذكر، كالمريض الذي تنتكس سلامته فيفقد شهية الطيبات، لا لأن الطيبات فقدت طيبها، ولكن المريض فقدت الشهية إليها، وكذلك القلوب إذا انتكست فقد حلاوة ذكر الله.

وفي الختام نسأل الله العلي القدير، السميع المجيب أن يرحمنا ويغفر لنا ذنوبنا ويتوب علينا إنه هو التواب الرحيم ويستر علينا بستره الجميل وأن يرزقنا الهداية... اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء... اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء... اللهم إني أتقرب إليك بذكرك... اللهم إني أسألك سؤال خاضع متذلل خاشع أن تسامحني وترحمني... اللهم وان تجعل عواقب أمورنا إلى الخير، وتهدينا لما فيه الصلاح والرشاد والسداد وان تجعل هذا البلد آمناً من شر الأعداء انك سميع الدعاء..■

---

(١) ثواب الاعمال: الصدوق ص٤٨.
(٢) النمل/ ٦٢.
(٣) تفسير الصافي ١/ ٥٧.
(٤) الميزان في تفسير القران: محمد حسين الطباطبائي ٢/ ٣٧.
(٥) م،ن.
(٦) اصول الكافي: الكليني ج٣ باب الدعاء.
(٧) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٧٤.
(٨) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٧٥.
(٩) الاحزاب/ ٣٣.

(١٠) المائدة/ ٣٥.
(١١) كلمة اللّه: الحديث ص٣٧١.
(١٢) البقرة/ ٣٧.
(١٣) التبيان: محمد بن الحسن الطوسي، المطبعة العلمية النجف الاشرف عام ١٩٥٧م ١/١٦٩ في تفسير القران.
(١٤) اصول الكافي: الكليني: باب الدعاء ج١.
(١٥) البحار: المجلسي ٩٣/ ٣٤.
(١٦) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٠٦.
(١٧) البحار: المجلسي ٩٣/ ٣١٣.
(١٨) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٤١ ح٨٧٦٦.
(١٩) الوسائل: العاملي ٤/ ١٠٩٧.
(٢٠) م،ن.
(٢١) م،ن.
(٢٢) تفسير الصافي ص٥٧ طبعة حجرية.
(٢٣) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٧٥.
(٢٤) م،ن.
(٢٥) الاحزاب/ ٦٢.
(٢٦) البحار: المجلسي ٩٣/ ٣٢٤.
(٢٧) اصول الكافي: الكليني ٤٤٠.
(٢٨) اصول الكافي: الكليني ٥٢٥.
(٢٩) م،ن.
(٣٠) الامان من الاخطار: ابن طاووس ٣.
(٣١) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٣٧.
(٣٢) الاسراء/ ١١٠.
(٣٣) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٣٢ ح-٩ ٨٨.
(٣٤) م،ن.
(٣٥) اصول الكافي: الكليني ٥٢٠.
(٣٦) البحار: المجلسي ٩٣/ ٣٠٠.
(٣٧) اصول الكافي: الكليني ٥٢٠.
(٣٨) الامالي: الطوسي ٢/ ٩٥.
(٣٩) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٤٥ ح٨٨٦٧.
(٤٠) ثواب الاعمال: الصدوق ص٥٨.
(٤١) الوسائل: العاملي ٤/ ١١٤٥.
(٤٢) الاسراء/ ٧٩.
(٤٣) من لا يحضره الفقيه: الصدوق ١/ ١٠٧.

وفاة السيد الحميري

ذكر المؤرخون قصة عند وفاة السيد الحميري ومفادها: إن نكتة سوداء ظهرت في وجهه وهو في النزاع، وحوله أصحابه وجملة من أعدائه، اتسعت فأطبقت وجهه، وقد ساء ذلك أصحابه وفرح به أعداؤه إذ اعتبروه سوء عاقبة، وبعد هنيئة أفاق وتوجه نحو القبلة وقال: يا أمير المؤمنين أيفعل بوليك هذا؟ قالها ثلاث فتجلى في وجهه ـ والقسم للراوي ـ عرق بياض فمازال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كالثلج، فانتبه ضاحكاً وأنشد أبيات:

كذب الزاعمون بأن علياً
لا ينجي محبه من هنات
قد وربي دخلت جنة عدن
وعفا لي الإله عن سيئاتي
فابشروا اليوم أولياء علي
وتولوا علياً حتى الممات
ثم من بعده تولوا بنيه
واحداً بعد واحدٍ بالصفات

ثم شهد الشهادتين وأردفها بالولاية لعلي عليه السلام ثم أغمض عينيه فكأنما روحه ذبالة طفئت، أو حصاة سقطت.

مقدمة ديوان السيد الحميري ص:١٨

مرقد الشهيد الحر بن يزيد الرياحي

• سلمان هادي آل طعمة

ينابيع يقع مزار الفارس الشجاع الحر بن يزيد الرياحي التميمي على بعد ٩كم غربي كربلاء في منطقة تعرف بـ(ناحية الحر)، حيث يشكل معلماً من معالم العراق التي تفوح من جدرانه رائحة الماضي.

هذا المرقد يؤمّه الزوار من بعض محافظات القطر ومن خارج القطر لأداء الزيارة.

سيرته وبطولته:

كان الحر بن يزيد الرياحي قائداً وفارساً مقداماً من أشراف قبيلة (بني تميم)، وهو من شهداء معركة الطف التي حدثت في كربلاء سنة ٦١هـ باستشهاد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، أرسله الحصين ابن نمير في ألف فارس لاعتراض الإمام الحسين عليه السلام وصدّه عن الكوفة. وعندما نزل الإمام الحسين عليه السلام أرض كربلاء صادفه الحر الرياحي وأراد أن ينزله في مكان لا ماء فيه، ودار حوار بينهما، وبينما هو كذلك جاء راكب على نجيب له عليه السلاح متنكب قوساً مقبل من الكوفة فوقفوا جميعاً ينتظرون، فلما انتهى إليهم سلم على الحر وأصحابه ولم يسلم على الحسين عليه السلام وأصحابه ودفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد فإذا فيه:

(**أما بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء. فقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري والسلام**).

فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر هذا كتاب الأمير عبيد الله يأمرني أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتي كتابه وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ أمره فيكم، وأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية فقال له الحسين عليه السلام: دعنا ويحك ننزل في هذه القرية أو هذه يعني نينوى والغاضرية، أو هذه يعني شفية. قال الحر: والله لا

أستطيع ذلك[1].

فنزل الحسين عليه السلام في ذلك المكان ولم يبدأهم بقتال، وعندما أضرّ بالأعداء العطش، خاطب الإمام الحسين عليه السلام قومه قائلاً: اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفاً.

وفي اليوم العاشر من محرم عندما رأى الحر أن المعركة ستبدأ وأن القتال لا محالة منه، فخيّر نفسه في أن يقاتل الحسين عليه السلام أو يكون إلى جنبه، فما كان منه إلا أن يدنوا من الحسين قليلاً قليلاً، ولما سأله المهاجر بن أوس عن دنوه من الحسين عليه السلام أخذ الحر يرتعد ثم قال: إني والله أخيّر نفسي بين الجنة والنار فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطّعت وحرّقت ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين عليه السلام. فجاء إلى الحسين عليه السلام وقد طأطأ برأسه حياءً من آل الرسول ويده على رأسه وهو يقول: اللهم إليك أتيت فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك[2]، ثم قال للحسين عليه السلام إني تائب إلى الله مما صنعت فترى لي من ذلك توبة؟

فقال له الحسين عليه السلام: نعم يتوب الله عليك فانزل، قال: فأنا لك فارساً خير مني راجلاً أقاتلهم لك على فرسي ساعة والى النزول الآخر ما يصير أمري)[3]، ثم قاتل الأعداء حتى قُتل، فأتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب فقال: بخ بخ يا حر أنت حر كما سميت في الدنيا والآخرة، ثم أنشأ الحسين عليه السلام يقول:

لنعم الحر حر بني رياح
ونعم الحر مختلف الرماح
ونعم الحر إذ نادى حسيناً
فجاد بنفسه عند الصباح[4]

فبكى الحسين عليه السلام وقال: ما أخطأت أمك إذ سمتك الحر فأنت حر في الدنيا والآخرة ثم بكى وجعل يقول:

لنعم الحر حر بني رياح
صبور عند مشتبك الرماح
لنعم الحر إذ نادى حسيناً
فجاد بنفسه عند الصباح
وأبذل نفسه بفدا حسين
بطعن السمر والبيض الصفاح

وعندما قتل أذن الإمام الحسين عليه السلام للحر أن يدفن في هذا المكان فنقله أفراد عشيرته إلى المكان المشار إليه، ومضارب بني رياح حملوا زعيمهم إلى خيامهم خوفاً عليه من سحق الخيول التي داست بحوافرها جثث الشهداء مع جثة الحسين عليه السلام عصر يوم عاشوراء سنة ٦١هـ.

جاء في كتاب (تاريخ جغرافيائي كربلاي معلى) ما ترجمته: قال السيد نعمة الله الجزائري في (الأنوار النعمانية) نقلاً عن جماعة من الثقاة أن السلطان إسماعيل الصفوي عندما فتح بغداد سنة ٩١٤هـ قصد في اليوم الثاني مشهد الإمام الحسين وسمع أن بعضاً من الناس يطعنون بالحر فجاء إلى قبره وأمر بفتح القبة، وشاهد جثة الحر وكأنه قُتل حديثاً مستلقياً على الأرض وفي رأسه عصابة مشدودة فأمر السلطان أن تفتح العصابة التي كان الإمام الحسين عليه السلام قد شدّها على رأس الحر، وعندما فتحت جرى الدم متدفقاً من الرأس دون توقف، فأرجع السلطان العصابة على رأسه ثانية، ومن المحتمل أنه قد أخذ نصف العصابة وذلك للتيمن والتبرك، وأمر ببناء قبره وعيّن خادماً وبعض الموقوفات وهذا البناء الذي نراه عمَّره السلطان إسماعيل الصفوي وبنى عليه قبة وجعل له صحناً[٥].

المرقد ... والضريح... وأشياء أخرى:

الزائر لمرقد الحر تطالعه قبة شامخة نحو السماء، تدل بشكل واضح بأن بناءها يعود إلى العهد الصفوي.

المبنى مكون من القبة بسعة ٣٠م وارتفاع ١٠م مبنية بالطابوق والجص والنورة، مغلفة بالكاشي الكربلائي، جددت سنة ١٩٥٩م ثم جددت بتاريخ ١٩٧٦م حيث حدثت فيها شقوق مما أدى إلى تجديد بنائها بالكاشي الكربلائي المزين بزخارف نباتية من قبل وزارة الأوقاف العراقية.

شيد المرقد وسط صحن مكشوف تبلغ مساحته (٧٢٠٠م٢) والداخل إلى الصحن يشاهد الباب الرئيسي المصنوع من الخشب، وإيواناً يحتوي على غرف يبلغ عددها اثنتي عشرة غرفة، والى يمين الباب يقع سلم يؤدي إلى الطابق العلوي، وكذلك يقع سلم إلى يساره، وفي الطابق العلوي توجد ست غرف إحداها كبيرة خصصت لإيواء الزوار الذين كانوا يقصدون المرقد في السابق، ويقع ديوان السادن إلى جانب السلم، وللصحن بابان هما:

باب سيد الشهداء: وهو الباب الرئيسي المصنوع من خشب الساج، تكسو جانبيه بلاطات من الكاشي الكربلائي البديع، يعلو الباب طاق معقود مزخرف بزخارف إسلامية، ويحتوي على كتيبة كتبت بالخط النسخي البارز: (بسم الله الرحمن الرحيم وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون

في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون) كتبه جواد علي ١٣٨٨هـ، وتعلو هذه الكتيبة زخارف بديعة نقشت على الكاشي الكربلائي ثم تعلوها كتيبة كتب عليها: (بسم الله الرحمن الرحيم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) كتبه جواد علي ١٣٨٩هـ.

باب القبلة: يقع إلى جهة القبلة مصنوع من الخشب.

أما الجهة اليمنى من الصحن فتؤدي إلى المغاسل.

وعندما يدخل الزائر إلى الحرم يشاهد طارمة مطلة على الصحن يتوسطها الباب الرئيسي المصنوع من خشب الساج، وهذه الطارمة ذات ستة أعمدة وسقف مُزيّن بالمرايا، وتحتوي على ثلاثة أبواب وكشوانيتين أحداهما تقع إلى اليمين والأخرى تقع إلى اليسار، يفصل بينهما سياج حديدي يطل على الصحن.

في أعلى الطارمة كانت توجد كتيبتان كتب على إحداهما بالكاشي (تعمير الإيوان بسعي من الحاج السيد عبد الحسين كليدار حضرة سيد الشهداء سنة ١٣٣٠هـ) والأخرى كتب عليها (قد عمّر هذا المكان بهمة أقا حسين خان شجاع السلطان الهمداني دام ظله الفاني سنة ١٣٣٠هـ) أما اليوم فقد اختفت هاتان الكتيبتان بسبب تجديد البناء للمرقد.

يضم المرقد المحاط بالأواوين، ضريح الحر المصنوع من النحاس الأصفر، وفي داخله صندوق مغطى بالقماش الأخضر.

باحة الحرم صغيرة تعلوها القبة وهي ذات ثمانية شبابيك مطلة على الضريح، وسقف الحرم مغلف بالمرايا الزجاجية المستحدثة سنة ١٩٨١م.

وطول الضريح ٢م وعرضه ٣م وارتفاعه ٣م، ويحيط به ثمانية أواوين حيطانه من المرمر، وخلفها المسجد، ومما يجدر ذكره أن الضريح جدد عام ١٩٩٩م من قبل الخدم، كما تبرع أهل الخير والإحسان بالسجاد الإيراني والعراقي الفاخر المفروش في داخل الحرم.

أما أبواب الحرم والطارمة فهي مصنوعة من الخشب الساج، وقد بذل خدم الروضة بالتبرعات، ولا ننسى فضل توسيع الحرم من قبل الحاج خضير والحاج حسن من أهالي الكرادة ببغداد، كما سعى خدمة الروضة بشراء مولدة كهرباء للمرقد وذلك منذ عهد قريب وقد قامت رئاسة بلدية كربلاء بإيصال التيار الكهربائي إلى مرقد ناصر الحسين عليه السلام، الحر بن يزيد بتاريخ ١/ ٩/ ١٩٦٣م ضمن المشاريع للبلدية جهز بالكهرباء من مدينة الثورة وكلف بمقدار اثني عشر ألف دينار، ثم قام الحاج حسن بن الحاج علي الوكيل بتجهيز الحرم والصحن والحجرات بما يلزم لإنارتها بالكهرباء وكلف ذلك مائتين وخمسين ديناراً ٢٠ رجب ١٣٨٢هـ، وقد أجريت على هذا المرقد إصلاحات جديدة، حيث تم تبليط أرضية الصحن بالشتايكر، وتبليط أرضية الحرم بالمرمر، واكساء الطارمة الرئيسية بالكاشي الكربلائي وذلك من قبل وزارة الأوقاف العراقية.

الحر وما قيل فيه من شعر:

قال الشيخ محسن أبو الحب خطيب كربلاء المتوفى سنة ١٣٠٥هـ:

نصرت أبياً من عرانين هاشم
فتى من حماه النصر يستنجد النصرا
وجدت بنفس كان لولا بن أحمد
عزيـــزاً على من رام إذلالها قسرا
ولكنها هانت عليك لأن من
فديت بها كبر النفوس له صغرا
جريت بها جري العبيد أبرها
عبودية حتى غدوت بها (حُرّا)
ألا يا قتيلاً زعزع المجد قتله
فأضحى عليه المجد ذا مقلة عبرا[٦]

وقال الشيخ عبد الحسين الأعسم:

ألا يـا زائراً بالطف قبراً
به ربحت لزائره التجارة
أشرْ للحر من بُعدٍ وسلم
فإن الحر تكفيه الإشارة

فـرد عليـه الشـيخ جـواد بـن كاظـم الكربلائي بقوله:

زُر الحر الشهيد ولا تؤخر
زيارته على الشهـدا وقدِّم
ولا تسمع مقالة أعسميٍّ
أشر للحر من بُعدٍ وسلم

وقال في المعنى نفسه:

إذا ما جئت مغنى الطف بادر
لمثوى الحر ويحك بالرواح
وزر مغنـاه من قربٍ وانشد
(لنِعم الحـر حر بني رياح)

وللعالـم السـيد محمـد باقـر الحجـة الطباطبائي قوله:

زر الحر الشهيد فدته نفسي
فإن الحر أهـلٌ للزيـارة
فقد والله نال الأجر مَنْ قد
تعـنّي نحو مرقـده وزاره
ودون مزاره إن عـاق عجزٌ
ولم تسطع بأن تأتي مزاره

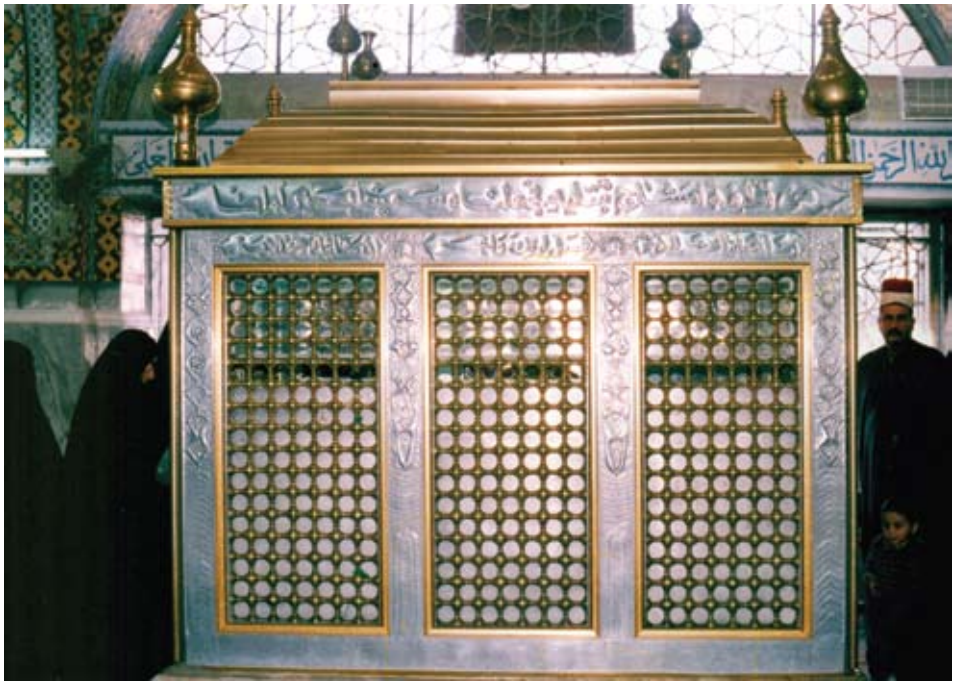

(أشر للحر عن بُعدٍ وسلم
فإن الحر تكفيه الإشارة)
ولا تك منه في شك وريب
فإن السبطَ قد قبل اعتذاره
ولما أن أتاه مستجيراً
منيباً من تجعجه أجاره
وبشَّر أنه حرٌ سعيدٌ
فزال الشك من تلك البشارة
فلطف السبط كفر ما جناه
وأطفأ ناره وأزال عاره
أشكٌ فيه بعد اللطف فمن
يدور اللطف في العقبى مداره؟
أمير ساوم الدنيا بدين
فباع بنصره الدين الأماره
وتاجر ربه بالنفس طوعاً
وكل الربح في تلك التجاره
به أضحى حوارياً وأمسى
بنصرته لثار الله ثأره
وليس الحر عند الحر إلا
مزارٌ فيرد عَظِّم شعاره
فزره واستجر بالله فيه
فإن الحر باب للإجاره

وللشاعر الشعبي الشيخ عبد الكريم الكربلائي (أبو محفوظ) أبيات باللغة الدارجة:

لحسين إجة الحر ووكف دونه
يعتذر منّه وتهل عيونه
يا نجل المصطفى الأمجد
ما أدري توصل إلها الحد
العذر لله وأنتم تقبلونه

سدنة المرقد:

أما حراسة المرقد للحر بن يزيد الرياحي فإنها موكولة إلى ناظر وعدة خدّام هم من قبيلة (جشعم) الذائعة الصيت، وهم الذوات التالية أسماؤهم:

١- خلف سنة ١٨٩٠م وهو جد راضي بن عبد علي بن علاوي بن خلف الجشعمي.

٢- علاوي بن خلف سنة ١٩٠٠م.

٣- عبد الحسين بن علاوي سنة ٩١٢هـ-١٩٣٥م.

٤- عبد الزهرة بن عبد الحسين بن علاوي ١٩٣٥م - ١٩٩٣م.

٦- عبد الحسين بن عبد الصاحب بن جبر سنة ١٩٩٣م حتى يومنا هذا.

يؤم المزارات العراقية يومياً عدد هائل من الزوار من مختلف جهات الوطن العربي والإسلامي، وذلك للتبرك بهذه الأمكنة الدينية المقدسة، لاسيما مرقد الشهيد الحر الرياحي، أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا معه في حادثة كربلاء، وإن مرقده معلم شاخص يفوح منه عبق التاريخ وأصالة الماضي والأمس المتوهج بنور الإيمان، وسيبقى مناراً شامخاً يعبر عن تاريخ الأمة الحافل بالانتصار والظفر ■

---

(١) القول السديد بشأن الحر الشهيد/ للسيد محمد هادي الخراساني الحائري ص٤٧، ٤٨.

(٢) الإرشاد/ للشيخ المفيد ص٢٣٥.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف/ للسيد ابن طاووس ص٦١.

(٤) الإرشاد ص٢٣٥، وانظر: القول السديد ص٥٣ و٥٤.

(٥) أمالي الشيخ الصدوق ص١٦٠.

(٦) تاريخ وجغرافيائي كربلائي معلّى/ عماد الدين حسين اصفهاني (فارسي) ص٨٥، ٨٦، وانظر جولة في الأماكن المقدسة/ للسيد إبراهيم الزنجاني ص٨٨.

(٧) ديوان الشيخ محسن أبو الحب/ تحقيق: الدكتور جليل أبو الحب ص٧٩.

أجوبة مسابقة العدد السابع وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. مسجد السهلة.

السؤال الثاني: ج. الجوزجان.

السؤال الثالث: أ. الشيخ محسن أبو الحب.

السؤال الرابع: ج. علي بن يقطين.

السؤال الخامس: ب. الأصم.

السؤال السادس: ب. روزبه بن خشنودان.

السؤال السابع: ب. دعاء السمات.

السؤال الثامن: ب. سليمان كتّاني.

السؤال التاسع: أ. ١٩٥ هـ.

الفائز بالجائزة الأولى: صادق أحمد ناصر الراشد/ البصرة ـ شط العرب.

الفائز بالجائزة الثانية: محمد راضي عبد السادة/ النجف الأشرف.

الفائز بالجائزة الثالثة: بهاء قيس جواد/ كربلاء المقدسة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد

١ صحابي جليل دفن في ظهر الكوفة وقد شارك الإمام علي عليه السلام في دفنه كما أبّنه، وكانت وفاته عام ٣٧هـ وله من العمر ثلاث وسبعون سنة، فمن يكون؟

أ. عدي بن حاتم الطائي

ب. خباب بن الأرت

ج. المقداد بن الأسود

٢ زين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني، صاحب المؤلفات القيمة والمواقف الرائعة التي دافع فيها عن هوية التشيع، قتل في طريقه إلى اسطنبول، ففي أي عام قتل؟

أ. ٩٦٦ هـ

ب. ٩٦٩ هـ

ج. ٩٩٦ هـ

٣ قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً ولده محمد بن الحنفية وذلك في بعض حروبه:

اطعن بها طعن أبيك تحمد
لا خير في الحرب إذا لم توقد

في أي معركة قال ذلك؟

أ. واقعة صفين

ب. واقعة الجمل

ج. واقعة النهروان

٤ حركة التوابين ظهرت بعد استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام قادها سليمان بن صرد الخزاعي حيث التقى جيشه مع جيش عبيد الله بن زياد في أرض الجزيرة بموضع (**عين وردة**) سنة ٦٥ هـ، كم كان عدد جيش التوابين؟

أ. ثلاثة آلاف

ب. أربعة آلاف

ج. خمسة آلاف

كوبون المسابقة

ينابيع

العدد (٩) ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢٦هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ واقعة الحرة واقعة دامية استبيحت فيها المحرمات من قبل جيش يزيد بن معاوية وكان ضحيتها أهل المدينة، في أي تاريخ كانت؟

أ. ٢٨ ذو الحجة ٦٢هـ

ب. ٢٨ صفر ٦٤هـ

ج. ٢٨ ذو القعدة ٦٣هـ

٦ مسجد الشجرة من مساجد المدينة، وأصله شجرة كان رسول الله ﷺ يحب النزول تحتها، وبعد اقتلاعها بنيت في موضعها أسطوانة المسجد، في أي مكان يقع هذا المسجد؟

أ. أبيار علي

ب. العوالي

ج. الأبواء

٧ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ممن أدرك رسول الله ﷺ كان يقول إذا حدّث عن الإمام الباقر عليه السلام: «حدّثني وصيّ الأوصياء»، فمن هو؟

أ. حمران بن أعين

ب. محمد بن مسلم

ج. جابر بن يزيد الجعفي

٨ قال أبو فراس الحمداني في ميميته:

يا جاهداً في مساويهم يكتمها
غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم

إلى أي يحيى يشير أبو فراس؟

أ. يحيى البرمكي

ب. يحيى بن الحسين ذو الدمعة

ج. يحيى صاحب الديلم

٩ من أهم مؤلفات الشيخ كمال الدين ميثم البحراني كتاب شرح فيه نهج البلاغة بأسلوب فلسفي، ما اسم الكتاب؟

أ. رياض السالكين

ب. مصباح السالكين

ج. دليل السالكين

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ربيع الأول/ ١٤٢٧هـ**